كلنا دعاة

المجلد الأول

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

كلنا دعاة

المجلد الأول

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد الملك محمد

كلنا دعاة / عبد الملك محمد القاسم - الرياض، ١٤٢٥هـ

٢ مج

ردمك: ٨ - ٩٢٣ - ٣٣ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٦ - ٩٢٤ - ٣٣ - ٩٩٦٠ (ج١)

١- الدعوة الاسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/٣٢٠٥

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٢٠٥

ردمك: ٨ - ٩٢٣ - ٩٩٦٠٣٣ (مجموعة)

٦ - ٩٢٤ - ٩٩٦٠٣٣ (ج١)

الصف والإخراج والتصحيح بدار القاسم للنشر

فروع دار القاسم للنشر

جدة . هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١

الدمام . هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة . هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

خميس مشيط . هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-algassem.com

sales@dar-algassem.com

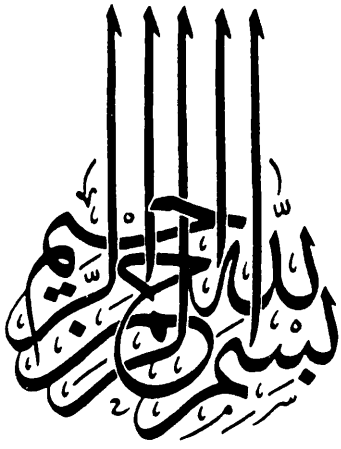
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجموع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فمن فضل الله ـ عز وجل ـ ومنته أن يسر لي إخراج مجموعة من الكتيبات في مجال الدعوة إلى الله عز وجل وهي:

١ - كيف أخدم الإسلام؟

٢ - من ثمار الدعوة.

٣ - ليس عليك وحشة.

٤ - صائد القلوب.

٥ - انطلق بنا.

٦ - هل من مُشمِّر؟!

٧ - صوتٌ ينادي.

٨ - إلى من حجبته السُّحب.

٩ - أمطر الخير مطرًا.

١٠ - دليل المراسلة الإسلامي.

ورغب بعض الإخوة إخراجها في مجموعة متكاملة؛ سهولة في الوصول

إليها وجمع شتَّاتها. فرتَّبتها ترتيبًا متناسقًا وجعلتها كما هي إلا من تعديلات يسيرة.

أسأل الله ـ عز وجل ـ أن ينفع بها، وأن يجعلها حجَّة لنا لا علينا.

عبدالملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

كيف أخدم الإسلام؟

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فالحمد لله الذي منَّ علينا بأعظم النعم وأجلِّها وهي نعمة الإسلام؛ فكم من أمم تتخبط في ظلام الشرك والكفر، وكم من حسيب ووجيه وغني ورئيس لم تدركه رحمة الله؛ ها هو فرعون يحكم ويدير مملكة مترامية الأطراف لم تغنِ عنه شيئاً، وها هو قارون أَغنى الأَغنياء في زمانه ولم تمنعه أَمواله عن النار، وها هو فلذة الكبد لم تغنه محبة أبيه شيئاً كما في حال ابن نوح عليه السلام، وها هو سيد ووجيه قريش وعم النبي ﷺ أَبو طالب في النار، لم تنفعه القرابة، ولم تنفعه عراقة النسب! وأَبو لهب وأَبو جهل... والقائمة طويلة، فاللهم لك الحمد على ما تفضلت به علينا، ونسأَلك الثبات حتى نلقاك..

وإن من شكر هذه النعم القيام ببعض حقوق هذا الدين العظيم، والسعي في رفع رايته وإيصاله إلى الناس، مع استشعار التقصير والعجز عن الوفاء بذلك، فاللهم تقبل منا القليل! ولا تكلنا إلى أَنفسنا طرفة عين.

وما يراه القارئ الفاضل إنما هي قطرات في بحر خدمة الدين ورفعة رايته، وليس لمثلي أن يستقصي الأمر، ولكني أدليت بدلوي ونزعت نزعاً لا أدعي كماله. والدعوة إلى الله عزوجل ليست خاصة بفئة معينة من الناس، لكنها شأن الأمة كلها.

اللهم انصرنا بالإسلام وانصر الإسلام بنا، واجعلنا ممن يحمل همَّ هذا الدين ونشره، وارزقنا الشهادة تحت رايته مقبلين غير مدبرين.

مستشفى طائر للتنصير بتكلفة ٢٥مليون دولار..!!

نشرت الصحف العام الماضي الخبر التالي:

عمَّ الترقب والتلهف حين وصلت الأخبار إلى مدينة حيدر أباد بجنوب الهند قبل شهور بأن (المستشفى الطائر) ـ إحدى معجزات القرن العشرين ـ سيزور المدينة لأسبوعين في شهر نوفمبر الماضي، وسيعالج الفقراء فقط وسيجري عمليات جراحية للمعدمين الذين لا حظَّ لهم في الحياة. . وكل هذا سيكون مجاناً. . وعلت لافتات كبيرة شوارع المدينة تعلن هذا الحدث العظيم، تدعو الفقراء للتقدم إلى عناوين معينة لتسجيل أسمائهم.

وهكذا حين حط المستشفى الطائر بمطار المدينة كان الجو مشحوناً بالترقب، لدرجة أن كبير وزراء الولاية (تشاندرا بابو نايدو) بنفسه كان في استقبال المستشفى الطائر بالمطار وقام بزيارة أجنحته في شوق ولهفة للتعرف على أحدث الأجهزة والتسهيلات التي يقدمها هذا المستشفى الذي يعتبر أكبر مستشفى طائر في العالم. فقد تم تحويل طائرة لوكهيد من طراز (لـ ـ ١٠١١ ـ ٥٠) إلى مستشفى طائر!! بإنفاق (٢٥) مليون دولار على هذا المشروع.

وتدافع الفقراء إلى المدينة للحصول على العلاج المجاني الذي قيل: إنه سيكون ذا مستوى عالمي غير متوفر في الهند. . وسرعان ما انكشف الأمر حين بدأ المرضى يكتشفون بأنفسهم حقيقة هذا العمل «الخيري». فكان أول شيء يتعرض له المريض قبل الكشف عليه هو السؤال عن ديانته، ثم يعطى محاضرة لنحو (١٠) دقائق حول (السيد المسيح) والمسيحية[١] وضرورة البحث عن

---

(١) الأولى إطلاق كلمة (النصرانية والنصارى).

الخلاص في رحاب (السيد المسيح) ثم يعطى كمية من الكتب والنشرات ويطلب منه دراستها والحضور إلى عنوان معين بعد أيام. وكان من أوائل هؤلاء سيدة مسلمة تدعى (سعيدة بي) التي رمت بالكتب وصرخت في وجوههم: إن لها ديانة تؤمن بها وهي جاءت هنا للعلاج، وليس للوعظ والكتب.

وحين علت الصيحات وأَخذت الصحف المحلية تكشف حقيقة هذا العمل الخيري، خفت نبرة الوعظ وسكتت مكبرات الصوت، ولكن محاولات التنصير لم تنته.

وظهر من تحقيقات الصحافة أَن المستشفى الطائر يتبع منظمة تنصيرية تدعى «عملية البركة الدولية»والتي تتبع بدورها منظمة شبكة الإذاعة المسيحية التي يرأَسها المنصّر المعروف (بات روبرتسون) الذي ينتمي إلى اليمين المتطرف في الولايات المتحدة وسبق أَن رشح نفسه في الانتخابات الأمريكية سنة ١٩٨٧م كما عمل في إدارة الرئيس ريغان سنة ١٩٨٢م.

ويقال: إن هذا المستشفى الطائر، الذي يزور مناطق كثيرة في أنحاء العالم، قد عالج حتى الآن (٤٣,٠٠٠) مريض، وأَجرى أَكثر من (١٩,٠٠٠) عملية جراحية. وهو يمكث في مختلف الأمكنة نحو أسبوع أَو عشرة أَيام، ويقال: إنه أَكبر مستشفى جوي في العالم وهو مزود بكل التسهيلات الممكنة للعمليات الجراحية والعلاجية.

انتهى الخبر، والله أعلم كم من مسلم تحول فكره إلى النصرانية؟! وكم من مسلمة أثيرت الشبه في قلبها عن دين الإسلام؟!

... وهم يعملون

* ذكرت مجلة البيان أنه أنشئ مستشفى تنصيري في عام ١٩٦٥م في قرية (معلوم جات) في منطقة (شيتاجانج) في بنغلادش التي لم يكد يوجد بها نصراني آنذاك، أما الآن فقد بلغ عددهم أربعين ألف نصراني!

* منظمة براك: منظمة تنصيرية كندية يتبعها في بنغلادش ٣٠٩٩ مدرسة، وعدد المنظمات في هذا البلد المسلم الفقير ٣٠٠٠ منظمة تنصيرية!

* وكان عدد النصارى في دولة بنغلادش عام ١٩٧٢م مئتي ألف نسمة وارتفع في عام ١٩٩١ أي خلال ١٩ سنة إلى خمسة ملايين!

وفي هذه السنوات بذلت أموال وجهود مكثفة حتى نالوا ما أرادوا!

نعم ما أرادوا لأنهم بذلوا وعملوا..

كيف أخدم الإسلام؟

كيف أخدم الإسلام . . كلمة رنانة لها في القلب وقع وفي النفس أثر . .

خدمة هذا الدين أمنية عزيزة وهدف سام نبيل لمن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً . إنه حلم يراود الكبار والصغار والرجال والنساء، لكن الجنة سلعة الله الغالية لا تنال بالأماني والأحلام!

وقد وفَّق الله مَنْ شاء من عباده للقيام بأمر هذا الدين ونصرة أهله والدفاع عنه والدعوة له، وحُرم آخرون من هذا الخير بسبب أنفسهم وضعفها وجبنها وخورها وشحها وبخلها وتلبيس إبليس عليها .

خدمة الإسلام: شرف ما بعده شرف، وعز ما بعده عز، **خدمة هذا الدين**: رفعة وعزة، وعلو منزلة، تسير في طريق آمن سار عليه محمد ﷺ وتقتفي أثره!

خدمة الإسلام: ليست قصراً على العلماء والفقهاء والمحدِّثين، وليست قصراً على الأغنياء والموسرين .

إنها باب مفتوح لكل مسلم ومسلمة، والناس ما بين مُقِلٍّ ومُستكثرٍ!

وفي هذا الكتاب أُخاطب عامة الناس والضعفاء ـ مثلي ـ الذين يرضون بالقليل من العمل والدنو في الهمة!

قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ : «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم» .

وقال **رحمه الله** عن الدعوة إلى الله : «إنها أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها» .

قال **مالك بن دينار**: «إن صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالى يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله»[١].

فانظر أيها القارئ ما هو همك، رحمك الله؟!

وتأمّل في مهمة الأنبياء والمرسلين فهي ليست إعمار الأرض ولا بناء الدور والقصور وإجراء الأنهار وغرس الأشجار؛ بل إن مهمتهم الأساسية تبليغ الرسالة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور! فليكن لك من ذلك نصيب لتقتفي أثرهم وتسلك منهجهم.

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص٤٥١.

ماذا يعود عليَّ إذا خدمت الإسلام؟

الكل يريد خدمة هذا الدين ويبحث عن عمل يقربه إلى الله زلفى، ولكن الكسل والفتور وعدم المبالاة تصد الإنسان عن أمر الدعوة! استشعر الثمرات الحاصلة بالدعوة حتى تنهض من كبوتك وتقوم من قعدتك فإن لك أجراً ومثوبة وخيراً عظيماً.

من أعظم ما يعود عليك إذا قمت ونهضت لهذا الدين:

١ ـ **الأجر والمثوبة**: قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ . . . ﴾ [الزلزلة].

٢ ـ **التسديد والتوفيق**: قال عزوجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت].

٣ ـ حفظ الذرية قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ ﴾ [النساء].

٤ ـ **تكثير سواد المسلمين**: فقد انتشر الفساد وكثر أتباعه، وبالدعوة يكثر سواد الأخيار ويزيد في الأمة عددهم ويظهر أثرهم.

٥ ـ **تقليل الفساد ودحر المفسدين**: فإن الدعوة إلى الله أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وفي هذا العمل دحر للمفسدين وشل لطاقاتهم، وإيقاف لفسادهم.

٦ ـ **النظر إلى نصر قادم لهذا الدين يعيد عز الأمة وكرامتها**.

* وأنت تعمل تلمس فجراً يبزغ في وسط ظلام حالك. . إنه ضوء الفجر يبدو باهتاً ثم يظهر شيئاً فشيئاً، حتى يعم النور، ويظهر قرص الشمس، وتنتشر أشعة الحق ونور الإسلام.

أين أثرك؟

كل من سار على هذه الأرض ترك أثراً وعلامة تدل على مروره على هذه الأرض! فإن سرت على الرمال بدت آثار قدمك، وإن تجولت في حديقة ظهرت علامات طريقك!

ولنا اليوم أن نتساءل: لك سنوات تتعلم العلم فأين أثر علمك؟ ولك سنوات تصلي وتصوم فأين الأثر في النفس والجوارح؟! لقد قرأت كثيراً وحفظت كثيراً عن برِّ الوالدين وحسن المعاملة فأين النتيجة؟!

دعني أنقلك إلى واقع موظف صغير في أحد المستشفيات لترى كيف نفع الإسلام والمسلمين..

* موظف صغير في المرتبة والمكان ولكنه مُوفق مُسدد استثمر مكانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتطبيق عملي، فهو يعمل في قسم المواعيد. فإذا أتته امرأة أحالها إلى الطبيبة مباشرة، وإذا تقدم إليه رجل أحاله إلى الطبيب. ثم في حالة وجود عجز وضغط على الطبيبة فإنه يحول النساء الكبيرات في السن إلى الطبيب. وهو بهذا حفظ نساء المسلمين وحفظ رجالهم ومنع وقوع المحظور الشرعي من رؤية الرجل للمرأة والمرأة للرجل!

أليس هذا الموظف الصغير قدَّم خدمة عظيمة للإسلام؟!

* ومن أمثلة خدمة الدين: طرح الآراء النيرة والأفكار الجيدة على أهلها، ومتابعة تنفيذها، وقد ألقى أحد الموفقين قبل سنوات كلمة إلى أحد الدعاة وقال له: هذه الجالية التي تقدر أعدادها بالملايين لماذا لا يجعل لها مكان يختص بدعوتها وتعليمها الإسلام؟! ألقى هذه الكلمات على الداعية وخرج.. ولا

يُعرفُ من هو حتى الآن؟! بعد حين سعى الداعية إلى تنفيذ هذه الفكرة الجيدة وطرق الأبواب لإصدار ترخيص لأول مكتب جاليات في المملكة وكان له ما أراد، وزاد اليوم عدد تلك المكاتب عن مائة وعشرين مكتباً نفع الله بها نفعاً عظيماً.

فما رأيكم لو بقيت هذه الفكرة حبيسة رأس صاحبها؟!

* ومن أمثلة نفع الإسلام والمسلمين: عمل بسيط قام به أحد الشباب قبل سنوات، بأن أحصى من بداية العام الدراسي عدد المكتبات التجارية في حيِّهم. واشترى من جيبه الخاص مجموعة من الكتيبات والمطويات والأذكار وذهب بها إلى تلك المكتبات وكانت فترة زحام وكثرة مشترين، وقال لكل صاحب مكتبة: هذه هدايا وزعها على المشترين. فسروا بذلك وفرحوا وأخذوها وفيما بعد طالبوا بالمزيد!

وقس على ذلك توزيع الكتب على الأسواق التجارية، ومحلات الملابس، والذهب، وغيرها مما يرتاده الناس بكثرة!

أما توزيع الكتب على صوالين الحلاقة والمستشفيات الحكومية الخاصة وإدارات الجوازات والمرور وأماكن المراجعين فيها، فهي ـ ولله الحمد ـ منتشرة وبكثرة لكنها تشكو من الفتور والغفلة! وكل موظف يستطيع أن يجعل رفاً من هذه الكتب كإهداء ويتعاهدها باستمرار ولا تكلف شيئاً يذكر من مرتبه!

* وفي مجال طبع الكتب ونشرها أذكر أن بعض الكتب التي نشرت هي من اقتراحات القراء مثل كتاب: (ماذا تفعل في ١٠ دقائق)، وكتاب: (إلى من حجبته السحب) وكذلك فكرة كتيبات الجيب الدعوية المتدرجة مثل (إشراقات) وغيرها فهي فكرة من أحد الأخوات! فانظر أيها الحبيب إلى ثمرتها وكثرة النفع

لهذه الاقتراحات!

* وأذكر هنا عمل امرأة كبيرة مُحبة للخير. فقد كنت خارجاً من مكة المكرمة إلى الرياض في رمضان العام الماضي وتوقفت للصلاة في مسجد أحد محطات الوقود وكان مصلى النساء بجوار مدخل الرجال وقد جلستْ بين المدْخَلَيْن امرأةٌ عجوز كبيرة وكان معها مجموعة من الأشرطة وبجوارها صغير لعله منَ أحفادها، وكلما رأت مصلياً خارجاً أرسلت الصغير بشريط من الأشرطة الإسلامية الموجودة لديها كهدية! وكان الشريط الذي أرسلته إليَّ عن بر الوالدين. فجزاها الله خيراً.

أخي الكريم:

ما ذكرته تجارب إخوة لنا في الإسلام ونحن لا نقرأ ونسمع لنستمتع بجهودهم ونفرح بأعمالهم فحسب! بل لنقتدي ونتأسَّى. وإلا فقد قامت الحجة علينا فلا تأخذنا الغفلة وتلهينا الأماني!

فالدعوة تحتاج إلى قيام وجهد وتعب ونصب، يقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر]. فأمره الله عز وجل بالقيام والجهاد في سبيل هذا الدين.

وقال الله عز وجل حاكياً عن أهل النار: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك].

فالنذير يذهب ويكد ويكدح في سبيل الوصول إلى الناس وتعليمهم وإرشادهم. ونبينا عليه الصلاة والسلام في كل مكان يسعى إلى الدعوة، فصعد الصفا، وذهب إلى الطائف، وهاجر إلى المدينة، كل ذلك في سبيل نشر هذا الإسلام.

كيف تخدم الإسلام؟

١ ـ **تخدم الإسلام: إذا صح منك العزم وصدقت النية**: فإن الله عز وجل يبارك في العمل الخالص لوجهه الكريم حتى وإن كان قليلاً، والإخلاص إذا تمكن من طاعة ما حتى وإن كانت قليلة أو يسيرة في عين صاحبها ولكنها خالصة لله تعالى يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة.

٢ ـ **تخدم الإسلام: إذا عرفت الطريق وسرت معه**: الطريق المستقيم هو سلوك طريق نبينا محمد ﷺ في أمر الدعوة ومبتدئها ووسائلها وطرقها والصبر على ذلك مع الرفق بالناس ورحمتهم فهم مرضى المعاصي والذنوب.

٣ ـ **تخدم الإسلام: إذا استفدت من جميع الظروف المتاحة والإمكانات المتوفرة**: وهذه نعمة عظيمة فكل الوسائل مباحة إلا ما حرمها الله عزوجل، ونحن ندعو بكل الوسائل المشروعة مراعين الأدلة الشرعية والآداب المرعية.

٤ ـ **تخدم الإسلام: إذا قدمت حظ الإسلام على حظوظك النفسية والمادية**: خدمة هذا الدين معناه قيامك ببذل الغالي والنفيس من مال وجهد ووقت وفكر وغيرها، أرأيت من يحب رياضة (كرة القدم) مثلاً، كيف يفرغ جهده ووقته وماله لمحبوبته تلك! وأنت أولى بذلك منه ولاشك.

٥ ـ **تخدم الإسلام: إذا سلكت سبل العلماء والدعاة والمصلحين**: فاستصحب الصبر وتحمل التعب والنصب فأنت في عبادة عظيمة هي مهمة الأنبياء والمرسلين ومن سار على أثرهم.

٦ ـ **تخدم الإسلام: إذا ابتعدت عن الكسل والضعف والخور**: فإن هذا الدين

دين العزيمة والهمة والشجاعة والإقدام، ولا يضر الدعوة إلا خمول كسول، أو متهور جهول.

٧ ـ تخدم الإسلام: إذا ربطت قلبك بالله عز وجل وأكثرت من الدعاء والاستغفار ومداومة قراءة القرآن، فليس أنفع في جلاء القلوب وصقل الأرواح وجعلها تعمل ولا تكل، وتكدح ولا تمل من الإكثار من ذكر الله عز وجل والتقرب إليه بالطاعات ونوافل العبادات.

٨ ـ تخدم الإسلام: إذا ارتبطت بالعلماء العاملين: الذين لهم قدم صدق وجهاد معلوم في نصرة هذا الدين، فإن السير تحت علمهم وتوجيههم فيه خير عظيم، ونفع عميم.

٩ ـ تخدم الإسلام: إذا نظمت الوقت بشكل يومي وأسبوعي وشهري: فهناك أعمال تقضيها في اليوم، وأخرى في الأسبوع، وثالثة شهرية، ورابعة سنوية.

مثال اليومي: دعوة من تراهم كل يوم، وأسبوعي: من تقابلهم كل أسبوع، وشهري: مثل اجتماع الأسرة العائلي الشهري، وسنوي: مثل اللقاءات الكبيرة السنوية أو السفر إلى الحج أو العمرة وهكذا.

١٠ ـ تخدم الإسلام: إذا وهبته جزءاً من همك، وأعطيته جزءاً من وقتك وعقلك وفكرك ومالك، وأصبح هو شغلك الشاغل وهمك وديدنك؛ فإن قمت فللإسلام، وإن سرت فللإسلام، وإن فكرت فللإسلام، وإن دفعت فللإسلام، وإن جلست فللإسلام.

١١ ـ تخدم الإسلام: كلما وجدت باباً من أبواب الخير سابقت إليه وسرت إلى الإسهام بالعمل فيه.. لا تتردد ولا تؤخر ولا تُسوف..

تأمل نعمة الله عليك

كثير اليوم شغلوا أنفسهم في غير طاعة، وبذروا أموالهم في غير طريق مشروع!

أحدهم: رهن منزله بأكثر من مليون ريال ليفك ضائقة مالية وقع فيها ناديه المفضل!

وآخر: أضاع عمره بين الاستراحات لهواً ولعباً، وثالث: أخذتْ وقته الصحفُ والمجلات، ورابع وخامس.. والكنز الثمين «الوقت» يذهب هدراً ويضيع سدىً!

لقد اشتغل الكثير بسفاسف الأمور، وتضيع منهم أنفس اللحظات وأثمن الدقائق في غير ما خُلِقوا له!

تجد لأحدهم اهتماماً دنيوياً أخذ عليه ماله ووقته وجهده.. ودينه!

أليس هذا من أعظم الحرمان؟!

ثم أليس من أعظم نعم الله عليك أن صرفك لطاعته واستعملك في عبادته؟!

وقفة:

يرى سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ أن الدعوة إلى الله تصير فرض عين عند تغير الأحوال حيث يقول: «فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات وعند غلبة الجهل كحالنا تكون **الدعوة فرض عين** على كل واحد بحسب طاقته»[١].

---

(١) الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص١٦.

الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله عزوجل هي مهمة الأنبياء والمرسلين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين من الدعاة والمصلحين قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا . . . ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويقول النبي ﷺ في حديث هو حجة علينا جميعاً: «**بلغوا عني ولو آية**».

وبعض الجن أفقه من بعض الإنس، لَمَّا نزل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] كانت نتيجة ذلك أن قام البعض بمهمة الدعوة: ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحقاف] يدعون إلى الله عزوجل: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ٣١].

ويقول الله عزوجل حاكياً عن أهل النار: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ [الملك]، وهذا يؤكد أن الداعي هو الذي يذهب إلى الناس ويقوم بدعوتهم؛ ولهذا أمر الله عزوجل نبيه ﷺ بالقيام للدعوة والعمل لأجلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر] وهذا يتطلب جهداً بدنياً ومالياً وفكرياً للقيام بذلك كله.

ورتب الله عزوجل الأجر والمثوبة العظيمة والفضل الجزيل لمن قام بذلك: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم**» [رواه البخاري ومسلم].

ويقول ﷺ: «**من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . . .**» [رواه مسلم].

والدعوة لا تحدها الحدود ولا تردها القيود؛ هذا نبي من أعظم الدعاة إلى

الله عزوجل يدعو وهو في السجن؛ الأبواب فيه موصدة، والجدران سميكة، والحراس أعينهم لا تنام، ومع هذا فهو يستفيد من كل الوسائل ويدعو مَنْ حوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف].

ونبي آخر هو نوح عليه السلام لم يمنعه طول المدة وعدم الاستجابة من السير قدماً في الدعوة مئات السنين: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت] فأين هو عليه السلام من أصحاب النفس القصير الذي يدعو مرة وثانية ثم يتوقف؟!

وأين من يكسل حيناً ويفتر حيناً آخر من نبينا محمد ﷺ وهو في النزع الأخير وقد اشتد عليه الخطب ودنا الفراق يحذر أمته ويقول: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُوْدَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [متفق عليه].

وأين الداعية الذي إذا أصابته نازلة توقف؛ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يدعو إلى الله وهو ينزف دماً ويقول: «**ردوا عليَّ الغلام**» ثم قال له: «**يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك**»؟!.

أين الداعية الذي يبخل ويشح بقليل الدراهم، وها هو أبو بكر رضي الله عنه يخرج من ماله كله؟! أين الذي يبخل ولا يخرج إلا الردىء وأبو طلحة رضي الله عنه لما سمع قول الله عز وجل: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] خرج من أحب أمواله إليه (بيرحاء) وهو بستان مورق به ماء بارد؟!

أين من يقدم نفسه ويقول بإيمان صادق: فزت ورب الكعبة؟!

أين الذين يقولون: اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى!

فهل قدمنا أرواحنا وهل خرجنا من أحب أموالنا، أم من أردئها وأقدمها؟!

كيف نصل بالدعوة؟!

لا تصل الدعوة إلى الناس إلا عبر طريقين لا ثالث لهما.

أما الأول: فهو القدوة بحسن المعاملة وطيب المعاشرة والصدق في الحديث والالتزام بالعهود وإعطاء كل ذي حقه، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] والناس يلاحظون تعاملك مع ربك، ثم مع نفسك ووالديك وزوجتك وأبنائك، ومعاملتك في الشارع، ومعاملتك مع مرؤسيك ومن تحت يدك! فكيف أنت في هذه الأحوال؟!

وقد يكون من آثار سوء القدوة الصد عن سبيل الله، فكم من شخص إذا قيل له: دع هذا عنك، قال: أنتم الملتزمون لا تدعونه. أو يقول: رأيت ملتزماً مقيماً عليه، وإن قيل لرجل كافر: لماذا لا تُسلم؟ قال: كفيلي كَرَّه الإسلام إليَّ بسوء معاملته وتأخير الراتب وفظاظة خلقه، وهكذا يكون الصد عن سبيل الله عائقاً دون انتشار الدعوة.

أما الأمر الثاني الذي نصل به إلى الناس: فهو البلاغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] والوسائل في هذا كثيرة: عبر المنبر، والصحيفة والمجلة، والكتاب، والشريط، والمحاضرة، وغيرها لا حصر لها. وقد توفر في هذا الزمن ما لم يتوفر من الوسائل والوسائط والسبل منذ عهد آدم مروراً بالأنبياء عليهم السلام وحتى نبينا محمد ﷺ فالحجة قائمة والرسالة خالدة فأين العاملون؟

وقبل أن تبدأ العمل تأمل في حديث أبي موسى الأشعري ومالاقوه من الشدائد والصعاب، حيث قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفرٍ بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي، وسقطت أظافري فكنا نلف على أرجلنا الخرق. .» [متفق عليه].

كيف أخدم الإسلام؟!

تخدم الإسلام في كل حركة وسكنة . . ليس لخدمتك منتهى ولا لها حد ولا تعرف مكاناً ولا زماناً . . بل في كل حين ووقت وزمان ومكان . . استفد من الفرص وأوجد بنفسك المناسبات، إن لم تستطع أن يتحول المجلس إلى ما تريد فلا أقل من قطع الطريق على أصحاب الغيبة والنميمة والمزاح والكذب . . اذكر قصةً رأيتها عن موت فلان من الناس، أو اذكر بعضاً مما سمعته عن مصائب المسلمين! المجالات كثيرة وطرق الخير مفتوحة؛ فقط أمسك بناصية الحديث ولا يشترط أن تكون خطيباً مفوَّهاً!

تأمل في حال نبي الله موسى عليه السلام وما كان يجد من صعوبة في الكلام ومع هذا دعا قومه، ولم يكن ذلك حاجزاً أو سبباً لتوقف دعوته عليه السلام.

قال الحسن رحمه الله ـ في وصف أناسٍ ندعو الله عز وجل أن لا نكون منهم ـ: «إن هؤلاء ملوا العبادة ووجدوا الكلام أسهل عليهم، وقلَّ ورعهم فتحدثوا».

وقال الأوزاعي: «**إن المؤمن يقولُ قليلاً، ويعمل كثيراً، وإن المنافق يتكلم كثيراً ويعمل قليلاً**».

فاللهم لا تجعلنا من أولئك واجعلنا من عبادك الصالحين.

أخي المسلم:

يكفي أنه تحرك بداخلك شعور طيب جعلك تتساءل كيف أخدم الإسلام؟!

بقي الجواب منك، وليكن جواباً عملياً.

متى تعمل؟!

أيها المسلم ـ يا من رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً إني سآئلك فأجب فنحن أحبة وإخوة!

إذا لم تعمل في شبابك ووقت نشاطك فمتى سوف تعمل! إذا هرمت وشخت وحملت العصا؟!

إذا لم تعمل وأنت صحيح الأعضاء تسير بقوة وتسمع بوضوح وترى عن بُعد!

إذاً متى تعمل؟! إذا قَلَّتْ أموالك وكثر دائنوك؟!

متى تعمل إذا تركت مكاناً لن تعود إليه مطلقاً «مثل الجامعة» «أو المدرسة»؟

متى تعمل إذا مت وانتقلت إلى مثواك وقبرك؟!

إذاً متى تعمل؟!

أنت في هذه الحياة! أمامك أبواب مفتوحة، وطرق ممهدة، وجدد سالكة، فإذا أُغلقت الأبواب وحيل بين جسمك وروحك انقطع العمل!

قالت صفية بنت سيرين: «يا معشر الشباب خدوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب».

من خدمة الإسلام

تتنوع وسائل وطرق خدمة الإسلام ومنها:

أولاً: إشاعة كل عمل إسلامي تراه أو تسمع به فتدل عليه وتخبر عنه ولك مثل أجر فاعله، ويكون ذلك حديثاً في المجالس أو نشرة عبر الصحف والمجلات والإذاعة، أو من خلال المدرسة أو الجامعة أو التجمعات العائلية أو غير ذلك.

ثانياً: الدفاع عن العلماء والدعاة والمصلحين ورد غيبتهم؛ وذكر محاسنهم وفضائلهم، ونبذ أولئك الذين لاهَمَّ لهم إلا الحديث عن العلماء وتصيد هفواتهم وزلاتهم، يقول النبي ﷺ: «**من ردَّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**» [رواه أحمد].

ثالثاً: التحدث بفضائل هذا الدين ومحاسنه، وإزالة الالتباس الذي زرعه الفكر السيء الدخيل على الأمة ومن المواضيع المطروحة: تكريم المرأة في الإسلام، حقوق الأطفال، الطلاق وما هي ضوابطه الشرعية وكيف شُدِّدَ في عدم التساهل فيه، تربية الأبناء والحرص على تنشئتهم النشأة الصحيحة، حقوق الزوجة المادية والمعنوية، تعدد الزوجات وما فيه من المصالح العظيمة وفق الضوابط الشرعية، الإنجاب وكيف سعى الأعداء إلى تحديده، وهكذا تساهم في إزالة ما علق في أذهان الناس من تشويه لهذه الأمور!

رابعاً: بطاقات دعوة الأفراح تباهى الناس فيها كثيراً، لكن من أجملها ما يقدم بشكل جميل أنيق بسيط، فيقوم الموفق بإعداد هذه البطاقات عن طريق الكمبيوتر والطابعة الملونة إذا توفرت، أو عن طريق الخدمات الطلابية التي

تقدم مثل هذه البطاقات الجميلة وتوضع الدعوة داخل علبة تحوي كتاباً وشريطاً، وقد رأيت أحد الشباب وقد فرَّغ نفسه لهذا العمل لدى أهل قريته فهو الذي يطبع البطاقات ويشتري الكتب والأشرطة فنفع الله بجهده نفعاً عظيماً.

خامساً: امرأة فاضلة وداعية موفقة أُدخلت المستشفى ورغم ما لها من وجاهة ونسب إلا أنها رفضت أن تكون في غرفة مستقلة وقالت: أبقى مع المريضات في غرفة مشتركة حتى أدعوهن، وكان لها ذلك، فتوطدت علاقتها بالمريضات ودعتهن إلى الأخذ بالأسباب والتوكل على الله عزوجل وأوضحت لهن في أيام ما لا يستطيع غيرها في شهور، لقرب المكان وكثرة الفراغ.

سادساً: امرأة إذا ذهبت للحرم المكي أو المسجد النبوي بذلت نفسها لتعليم المسلمات أمور دينهنَّ، وحثهنَّ على الحجاب الشرعي، إحداهن رأت مجموعة من الفتيات من دولة عربية كاشفات الرأس وعندما سألت عن حضور الشابات بهذه الصورة، قلن لها: «نحن عضوات فريق كرة الطائرة في بلد.. وأتينا للعمرة»، عندها بدأت الموفقة في الدعوة إلى الله عزوجل فما خرجت حتى تحجب بعضهن؛ وقد رأيت رسالة من إحدى اللاعبات أرسلتها إلى الداعية من بلدها وبشرتها بأنها بدأت تبث في نفوس اللاعبات التمسك بالحجاب والستر والعفاف!

فانظر ـ أخي القارئ ـ إلى الأثر الكبير.. والتحول السريع من لاعبات كرة طائرة.. سافرات كاشفات، إلى متحجبات متسترات!

سابعاً: أحد المدرسين لما عُيِّن مدرساً في منطقة بعيدة عن بلده، شمَّر لأمر الدعوة وسارع إلى الخير، ولكن الأبواب كانت أمامه موصدة والطرق شائكة ولم يجد وسيلة وطريقاً للدخول إلى أهل القرية، وعلم أنهم يمضون مساءهم في الحديث عن أمر يهمهم جميعاً وهو الرعي فغالب حديثهم عن الغنم ومن باع ومن

اشترى وكم لدى فلان وما هي مشاكل علان، فما كان منه إلا أن اشترى غنماً وبدأ يرتاد منتدياتهم يسأل عن أمراض الحيوانات ويستفسر عن أفضل الأسواق؛ وهكذا حتى تمكن منهم.. ومضت سنة كاملة والرجل يعمل بجد وإخلاص عبر الشريط والموعظة والتعليم والتدريس، حتى فتح الله على يديه القلوب والعقول، ولما أراد السفر قام جمع منهم بمحاولة ثنيه عن ذلك، ولكنه قال: هاكم الأغنام فلست بصاحب لها وليست بصاحبةٍ لي إنما كانت طريقاً إلى مجالسكم!

واليوم قلَّ أن تجد أحدنا يستفيد من الأماكن التي يذهب إليها بشكل يومي أو شهري، مثلاً محطات البنزين التي كم بها من عامل مسلم أو كافر! هل ناولناهم كتاباً وشريطاً ونحن وقوف ننتظر تعبئة البنزين؟! إنه سؤال محرج أن نظل نقف بشكل أسبوعي أمامهم لمدة سنوات ولا نعمل شيئاً؟!

* وآخر فرَّغَ نفسه لمتابعة السلال التي توضع في حوائط المستشفيات وذلك لإمدادها بالكتب والمطويات.. وكان العبء كبيراً لكن الهمة العالية تقطع الطرق وتشتري الكتب وتصبر على الحر والقر! إنه توفيق من الله عز وجل الذي جعله يعمل في طاعته واستعمله في مرضاته!

* وأخرى لا تذهب لأقاربها إلا ومعها مشروعٌ خيريٌ تطرحه.. مرة كفالة داعية، وأخرى كفالة يتيم، وفي مواسم رمضان تفطير صائم، وفي شهر ذي الحجة تطرح مشروع الأضاحي، وفي الصيف حفر الآبار، وفي الشتاء بطانية الشتاء، وهكذا..

لقد فُتح لك الباب

أبواب الدعوة كثيرة جداً ولكلٍ منا أن يطرق ما يناسب قدراته وملكاته من وقت ومال وفكر وعلم! والبعض يفتح الله له باباً من أبواب الخير وتراه يلج فيه ويسارع إليه، لكن ما إن تمر أيام أو تعصف أدنى مشكلة، أو تقف أمامه عقبه إلا رجع وترك هذا الطريق. بعضهم يترك المكان لأن فلاناً من الناس يعمل في ذاك المكان وهو لا يريد هذا الرجل، وآخر يتعذر أعذار أخرى واهية؛ مثل عدم وجود الإمكانات الكبيرة والاستعدادات التامة، وآخر لأن المكيفات لا تعمل وهكذا..

وأعرف بعض الشباب دخل في طريق خير ولكن الشيطان لبَّس عليه بأمور يسيرة فارتد على عقبه وترك أمر الدعوة وضاعت عليه سنوات من عمره بدون عمل دعوي، وآخرون سمعت أنهم ـ والعياذ بالله ـ قد أصابهم الوهن وعلت قلوبهم الانتكاسة. ـ نسأل الله السلامة ـ وما ذاك إلا أنهم فُتح لهم باب فأعرضوا عنه، وقد لا يفتح هذا الباب مرة أخرى، فاستمسكِ بالذي أنت فيه، فَسِرْ ولا تدع الفرصة، فإن عمرك فرصة، والأيام تطوى والمراحل تقضى.

كتب عبدالله القمري العابد إلى **الإمام مالك** يحضه على الانفراد والعمل فكتب إليه مالك ـ رحمه الله ـ: «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فُربَّ رجل فُتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر».

احـــــذر!

شرف عظيم ونعمة عظمى من الله عزوجل أن جعلك تخدم الإسلام واحمد الله أن يسر لك هذا الأمر.

ومما يبطء العمل وقد يوقفه أمور لا تخفى على فطن مثلك ومنها:

* **احذر الكسل والفتور**: فإنه يقعد عن العمل ويضيع الأوقات والفرص والمناسبات، وربما تحوَّل إلى داء يستمر معك ولا يتركك.

* **احذر الرياء والسمعة**: فإنه يقتل العمل وقد يحبطه.

* **تجنب حظوظ النفس**: التي من أبرزها الأنانية ونسبة الأعمال إليك، وتقليل عمل من كان معك.

* **تجنب التذمر والتشكي**: فإن ذلك من أنواع المَنّة ـ والعياذ بالله ـ، بل كن صامتاً محتسباً.

* **إياك والانقطاع عن العمل**: كثير يأخذه الحماس ليوم أو يومين لكنه بعد ذلك يتوقف، والعمل المستمر حتى وإن كان قليلاً فإنه أدعى للاستمرار يقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**».

* **تجنب الحقد والحسد والكبر، وطهر قلبك.**

قال **الغزالي**: «والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم، ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها، كلاب نابحة، فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب».

* **ابتعد عن الاندفاع والعجلة**: مَنْ عمل في المجال الدعوي يرى أن

الساحة تحتاج إلى أضعاف الجهود المبذولة، وقد يدفع هذا بالبعض إلى التسرع والعجلة رغبة في تحصيل الخير وسد الثغرات. والعمل الدعوي يحتاج إلى الأناة وعدم العجلة والتريث وإعطاء الأولويات حقها.

ولذا كان التوقف هو داء الأدواء وأخطر الأمراض، وحديث النبي ﷺ: «**خير العمل أدومه وإن قل**» نبراس لمن أراد العمل.

وليكن الرفق حاديك ولصيقك فإنه أدعى للقبول، وقد كان الأنبياء عليهم السلام ديدنهم الرفق بأممهم والمجادلة بالتي هي أحسن استجابة لأمر الله تعالى وسعياً نحو فتح القلوب، وقد أمر الله موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بالرفق بفرعون ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طـه]، وفي الحديث: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» [متفق عليه].

* **احذر حُبَّ الرياسة والتصدر**: فإنها مهلكة للنفس الضعيفة جالبة للرياء والسمعة، قال الفضيل بن عياض: «ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناسُ أحداً عنده بخير، ومن عشق الرياسة فقد تُودِّع من صلاحه».

* **ابتعد عن مواقف التهم**.

أنت في عين المجهر وتحت الأنظار، الحركة تحسب عليك والزلة تحط من قدرك، ومن يتصيد الأخطاء كثر من الكفار والمنافقين ومن في قلوبهم مرض؛ بل وبعض الأخيار بحسن نية أو بجهل. روى البخاري في صحيحه أن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يقلبها ـ أي يردها إلى منزلها ـ حتى إذا بلغت باب المسجد مرَّ

رجلان من الأنصار، فسلَّما على النبي ﷺ فقال لهما: «**على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي**»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكَبُرَ عليهما، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً**».

قال **ابن حجر**: «وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان».

وقال **ابن دقيق العيد**: «وهذا متأكد في حق العلماء، ومن يُقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم».

* **احذر اليأس، وعليك بالتفاؤل وحسن الظن بالله عز وجل**: فإن هذا باب لانشراح الصدر وزيادة العمل؛ في غزوة الأحزاب وقد بلغت القلوب الحناجر وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً في وسط هذا الجو المظلم والموضع الحرج يبشر النبي ﷺ الصحابة بسواري كسرى، حتى قال البعض: يذكر لنا سواري كسرى وأحدنا لا يستطيع أن يذهب ليقضي حاجته.

إنه بعث الأمل وإشاعة التفاؤل في المجتمع وبين الناس وأثره واضح جلي.

في جنب هؤلاء!

منارات شامخة وعلامات بارزة في تاريخ أمة الإسلام أولهم نبي هذه الأمة ﷺ؛ ماذا ناله من البلاء والمصائب؟! فقد أوذي في جسده وأُلقي عليه جزور الإبل عند الكعبة، وقيل كاهن وساحر وكذاب، وحوصر في شعب عامر سنوات، وأُلقيت عليه الحجارة حتى أدمي عقبه، وطرد من بلده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وهو يودع مكة أحب البقاع إليه. ثم هو في المدينة يعاني من المنافقين ومن اجتماع المشركين على قتاله والطعن في عرضه الشريف! مصائب وبلاءات متتالية فما وهن ولا تنازل عن دينه!

وأنت أيها الحبيب وقعت في فتنة عظيمة من نوع آخر، فها أنت تُبجل وتُقدر وتُدعى للولائم والأفراح ولك منزلة بين الناس! ثم لا نراك ـ ولله الحمد ـ تتعرض لكلمة نابية ولا للفظة جائرة! فما هذا التكاسل والهوان والضعف! والله لو جرى خلفك رجل يسمع الناس بقوله: هذا كاذب، أو ساحر، لترك الكثير العمل إلى الدين ورفعته، كيف وأنت لم يصبك شيء من ذلك!!

ثم إنْ أصابك شيء من الأمر فأنت مُبتلى يضاعف الله لك الأجر، ويمحص دينك، ويطهر قلبك، ويرفع درجتك! انظر إلى الفجار والفساق كيف هم يعانون ومع هذا يصبرون ويواصلون المسير: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص].

وقفـــات

* قال الشيخ **عبدالرحمن السعدي** رحمه الله: «ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين».

* قال **ابن ضبارة**: «إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذاب الله تعالى. . فاصبروا ـ يا عباد الله ـ على عمل لا غنى لكم عن ثوابه، واصبروا على عمل لا صبر لكم على عقابه».

* قال **ابن القيم** في الفوائد: «قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد».

* قال **أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي**: «عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عما خالفك، فأقول: لا أسكت»[1]. .

أخـي المسلم: أسهم لرفع راية هذا الدين وليكن همك وتفكيرك في كل حين كيف أخدم هذا الدين؟ وأنت إنما تخدم نفسك بجمع الحسنات، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات. .

واعلم أن من إعراض الله عن العبد أن يستغله فيما لا فائدة تعود عليه. وانظر في حالك وساعاتك وأيامك؟!

---

(١) كما في تذكرة الحفاظ: (٩/ ١١٨٤).

همسة

إذا عملت في خدمة هذا الدين نالك الخير العظيم والأجر الجزيل من الله عزوجل وهذا هو مطلب كل مسلم. ولكن قد يعترض طريقك بعضُ العقبات اليسيرة والحواجز الوهمية ومن تلك:

١ ـ **تصيد الأخطاء**: وهذا منهج ـ والعياذ بالله ـ ابتلى الله به بعض الناس من الذين لا هَمَّ لهم ولا عمل سوى تصنيف الناس والبحث عن زلاتهم وأخطائهم، ومعلوم أن كل من يعمل يخطئ ويقع منه هنات، ولكن من لا يعمل لا يخطىء مطلقاً! ولقد رأيت من يتحدثون في المجالس ليس لهم عمل دعوي إطلاقاً، وصرفهم الله عز وجل إلى الغِيبة والتثبيط والوقوع في الأعراض.

قال **الإمام الشعبي**: «لو أصبت تسعاً وتسعين، وأخطأت واحدة: لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين».

وفي تصيد الأخطاء والزلات لذاتها (لا للإصلاح) طريق غير سوي ينبىء عن قلة دين وفساد قصد وسوء طوية ـ والعياذ بالله ـ.

قال **ابن القيم** رحمه الله: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسان، حتى يرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يزل منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول».

واعلم أيها الداعية الموفق أن من يعمل في الساحة معرَّض للخطأ والزلل، فاحرص على قبول النصيحة وإصلاح الخطأ. . ثم بعد ذلك لا يهمك حديث الناس في المجالس والمنتديات، فهؤلاء شبههم **شيخ الإسلام** بالذباب.

يقول رحمه الله: «إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً داءً، ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك مواضع البرد والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج».

ثم ليطمئن قلبك وتهدأ جوارحك فإن الناس لا يتركون أحداً، قالوا عن الله عز وجل: ثالث ثلاثة، وقالوا: اتخذ الله ولداً، وقالوا عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ساحر ومجنون. . وهكذا هم. ومن ظن أنه يسلم من كلام الناس فهو مجنون، ورضا الناس غير مشروع وغير مقدور!

وليكن لك سلوى: أنهم يهدون إليك حسناتهم ويدفعون لك الأجر دون مقابل! بل هذه عقوبة المغتابين.

ولكن هنا ملاحظة مهمة وهي حرصك على قبول النصيحة من الناصحين إذا أخطأت وزلت بك قدم، وعليك بالعودة والرجوع عن خطئِك طلباً لمرضاة الله عز وجل.

في منتصف الطريق!

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن لم يكن العبد في تقدم فهو في تأخر ولابد، فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق، وإما إلى أسفل، وإما إلى أمام، وإما إلى وراء وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة. ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إما إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف البتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير وفي السرعة والبطء ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المدثر]، ولم يذكر واقفاً، إذ لا منزل بين الجنة والنار ولا طريق لسالك غير الدارين البتة، فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة، فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة».

الدعوة في بيوتنا

حين يكون الحديث عن أمر الدعوة إلى الله يظن البعض أن الأمر متعلق بالصين والهند والشرق والغرب. وما علم أن الأمر من تحته وأقرب إليه من ذلك كله!

فأول أمور الدعوة أن يأخذ الإنسان نفسه على الحق وهذه أعظم دعوة. يتوب من المعاصي والذنوب ويستزيد من الصالحات ويحافظ على النوافل قدر المستطاع.. ولا بد أن يُحدِثَ له توبة من ترك النوافل والمستحبات فيتوب من تضييع السُّنن الرواتب، ويتوب إلى الله من التفريط في المسارعة إلى الصف الأول، ويتوب إلى الله من هجر القرآن، ويتوب إلى الله من قلة ذكره سبحانه وتعالى، ويتوب إلى الله من إضاعة الأوقات دون فائدة.

ثم هو مع هذا كله يبدأ خطوة في إصلاح منزله وأولهم والداه وزوجته وأبناؤه وقرابته كلٌّ بحسبه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

ويسهم بين حين وآخر في محاولة دعوة أسرته وقرابته في الاجتماع الأسبوعي أو الشهري، ويعين أهل الحي وخاصة الجيران على الصلاة وتفقد أبنائهم.. إنها قائمة طويلة لو تتبعتها لوجدت في نهايتها صلاح المجتمع بعامة!

ونحتاج لتحقيق ذلك كله إلى أمرين هامين:

الأول: الرفق واللين. فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ويقول الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

الثاني: الاستمرار والمداومة، فإن البعض يدعو مرة ثم يتوقف، والأمر

ليس بذاك، بل هو أمر مستمر ودعوة قائمة حتى يموت الإنسان؛ ونوح عليه السلام مضى عمراً طويلاً يقارب الألف عام، وهو يدعو، والنبي ﷺ مكث سنوات وليس معه إلا الرجل والرجلان، وما وَهَنَ، أو تراجع، أو توقف.

فتـــوى

*** سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية هذا السؤال وأجابت عليه بالفتوى رقم ٢٠٠٦٢ .**

هل طباعة الكتب الشرعية الصحيحة ينتفع بها الإنسان بعد موته ويدخل في العلم الذي ينتفع به كما جاء في الحديث؟

الجواب: طباعة الكتب المفيدة التي ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم هي من الأعمال الصالحة التي يثاب الإنسان عليها في حياته ويبقى أجرها ويجري نفعها له بعد مماته ويدخل في عموم قوله ﷺ فيما صح عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وكل من ساهم في إخراج هذا العلم النافع يحصل على هذا الثواب العظيم سواء كان مؤلفاً أو معلماً أو ناشراً له بين الناس أو مخرجاً أو مساهماً في طباعته كل بحسب جهده ومشاركته في ذلك(٢).

أخـي المسـلم:

هذا باب خير عظيم أمامك. فالأموال متيسرة ولله الحمد، والكتيبات متوفرة بأسعار زهيدة، والبريد قائم والقبول من الناس واضح جلي فماذا تنتظر؟!

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي والإمام أحمد.

(٢) فتوى رقم (٢٠٠٢٦).

من يحمل همَّ هذا الدين؟!

يحمل هم هذا الدين أبناؤه البررة رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيباً وشباباً! على اختلاف مستوياتهم العلمية والوظيفية.. فالأمر كله في النهاية.. كالقافلة التي تسير في الصحراء قاصدة مكاناً معيناً، وتجد في هذه الراحلة مختلف الناس أصحاء وأقوياء وضعفاء ومساكين، وشباباً وشيباً ورجالاً ونساءً، ومتعلمين وجهلة.. لكن لكل فرد دور محدد في هذه الرحلة، فهذا دليل يعرف المواقع، وآخر يسقي الماء، وثالث يتابع سير القافلة ويتفقد الجميع، ورابع، وخامس.. وهي بهذه المجهودات مجتمعة تسير ولا تتوقف ولا يكون فيها خلل أو نقص!

قال **علي بن أبي طالب** ـ رضي الله عنه ـ: «قيمةُ كل امرىء ما يحسنه».

وقد كان السلف متباينين في القدرات والطاقات، وكل أخذ بالعمل الذي يجيده، وبعضهم جمع أكثر من عمل، فمنهم من كان في الإنفاق رأساً كأبي طلحة وعثمان بن عفان، ومنهم من كان مجاهداً صابراً وفتىً مغواراً كعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهم.

ومنهم من كان خطيباً مفوهاً وشاعراً مقدماً مثل حسان بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

لا تطلب الجزاء

مَنْ قام بأمر الدعوة أحياناً تدعوه نفسه إلى النظر فيما يقول الناس عنه، وما يقومون له من شكر، أو يفسحون له في مجلس، أو يخدمونه في أمر من أمور الدنيا، وهذه قد تثلم إخلاصه. فهو إنما قدم العمل لله عز وجل لا لطلب الجزاء أو الشكر أو رد المعروف كما يقال!

قال **ابن تيمية** رحمه الله: «. . . ومن الجزاء أن يطلب الدعاء، قال تعالى عمن أثنى عليهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان] والدعاء جزاء كما في الحديث: «**من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**». وكانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل ما دعو لنا ويبقى أجرنا على الله.

وقال **بعض السلف**: إذا قال لك السائل: بارك الله فيك، فقل: وفيك بارك الله، فمن عمل خيراً مع المخلوقين سواء كان المخلوق نبياً أو رجلاً صالحاً أو ملكاً من الملوك أو غنياً من الأغنياء فهذا العامل للخير مأمور بأن يفعل ذلك خالصاً لله يبتغي به وجه الله، لا يطلب به من المخلوق جزاء ولا دعاء ولا غيره، لا من نبي ولا رجل صالح ولا من الملائكة، فإن الله أمر العباد كلهم أن يعبدوه مخلصين له الدين»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٨٠).

تيسر أمر الدعوة

من نعم الله عزوجل أن وسائل الدعوة وسبلها سهلة ميسرة لكل فرد، ومما نراه من ذلك:

١ ـ قبول الناس للحق بشكل منقطع النظير وهذا ملاحظ مشاهد، وأحياناً تغيب فترة عن رجل ما وتقابله بعد حين فإذا حاله قد تبدلت، والبعض تلقي إليه بكلمة فإذا به يتمسك بك كالغريق يريدك أن تزيده! ولهذا سَمَّى الكثير هذه السنوات بسنوات العودة إلى الله عزوجل.

٢ ـ نعمة الحياة التي أنت فيها من أعظم النعم للقيام بأمر الدعوة. وعمرك سنوات قلائل فإن استثمرتها وإلا ضاعت عليك سدى. وأنت اليوم في دار مؤقتة فاعمل لدار باقية خالدة.

٣ ـ أنعم الله علينا بأموال طائلة كثيرة! ونصرف منها على توافه الأمور والكماليات الشيء الكثير! وأمر الدعوة أوجب وألزم وأبقى وأدوم وقد وعد الله عزوجل بمضاعفة الأجر للمنفقين ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . .﴾ [البقرة: ٢٤٥]!.

٤ ـ الصحة والعافية نعمتان تُعينان على العمل دون عوائق.. وقد رأيت مريضاً في الطائف لا يتحرك سوى رأسه فقط ويعمل ـ وفقه الله ـ في الدعوة داخل المستشفى، وأسلم على يديه بعض الكفار من الممرضين والممرضات، ويناصح كل من يقابله أو يراه، بل ويخاطب المسؤولين في أمور عامة!.

٥ ـ العلم الشرعي نعمة عظيمة ولا حد لنشر الدعوة والنبي ﷺ يقول: «بَلِّغُوْا عَنِّيْ وَلَوْ آيَةً» وكثير اليوم لديه من العلم الشرعي الكثير ولكنه لا يعمل

لإيصاله، ومع توفر الوسائل والسبل يستطيع حتى العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب أن يسهم في الدعوة عبر وسائل متاحة، منها توزيع ونشر الكتاب، والشريط، وغير ذلك.

٦ ـ الاستفادة من الوسائل الحديثة مثل الهاتف والاتصالات كالإنترنت، وسرعة خدمة البريد، فهذه وسائل لم تكن متوفرة من قبل.

٧ ـ توفر الكتاب والشريط الإسلامي بمبلغ زهيد وما رأينا مثل هذا الزمن الذي يطوف فيه العلماء القارات الخمس وينشر علمهم عبر الأثير! بريال واحد قيمة كتاب قد يُسلم بسببه كافر أو يهتدي ضال!.

٨ ـ عدم وجود مؤثرات قاطعة تؤثر على انتشار هذا الدين في كل مكان بلا استثناء، وتأمل في حال الرسول ﷺ وكيف رمت العرب والعجم بسهم واحد من كنانتها نحوه ﷺ، وأنت أيها الحبيب من منعك من أمر الدعوة؟ وهل نشر رأسك نصفين لتخشى العمل وتتوقف؟! بل نرى تاجر ومروج المخدرات أكثر من البعض همة وحماساً لنشر فساده!.

نكتة لطيفة

قال ابن القيم رحمه الله: «وها هنا أمر يجب التفطن له: وهو أنه قد يكون العمل المعيَّنُ أفضل منه في حق غيره، فالغني الذي بلغ له مال كثير ونفسُه لا تسمحُ ببذل شيء منه فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة. والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته فوقوفه في الصف ساعة، وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع. والعالم الذي قد عرف السنة، والحلال والحرام، وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة، وقراءة القرآن والتسبيح، ووليُّ الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده: جلوسه ساعةٌ لنظر في المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر المحقِّ وقمع المبطل أفضلُ من عبادة سنين من غيره، ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه له أنفع وأفضلُ من ذكر غيره وصدقته»[1].

(١) عده الصابرين ص٩٣.

مـــواقـــف

* ذهبت إلى الطائف قبل سنوات واضطررت أن أزور المنطقة الصناعية لعمل عطل يسير في سيارتي استمر إصلاحه أقل من ساعة. وكان معي أحد الشباب وناول العامل العربي كتاباً، فانفجر بالدعاء وقال: لي هنا خمسة عشر سنة ولا أصلي مطلقاً ولم يناولني أحد كتاباً إلا اليوم!

قلنا: إن صدق الرجل فتلك مصيبتان عظيمتان: مصيبة ترك الصلاة، ومصيبة عدم دعوته!

* شاب جعل هدفه منذ عشر سنوات خدمة الفقراء والأيتام في الأحياء الفقيرة، وبدأ هذا العمل وهو طالب في الجامعة، ثم استمر حتى أُذن له بإنشاء مبرة خيرية في وسط الحي، ولا يزال بنفس الهمة والنشاط. بل ويعرف الفقراء والأيتام بأسمائهم فرداً فرداً، وقد جعل مع التوزيع الشهري كتاباً وشريطاً حتى يجتمع لدى المحتاجين غذاء للقلب والجسم!

* تؤانس طريقك في السفر لوحات جانبية صغيرة كتب عليها عبارات تُذكِّر بالتسبيح أو التهليل أو التكبير أو الصلاة على النبي ﷺ، وهذه تزيل وحشة الطريق وتُذكر الغافل، فطوبى لمن قام بها وأحسن الله إليه كما أحسن إلى المسافرين، وبعضهم فكر أن يقوم بعمل مثل هذه الكلمات الطيبة في اللوحات الإرشادية في المدن، وذلك باستئجار اللوحات الدعائية بمبلغ من المال.

* أحدهم ذهب إلى موقف النقل الجماعي وسلَّم للإدراة مجموعة كبيرة من أشرطة القرآن الكريم واشترط عليهم جعلها في الحافلات المغادرة حتى يسمع الركاب كتاب الله عز وجل. وزوَّدهم بعد حين بأشرطة العلماء والمشايخ وخص

الحافلات المسافرة إلى مكة بأشرطة توضح صفة العمرة والحج.

* قصة عجيبة ذكرها لي أحد الأفراد العاملين في دعوة الجاليات قال: ذهبت إلى فندق لمقابلة شخص وانتظرته في صالة الفندق، وكان بجواري رجل فلبيني تجاذبت وإياه أطراف الحديث وقال لي: أقوم الآن ببناء مسجد في الفلبين. يقول الداعية لما ذكر لي حال المسجد وكم تبقى من المبالغ أدخلت يدي في جيبي وأخرجت ورقة وكانت من فئة الخمسمائة ريال، قال: فنازعتني نفسي، المبلغ كبير، وقد يكون الرجل غير صادق، لماذا الحماس والعاطفة السريعة؟!، ولكن لما رأيته شاهد الخمسمائة ريال استحييت منه ودفعتها له، وقلت: هذه مساعدة لبناء المسجد، قال: فأعادها إليَّ وقال: أنا أبني المسجد من مرتبي ولا أقبل أن يدخل معي أحد، وكل شهر أستقطع من مرتبي لبناء هذا المسجد.

قال الداعية: فزاد حزني على سوء الظن وما نالني من البخل والشحّ!

* إحداهن تسعى إلى إسعاد الفقراء والمساكين وتفريج كربهم، وإدخال السرور على نفوسهم، يوماً قالت لأحد أبنائها: هذه مئتا ريال اشتر مطبقاً (نوع من الأكل) واذهب به إلى هذه البيوت بعد صلاة العشاء مباشرة حتى يفرح الفقراء مع أطفالهم بهذه الوجبة التي ربما لم يسمعوا عنها، أو سمعوا عنها ولم يأكلوها!

* مع كثرة ما نراه من الملتزمين إلا أن عملهم في الدعوة إلى الله عز وجل قليل جداً، ولذا كثر الخبث وزادت الشرور وتعالى أهل الفسق والفجور!

وأذكر أني قد زرت مكتباً من مكاتب الجاليات، ودار الحديث عن منطقة صناعية بجوارهم وماذا قدموا للعاملين الذين لا يأتون إليهم، قال لي مدير المكتب: توجد لدينا سيارة (حافلة) فاملؤوها بالكتب ونجعل معك عاملاً

يساعدك، فقط نريد شخصاً سعودياً يكون في المقدمة للحديث والهيبة وحتى تكون الأمور متكاملة! ودارت الأيام، وكلما رأيت مجموعة من الشباب ذكرت لهم حاجة المكتب؛ وحسب علمي أنه لم يأتهم أحد بشكل مستمر!

وبدون هذه القصة نتساءل: كم عدد مكاتب الجاليات وعدد مكاتب المؤسسات الخيرية والإغاثية وجمعيات البر في مدينة الرياض مثلاً أو جدة؟! إنها أعداد مباركة، لكن كم عدد العاملين بها من المتعاونين مقارنة بعدد الملتزمين في الرياض؟! إنهم قليل جداً مع تنوع الفرص ومواقع هذه المكاتب واختلاف طرق العمل وغيرها، بمعنى أن هناك فرصًا كثيرة متاحة، لكن من يعملون قلة وقلة جداً! وقارن واسأل لتتأكد، ثم الطامة الكبرى أين يذهب الملتزمون الذين لا يعملون في الدعوة؟! إنه ضياع أوقات وجلسات غيبة ونميمة، وقلَّ منهم من استفاد من وقته في تحصيل علم، أو بِرِّ والدين، أو عمل دعوي فردي، أو غير ذلك!

إمام المسجد

لإمام المسجد دور كبير وفاعل في نشر الدعوة في حيه، ومن أبرز الطرق التي نعرفها: قراءة درس يومي في أحد الكتب المعتمدة، واستقطاب الدعاة والعلماء لإلقاء المحاضرات، وكذلك تفقد أهل الحي والجيران، وإقامة حلق تحفيظ القرآن الكريم والعناية بها، وغير ذلك من الأعمال العظيمة؛ ومن أجمل وسيلتين دعويتين سمعت بهما:

الأولى: أحد الأئمة الموفقين مع نهاية العام الدراسي وزع إعلاناً على جميع بيوت الحي أخبرهم فيها بأن هناك جوائز للناجحين في جميع المراحل، وعَدَّدَ أسماء الجوائز وأنها قيمة؛ واشترط إحضار صورة الشهادة دون النظر إلى التقدير، كما اشترط حضور ولي الأمر كشرط أساسي.

فكان أن بدأ الحفل بعد صلاة المغرب وقد غصَّ المسجد بالمصلين من أولياء الطلبة، بعضهم لأول مرة يدخل المسجد. وبعد الصلاة كانت هناك محاضرة جيدة لأمثال هؤلاء. ثم توالت فقرات الحفل وتلتها صلاة العشاء ثم وزعت الجوائز. فكرة كانت موفقة وجيدة، أتم الأمر بأن جعل من ضمن الهدية الأساسية للطفل كتباً وأشرطة لإصلاح البيوت.

وفي نهاية الحفل حدد موعداً بعد شهر لإلقاء محاضرة ومسابقات مثل هذه، قال الإمام: اجتمع أناس لم أرهم من قبل واكتظ المسجد بالمصلين أكثر من يوم الجمعة.. وهكذا الصغار يأتون بآبائهم.

الثانية: إمام مسجد موفق اقترح على بعض الجيران وضع مظروف بلاستيكي كبير يوضع فيه مجلد في العلم الشرعي مضافاً إلى ذلك كتاب وشريط

ومجلة شهرية يوزع باشتراك شهري مخفض. ليصل إلى كل بيت في السنة ١٢ مجلداً متنوع العلوم، منها في التفسير، والحديث، والفقه، والسيرة، وغيرها، وبهذا يتكون في كل بيت مكتبة إسلامية صغيرة، هذا عدا الأشرطة والكتيبات والمجلات الإسلامية؛ ووضع أيضاً اشتراكاً ممتازاً لمن أراد أن يسهم في الخير؛ ويرسل هذا الإهداء إلى جيران لم يشتركوا في هذا البرنامج.

قلت لذلك الإمام: ليتني جاركم ليحصل لي هذا العدد من المجلدات والأشرطة والكتب. قال: أبشرك بدأت بمسجدي والآن لدي اشتراكات من أماكن أخرى. وفي مدينتي ستة مساجد بدأت بتطبيق هذا البرنامج.

ومن وسائل النهوض برسالة المسجد في الحي:

أ ـ إقامة حلقة ثابتة لتعليم أبناء الحي القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبعض الآداب الإسلامية وأخذ الطلاب المتميزين منهم إلى العلماء وطلاب العلم في زيارة لهم.

ب ـ زيارة المتخلفين عن صلاة الجماعة والسؤال عن حالهم، وتذكيرهم بأهمية الصلاة في المساجد مع إهدائهم بعض الكتيبات والفتاوى والمجلات النافعة والأشرطة المفيدة.

ج ـ تنظيم دورية لأهل الحي كل نصف شهر ـ وتكون بعيدة عن الإسراف والتبذير ـ ويتخللها بعض الفوائد النافعة. ويعالج من خلالها أوضاع الحي المختلفة.

د ـ وضع مسابقة ثقافية كل أربعة أشهر لكافة سكان الحي بحيث تصل هذه المسابقة كل منزل وترصد لها الجوائز المناسبة.

هـ ـ استضافة بعض طلبة العلم لإلقاء كلمة إرشاد وتوجيه في مسجد الحي

بين فترة وأخرى، ولتكن كل أسبوعين مثلاً.

و ـ زيارة أصحاب التموينات والأسواق التجارية وتذكيرهم بحرمة بيع الدخان والمجلات الفاسدة وإعطاؤهم الفتاوى الصادرة بهذا الشأن، ومقاطعتهم حتى ينتهوا عن بيع ما حرم الله، وكذا أصحاب محلات بيع الشيش وأشرطة الغناء، وصوالين الحلاقة وتذكيرهم بالحديث النبوي: «كل جسد نبت من السحت فالنار أولى به». والسحت هو الحرام.

وأعمال إمام المسجد لا حصر لها من متابعة الأيتام والأرامل والمحتاجين، وغيرها كثير.

الدعوة في المدارس

المدارس من أهم محاضن الدعوة والتربية، بل هي المكان الأوسع لذلك، والمعلم الذي يحمل هَمَّ هذا الدين هو أمة في رجل. . . ولإحياء ذلك أطرح بعض المقترحات التي سمعت بها أو رأيتها، ومنها:

١ ـ القيام بعمل نشاط ثقافي شهري تبذل فيه الهدايا القيمة، ويوضع كتاب كل شهر مع مسابقة تكون جوائزها كتاباً وأشرطة أو غيرها من الهدايا المرغوبة لكل عمر من الأعمار، وهكذا يكون في كل عدد زيادة في المشتركين والمشتركات مع ما يصل إلى البيوت من الهدايا الدعوية القيمة.

٢ ـ التركيز حين الدرس على الدعوة وإشعار الطلاب والطالبات بأهمية المحافظة على الواجبات والبعد عن المحرمات وربط ذلك بواقع الناس. وفي كتاب «أمانة التعليم» من ذلك الكثير خاصة للمدرسين والمدرسات.

٣ ـ استقطاب المحاضرين والمحاضرات من خارج المدرسة؛ رغبةً في التغيير والتجديد على الطلاب، ويختار بعناية المواضيع التي تعود بالنفع على الجميع وتطعم بالقصص والمشاهدات.

٤ ـ إقامة علاقات مودة لكسب قلوب الطلاب والطالبات وإشعارهم، بأهميتهم وحل مشاكلهم والقرب منهم.

وأذكر أن أحد أئمة المساجد ذكر لي أن سبب حفظه لكتاب الله عزوجل أن أحد المدرسين سأله: كم تحفظ من كتاب الله؟ يقول فأجبته: أربعة أجزاء، فقال: هذا لا يليق بك، وبدأ يراجع ويُسمِّع لي حتى تيسر لي حفظ كتاب الله عزوجل.

ومدرس آخر يقول: دَرَّست في المرحلة الثانوية فوجدت طالباً مهملاً مؤذياً لزملائه بليد الفهم، لا يحل واجباً، ولا يحفظ درساً، يقول المدرس: فأخذته إلى غرفة منفردة وقلت له: أنت طالب قيادي ولا يصح هذا منك، أنت تدير مدرسة كاملة ولذا سأجعلك مسؤولاً عن النظام في الفسح، قال الطالب: أنا! فقلت: نعم أنت، وسوف تقوم بهذه المهمة أحسن قيام، قال المدرس: تغير حال الطالب بعد ذلك وأصبح من المؤدبين المنضبطين دراسياً وأتى والده إليَّ وقال: ماذا فعلت بابني؟ لقد تغيرت حاله وصلح أمره! قلت: هي لمسات بسيطة وخبرات تربوية، وما كان لديه من نشاط وحركة جعلته في صالح المدرسة ونجحت في تحويل مجرى هذه الطاقة من الأذية والفوضى إلى النفع والانضباط!

٥ ـ مُدرِّسة موفقة جعلت في نهاية شهر شعبان ورقة مسطرة تحوي جدولاً لشهر رمضان ووضعت خانات للصلوات الخمس وللصيام، وكذلك جدولاً لقراءة القرآن وحفظه، ووزعته على طالبات المرحلة الابتدائية، ثم استقبلت الأوراق في شهر شوال فإذا النتيجة الباهرة. لقد ربت الصغيرات وعودتهن على الصلاة والصيام وقراءة وحفظ القرآن. فكم في ورقة واحدة فقط من سُنة حسنة ودلالة على الخير فعلتها هذه المدرسة مع طالباتها؟!

داعية بدون وسائل كاملة

بعض الإخوة ينتظر حتى تتم الأمور ويتوفر المكان والكتب والأشرطة أو حتى تتهيأ الأمور. وهكذا لا تنتهي القائمة المطلوبة، وقد لا يحصل المراد!

والنبي ﷺ جعل حديثه حجة علينا: «**بلغوا عني ولو آية**» ولم يقل القرآن أو نصفه أو ربعه! بل قال: آية، وهذه الآية تتوفر لدى الكثير!

لنُطِل على داعية من أعظم الدعاة في التاريخ.. إنه في غياهب السجن، الأبواب دونه موصدة، والجدران سميكة، والمكان موحش مظلم، والحراس أعينهم لا تنام؛ ومع هذا كله، ومع عدم توفر الوسائل وقلة الإمكانات إلا أنه دعا وهو في السجن.. إنه يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف].

فأين حال يوسف عليه السلام من حالنا؟! لقد قامت علينا الحجة بتوفر الوسائل والأسباب المعينة على الدعوة إلى الله عزوجل، لكن يبقى العمل وتبقى الهمة!

أمّا ذلك الفقير المحروم والشخص الذي لا يقرأ ولا يكتب ويعيش في رمال الصحراء بعيداً عن الناس.. فإن معه سلاحاً نفاذاً وسهاماً لا تخطئ. يستطيع أن يخدم الإسلام وأهله والعلماء والدعاة وشباب ونساء المسلمين برفع يديه إلى السماء في كل وقت ويتضرع إلى الله بإصلاح حال الأمة، ورفع كيد الأعداء وشر المفسدين! وإن خلت يداه من أموال الدنيا، فإنها لن تخلو بإذن الله من دعوة صادقة لهذا الدين.

من أعمال السائرين

ليس لمثلي أن يستقصي أعمال السائرين إلى الله عز وجل. لكن أذكر بعضاً منها بعثاً للهمم وإحياءً للعزائم:

* أحدهم يأخذ بين الحين والآخر كتباً باللغة العربية وباللغات الأخرى ويذهب بها إلى «محطات وزن الشاحنات» على الطرق السريعة. وعندما تأتي السيارات الكبيرة يناول كل سائق الكتاب الذي يناسبه. وقد ذكر لي أحد الإخوة أنه وزع أكثر من خمسمائة كتاب في أقل من ثلاث ساعات، وعلل ذهابه إلى ذلك المكان بأن هؤلاء السائقين لا وقت لديهم في المدن لزيارة مكاتب الجاليات أو الهيئات الدعوية فهم محرمون من الكتيبات، فأنا أذهب إلى مكان وقوفهم الإجباري خارج المدن. أما من لا يجيد القراءة منهم فقد أهديته شريطاً بلغته، وإن تعثر علي معرفة لغته، أو لم يتوفر لدي أهديه شريطاً به قراءة لأئمة الحرم.

* منذ سبع سنوات بدأ بعض الشباب توزيع الكتب على الحجاج القادمين وكانوا يحملون تلك الكتب في سياراتهم، وتدرج الخير حتى أصبح لهم مكتب مرخص له وتم توزيع أكثر من ثمانية ملايين نسخة في عام واحد عبر مكتبهم بمساندة المؤسسات الدعوية والجهات الخيرية!.

* أحدهم فرغ نفسه لكتابة مقتطفات من المطويات الموجودة وإرسالها إلى الصحف. يقول: لا يهمني أن تنشر كلها، يكفي البعض، وقد بدأ بإرسال كلمات عن أضرار التدخين، ووصايا لتربية الأبناء، وحقوق الزوج وحقوق الزوجة، وفضل يوم عاشوراء، والتحذير من البدع التي تحدث في رجب وشعبان وهكذا مواضيع كثيرة. فقط يجرد قلمه ويسجل على ورقة أو يطبع على

جهاز الكمبيوتر ويرسل للصحف والمجلات. كم من الناس يقرؤون ما يكتب؟. أعتقد أن من يقرأ هذا النقل في الصحف أكثر ممن يقرؤون المطوية نفسها. أليس هذا باب خير عظيم؟!

* رأيت قبل سنوات داعية أمريكياً وتعجبنا من قوله: إن كل ساعات يومي للدعوة، فقط وقت نومي هو الذي لا أدعو فيه، أما الوقت الباقي فكله للدعوة: في السيارة والشركة والطريق والمسجد والبيت.. لقد ذكرني بهمته وحماسه ما نقرأه عن حال السلف رحمهم الله. وقد مَثَّلَ بعض الدعاة أعمال شباب اليوم في الدعوة بأنه مثل البلون ينتفخ بسرعة ولكنه في لحظة ينتهي. وهو واقع بعض الشباب يتحمس لأيام ثم ينطفأ نوره ويخبو أثره، والله المستعان. وحديث النبي ﷺ نبراس لمن أراد الاستمرار: «**خير العمل أدومه وإن قل**».

* أحد المدرسين ذكر أنه طرح على زملائه المدرسين مشروعا خيرياً جيداً عن طريق إحدى المؤسسات الخيرية. قال: فتحمس المدرسون وأثنوا على المشروع ووعدوا بالتبرع. قال المدرس: قلت لهم: لعله أدعى للإخلاص وأبعد عن الرياء أن نجعل صندوقاً يمر به أحد الطلبة عليكم. فكان كذلك.

يقول المدرس: عاد إليَّ الصندوق بعد أن مر على أكثرمن أربعين مدرساً لكنى لما فتحته لم أجد ريالاً واحداً. أليست هذه مصيبة! إنا لله وإنا إليه راجعون.

* السفر وسيلة دعوية عظيمة، ومن الاستفادة في السفر حمل كتب لتوزيعها على المحطات والمساجد وكذلك المرور على القرى والهجر التي بجوار الطريق وإعطاء إمام المسجد أو المؤذن هذه الكتب، أو جعلها في مستوصف القرية فإنهم بأمس الحاجة إليها.

* إحداهن رأت أن تُخرِّج بعد سنوات داعية من قعر بيتها . . إنها خادمتها التي بدأت معها في حفظ سور القرآن، ثم أتت إليها بالكتب والأشرطة وبدأت تشرح لها العقيدة الصحيحة، وتحذرها من البدع والشركيات، وقالت: أطمع أن تكون داعية في قريتها . . دَعِ الكثيرات يخرجنَّ خادمات يُجدنَ الطبخ، ولا يعرفن من الدين إلا مثلما أتين!

لو أن كل امرأة استشعرت الأمر، لخرَّجنا سنوياً مئات الآلاف من الداعيات.

* يعمل في محل لصنع الخبز منذ أن يصبح وهو يفتح على إذاعة القرآن الكريم وجعل لديه من المواعظ الكثير فنفع الله به كل من يأتي للشراء. وهو بعمله هذا خير من كثير من المتعلمين العاطلين!

* امرأة تزوجت زوجاً غير ملتزم وأهله مثله! فكانت صدمة لها جعلتها مذهولة حيناً من الزمن، لكن لما أفاقت من الصدمة علمت أن الطريق هو طريق محمد ﷺ فشمرت في العمل، وبدأت بألين وأسهل مَنْ في الأسرة من البنات الصغيرات وبذلت نفسها في خدمتهم جميعاً، فكانت لا تكل ولا تمل ولا تتذمر ولا تتشكى حتى أحبها البعض! ومع هذا قالت: البعض نعمة؛ مرت سنوات هي على حالها تعاني من الاستهزاء والغمز واللمز، لكنها صابرة محتسبة حتى كبرن الصغيرات، وفرج الله عنها بهداية الأسرة! لكن ذلك لم يأت من التشكي والتجزع أو من الضعف وترك الدعوة! بل يأتي من الصبر والهمة العالية والدعاء وتحمل المشاق!

* لموسى ـ عليه السلام ـ منزلة عند ربه، وخصوصاً في همته الدعوية، حتى غفر الله له ما غفر لسبب همته الدعوية، كما قرر ابن تيمية رحمه الله فيما

يرويه عنه ابن قيم الجوزية في كتابه «مدارج السالكين» قال: «انظر إلى موسى عليه السلام، رمى الألواح فيها كلام الله الذي كَتَبَه بيده فَكَسَرَها، وجرَّ بلحية نبيٍّ مثله، ولَطَمَ عين مَلَك الموت ففقأها، وعاتب ربَّه ليلة الإسراء في محمدٍ ﷺ، وربُّه يحتمِلُ له ذلك كله، ويُحِبُّه ويُكرِمه لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مُقابلة أعْدَى عَدُوٍّ له، وصدع بأمره، وعالج أُمة القِبط وبني إسرائيل، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، وانظر إلى يونس ـ عليه السلام ـ حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى، غاضب ربَّه مرّة، فأخَذَه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى».

تأمل معي!

* لو فُتح مثلاً في بعض بلاد المسلمين الباب لتوزيع كتب الرافضة والنصارى فهل يا ترى يخلو بيت منها؟! ونحن اليوم الكتب والأشرطة متوفرة لدينا بمبالغ زهيدة جداً، لكننا نكسل ونبخل بإيصالها إلى أهلنا وذوينا! والبعض بيته وبيوت أقاربه لا يعرفون الكتاب ولا الشريط.

* أب رحوم وأم رؤوف لكنها تلقي بأبنائها وبناتها إلى النار! والله عزوجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] فهل وقيناهم من تلك النار وجعلنا بينهم وبينها وقاية؟!

لا نريد أن يربي الأب ولده لنفسه.. نريد أن يتربى الصغير وينشأ لينفع أمة محمد ﷺ، ليجعل الأب والأم نصب أعينهما أننا نريد عالماً ربانياً، وداعية مخلصاً، ومجاهداً مغواراً، وطبيباً، ومهندساً، ومزارعاً، الجميع همهم رفعة الإسلام. إنهم ليسوا لك وحدك، هم لأمة محمد ﷺ أجمع. وهذا من أعظم أبواب الدعوة اليوم! فتأمل لو خرَّج لنا كل بيت خمسة دعاة إلى الله عز وجل كم يكون العدد بعد سنوات؟!

* من يتصدر المجلس بالحديث عن الدعوة ولمز الدعاة وغمز المؤسسات الخيرية والدعوية، أولئك لا يعملون إلا بألسنتهم! فلا يكن حظك هذا الضياع، ولا يكن حظ أذنك هذا الخواء.

* أبواب الدعوة كثيرة، ولم نر من يشتك من إغلاق الأبواب كلها! فإن الله عز وجل متم نوره وإذا أغلق باب، فتحت أبواب ـ ولله الحمد ـ.

* كم هي حاجتك إلى هذا الدين! إنها كالهواء والماء والطعام. بل هي

أعظم.. ماذا قدمت من عمل للحصول على الشراب والطعام.. ثلث وقتك.. أو نصفه.. اجعل لهذا الدين ما تراه يفي بفضل الله عليك ولن تستطيع! لكنه تبارك وتعالى بمنه وكرمه يقبل القليل ويبارك فيه!

يا باغي الخير أقبل

أبواب الخير كثيرة ومتنوعة.. هذه جملة من تلك الأبواب لعلك تطرقها جميعاً.

* قال ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**» [متفق عليه].

* وقال عليه الصلاة السلام: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [متفق عليه].

* وقال ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم**». قالوا: يا رسول الله وكيف؟ قال: «**رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق به**» [رواه النسائي].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**» [رواه مسلم].

ومع التفاوت في الأعمال إلا أن الإسلام جعل الأجر والمثوبة لكل عمل تقوم به، ولا تعلم ماذا يُتقبل من الأعمال؟ وما هي أرجى أعمالك عند الله وأكثرها قبولاً؟ فلا تحقرن من العمل شيئاً قلَّ أو كثر.

ما الذي يمنعك؟

أنت ـ ولله الحمد ـ مسلم، ولهذا الدين عليك حقوق عظيمة، لكنك في الناحية العملية ضعيف الإنتاج قليل الهمة.. دعنا نناقش ما يتعذر به البعض من الأوهام:

١ ـ **الكسل والفتور**: وهذا لا نراه إلا في هذا الجانب الدعوي، أما في الجوانب الأخرى فأنت صاحب همة ونشاط.. رحلة صيد، لعب كرة.. الذهاب إلى الاستراحة لديك همة وعزيمة.. إذاً لديك همة وعزيمة، لكنك لم تصرفها لصالح هذا الدين ولذا أصابك الكسل والفتور!

٢ ـ **تلبيس إبليس**: يلبس إبليس على الكثير بأمور كثيرة؛ منها الخوف من أهل الدنيا وهذا مردود عليك لأمور منها.

أولاً: انضبط في أمر الدعوة ولا مدخل لأحد عليك، ورأينا من أفنوا أعمارهم في الدعوة ولم يصبهم ـ ولله الحمد ـ أذى.

ثانياً: تجنب المواقف الحساسة فإن المؤمن كيس فطن يبحث عن المصلحة ويتجه إليها، ويدرأ المفسدة بمصلحة أخرى.

ثالثاً: عليك بالتوكل على الله عزوجل فإن الله يحفظ عبده ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، ولو قال لك مسؤول كبير مثلاً من أهل الدنيا: اذهب وادع وإذا جرى لك شيء فأنا المسؤول وسوف أحميك.. ! ألست تنطلق بلا تردد وتتحدث بلا تهيب؟! الله عز وجل أعظم وأجل، وعلى الله فليتوكل المتوكلون. ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

رابعاً: الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله عزوجل بأن يقيك الشرور، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين، فأنت ضعيف بذاتك، وقوي بجوار الله عزوجل وحفظه وتسديده.

خامساً: إن أصابك أمر في جانب الدعوة إلى الله عز وجل فقد أصاب قبلك من الأنبياء والمرسلين الشيء الكثير فاصبر واحتسب وأبشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت] إنه قسم من الله عظيم لمن دعا إليه وجاهد في سبيله باللسان والقلم والمال بأنه يهديه سبيل النجاة.. وهي عصمة من الانحرافات، ونجاة من الفتن، وتثبيت على الطريق!

وتأمل في حديث النبي ﷺ: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه..**»[1].

---

(١) الفتح (٧/ ٢٠٢).

وقفات دعوية

* قبل سنوات بحثت عن كلمات كتبت في الصحف والمجلات عن فضل يوم عاشوراء فلم أجد مع الأسف الشديد شيئاً! وهذا ولاشك من التقصير، وإلا فالصحف والمجلات تقبل ما يرسل إليها، وليس بالضرورة أن تنشر كل ما يرد. لكن دعونا نرسل لهم عشر مقالات وينشر مقالاً واحداً. وهذا نعمة وفضل من الله عز وجل، ومن المجالات التي يكتب فيها: التوحيد بأنواعه، خاصةً ما تفلت من قلوب الناس: كالتوكل، واللجوء إلى الله، والسحر وحكمه، وكذلك الصلاة ووجوب المحافظة عليها، والوقت وأهميته، وحكم شرب الدخان وخطره، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وتربية الأبناء.. وغيرها كثير. وبالإمكان الأخذ من المطويات والكتيبات الموجودة بعد تلخيصها.

* من يكتب يحتاج إلى توجيه واستدراك. فالمحسن يقال له: أحسنت ويثبت على ما هو عليه من الخير، والمسيء يوجه للصواب وترسل له فتاوى العلماء والكتب النافعة فإن في هدايته خيراً عظيماً، وإن لم ينفع فلا أقل من أن يشعر أن القراء يتابعون زلله، وربما رفعوا في أمره فبهذا يخف شره ويقل.

* تنظيم مسابقة عائلية سواء للأسرة الصغيرة أو للعائلة حين اجتماعها نهاية الأسبوع، وتوزيع الجوائز وعمل اشتراك للأسرة في المجلات الإسلامية: كالدعوة، والأسرة، والشقائق، لما في ذلك من النفع والتنوع والاستمرار

* امرأة فاضلة إذا أقبل موسم الحج قامت باختيار وشراء الآلاف من الكتب باللغة الأندونيسية من مكاتب الجاليات، ثم وضعت كل مجموعة داخل

مُغلف، ثم ترسل بها إلى الحجاج، ليتم التوزيع هناك كل عام. فياترى كم من حاج استفاد من هذه الهدية العظيمة واستثمر هذا التجمع الكبير؟

* رجل وزوجته لا يذهبان إلى الأماكن العامة إلا ومعهم كتب ومطويات، فإذا ذهبوا إلى المستشفى أو المستوصف جعل الرجل ما معه من الكتب والمطويات في انتظار الرجال، والمرأة مثل ذلك في انتظار النساء. وهكذا لا تخلو سيارة الزوج من كتب، أما حقيبة الزوجة فإنها لا تخلو من المطويات!

* ممرضة في أحد المستوصفات من دولة عربية كانت فاتنة وتظهر شعرها ونحرها، وأهدي إليها كتاب عن الحجاب فكان أن أخفت شعرها ونحرها ولله الحمد، وقام آخرون بإهدائها كتاب «فتاوى النظر والخلوة والاختلاط» فتركت العمل تماماً واستقرت في قعر دارها، رغم حاجتها للوظيفة، فالحمد لله على هذا الفضل، وتأمل في أثر كتابين فقط كيف كانت الأمور، وكيف تبدلت القلوب ولله الحمد!

* إذا أتى الخير ونزل، رحل الشر وولى، وأَوْجُهُ دلالة الناس على الخير كثيرة جداً منها: الدلالة على مواعيد ومكان المحاضرات والدروس، الدلالة على السُّنن وما فيها من الأجر، الدلالة على الفقراء والمساكين والأرامل والغارمين، الدلالة على مدارس تحفيظ القرآن الصباحية وما فيها من حفظ كتاب الله عز وجل، الدلالة على حلق التحفيظ في المساجد، وعلى المدارس النسائية المسائية لتحفيظ القرآن.

* وفي حيّك أيها الموفق. عليك بالدلالة على الكتب النافعة والأشرطة المفيدة، والدلالة على المدارس المتميزة، الدلالة على أهل الخير والصلاح، والدلالة على الأماكن الصيفية التي ليست بها منكرات، الدلالة على أماكن صرف الزكوات، التعريف بالمؤسسات الخيرية، تقديم النصح للراغبين في

الزواج وإعلامهم بالعوائل الطيبة المناسبة للزواج . . وهكذا أوجه الدلالة كثيرة لا تحصى ولا تعد!

والناس في هذه الأيام تناولُ يَدَها لمن يأخذها . ونتعجب أن الكثير لا يعرف أن هناك دور تحفيظ نسائية، أو أن هناك رحلات صيفية للطلاب الملتزمين، والبعض لا يعرف أن هناك مجلات إسلامية جيدة . . وهذا كله خلل في أمر الدلالة لدينا!

فتذكر دائماً حديث النبي ﷺ: «**الدال على الخير كفاعله**».

جعلني الله وإياكم وجميع المسلمين مفاتيح للخير مغاليق للشر!

النبي القدوة ﷺ

نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو النموذج القدوة في الدعوة إلى الله عز وجل ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادبُ والفراش يقعن فيها، وهو يُذبهنّ عنها، وأنا آخذ بحُجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي**» [رواه مسلم].

لقد دعا عليه الصلاة والسلام في الوادي وعلى الجبل وفي المسجد والطريق والسوق وفي منازل الناس وفي الموسم، وفي المقبرة، ودعا ﷺ في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والصحة والمرض، ودعا ﷺ عندما يزور أو يُزار.. دعا من أحبوه، ومن أبغضوه، ومن أطاعوه، ومن أعرضوا عنه، وبعث الوفود وأرسل الدعاة، وكتب الرسائل إلى الملوك والرؤساء.

أخي الداعية:

أذكرك بقول النبي ﷺ: «**من أراد أن يعلم ما له عند الله، فلينظر ما له عنده**»(١).

وقال ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).

(٢) السلسلة الصحيحة (٦٢٢٢).

مسلم].

قال **النووي**: «وفيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله».

والمراد بـ«**مثل أجر فاعله**»: أن له ثواباً بذلك الفعل، كما أن لفاعله ثواباً.

فكم من الثمار غرست لتزهر وتورق لك فتستظل بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، جعلني الله وإياكم من أولئك بمنه وكرمه.

وفي الختام

أيها المسلم ويا أيتها المسلمة . . أكثرتُ من الحديث وزادتِ الحروف ، ووالله إنا نتوق إلى ألسنٍ بُكمٍ وأيد وضاح .

وخيرٌ من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت] .

* * *

من ثمار الدَّعوة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الدعوة إلى الله عز وجل من أجل الطاعات وأعظم القربات، وقد اصطفى الله عز وجل للقيام بها صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وتحتاج من الجميع التفاني، والإخلاص، والجد، والمثابرة؛ لتبليغ هذا الدين والدفاع عنه، والذب عن حياضه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر]، وحتى نقوم بهذا الدين العظيم، وننهض به، ونكون دعاة إليه بالنفس، والمال، والجهد، والقلم، والفكر والرأي، وغيرها كثير، أذكر طرفًا من ثمار الدعوة إلى الله عز وجل.

جعلنا الله ممن يستعمله في طاعته.

من الثمار

الدعوة إلى الله عز وجل عزٌّ ما بعده عزٌّ، وشرف ما بعده شرف، لمن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا.. وهي شكر ووفاء ورد حقٍّ لهذا الدين العظيم.

أخي المسلم:

من قدم كتابًا فهو داعية، ومن أهدى شريطًا فهو داعية، ومن علم جاهلاً فهو داعية، ومن دل على خير فهو داعية، ومن ألقى كلمة فهو داعية، ومن أمر بالمعروف فهو داعية، ومن نهى عن المنكر فهو داعية.. إنها أبواب واسعة.. وفضل الله يؤتيه من يشاء.

ورغبة في مضاعفة العمل، وترك الكسل، وشد العزائم وحتى تقوى العزائم، ويعجب الزراع نباته، هذه بعض الثمار اليانعة لتكون حافزًا ودافعًا للاستمرار والسير في هذا المجال العظيم، الذي ارتضاه الله عز وجل لأنبيائه ورسله وخيار خلقه. ومن أحق من المسلم بالمسابقة في هذا الطريق؟!

الثمرة الأولى:

متابعة الأنبياء، والاقتداء بهم، واقتفاء أثرهم، والسير في ركابهم في طريق آمن غير موحش ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال **الفراء**: «حقٌّ على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة».

وقال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم».

ولو لم يقم بواجب تبليغ وحمل الرسالة العظيمة السلف الصالح لما وصلت إلينا، بل والله، قد تحملوا المصاعب والمتاعب حتى وصل الإسلام إلى أطراف الأرض، فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء.

الثمرة الثانية:

التقرب إلى الله عز وجل امتثالاً لأمره الذي أمر به: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: «جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يُدعى بالموعظة الحسنة وهي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن».

الثمرة الثالثة:

المسارعة إلى الخيرات، والرغبة في نيل الأجر العظيم: حيث أثنى الله عز وجل على أهل الدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال **الشوكاني**: «فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقه، ولا أكثر ثوابًا من عمله».

ومن أعظم ممن يبلِّغ كلام الله عز وجل وأوامره ونواهيه، ويبلِّغ حديث الرسول ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور؟

الثمرة الرابعة:

الاستجابة والامتثال لأمر الله عز وجل وطاعته: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ قال ابن كثير: «منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ قال الضحاك: «هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني المجاهدين والعلماء».

وبالدعوة نكون من هؤلاء الذين أثنى الله عزوجل عليهم.

الثمرة الخامسة:

السعي لنيل الأجور العظيمة، والحسنات الكثيرة مع المشقة القليلة، ـ ولله الحمد ـ خاصة في مثل هذا الزمن: فقد بشر النبي ﷺ بذلك: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» [رواه مسلم].

قال **النووي** رحمه الله: «دل بالقول، واللسان، والإشارة، والكتابة.

وقال رحمه الله: «وفيه فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله».

وهذا التنوع في الوسائل من فضل الله عز وجل على عباده؛ ليقوم بالدعوة كل من تيسر له ذلك.

وتأمل في دلالتك رجلاً إلى الصلاة، ثم بدأ يصليها، كم لك من الأجر؟ لك مثل أجر فاعل هذا الخير، ولا ينقص منهم شيئًا، وفضل الله واسعٌ، فما بالك بمن هدى الله على يديه أقوامًا قبائل وأسرًا ومجتمعات؟ ولهذا فللنبي ﷺ مثل أجور أمته، وللصحابة أجور من اهتدوا على يديهم إلى يوم القيامة، وهي سلسلة طويلة من الأجور لا تنقطع.

واذكر أن رجلاً فلبينيًا كان قسيسًا، ثم مَنَّ الله عليه بالإسلام، فشمر عن

ساعد الجد، وأسلم على يديه أربعة آلاف رجل من بني جلدته، وللشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله في الدعوة الأثر الذي يذكر، حتى افتتح أكثر من ألفي مدرسة في جنوب المملكة، وأحد القضاة في شمال المملكة لديه أكثر من ألف طالب يحفظون نواقض الإسلام، وكتاب ثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد، وأحد هؤلاء الطلاب ذهب إلى فلسطين، وأقام مدرسة لتحفيظ القرآن مع المتون التي حفظ، ولا يعلم مدى هذا الخير إلا الله عز وجل.

الثمرة السادسة:

عطاءٌ إثر عطاءٍ، وعملٍ يتبعه آخر، إنه عمل يسير نقوم به؛ لنصلح أعمالنا، وتُغفر زلاتنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا ﴿قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ أي مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها».

الثمرة السابعة:

من ثمرات الدعوة التسديد والتوفيق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال البغوي: «﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا».

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ روي عن ابن عباس قوله: «جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الفوائد: «علَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد في هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما أعطاه من الجهاد».

الثمرة الثامنة:

رجاء صلاح الذرية: فإن في ذٰلك قرة عين في الدنيا والآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء].

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن قصة حفظ كنز اليتيمين بسبب صلاح الأب، فما بالك إذا كان مُصلحًا وداعيًا إلى الله عزوجل؟! ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

وهذا الأثر يراه الجميع واضحًا في غالب بيوت الدعاة والداعيات، وأهل الخير والصلاح، وأذكر أن قريبة لي صغيرة في السنة الأولى الابتدائية صامت يوم الاثنين تطوعًا، فلما سألتها من صام معك؟ سمَّت لي ابنة أحد الدعاة معها في المدرسة، وهي التي حثتها على ذلك، فانظر إلى الأثر، فالبيوت معادن.

الثمرة التاسعة:

من ثمار الدعوة أن في القيام بها أمنة من العذاب ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في عدة الصابرين: «ليس الدين مجرد ترك

المحرمات الظاهرة، بل القيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله، وأكثر الديانين لا يعبئون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس، وأما الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه، فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، وفضلاً عن أن يفعلوها، وأقل الناس دينًا، وأمقتهم إلى الله: من ترك هذه الواجبات، وإن زهد في الدنيا جميعًا، وقل أن ترى منهم من يحمر وجهه، ويمعره لله، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه، وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء».

الثمرة العاشرة:

من ثمار الدعوة: أننا نثقل موازين حسناتنا يوم العرض؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأُجُوْرُ مِثْلُ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يُنْقَصُ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْئًا**» [رواه مسلم].

قال الإمام **النووي**: «. . . وأن من سنَّ سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة. . .».

فكم من الواجبات تُحيا، ومن السنن تُقام بسبب الدعوة إلى الله عز وجل!.

وتأمل في حال مدرس سنَّ لطلابه التبرع أسبوعيًّا بريال واحد لأعمال البر منذ أربع سنوات، وترك المدرسة، ولا تزال هذه السنة جارية إلىٰ اليوم!.

وأذكر أنَّ معلمة عُينت في قريةٍ نائيةٍ لمدة عام فنفع الله بها نفعًا عظيمًا، وحاولوا في بقائها معهم، لكنها تركت المكان بعد أن جعلت لها أثرًا واضحًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ

أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس].

قال الشيخ **عبدالرحمن السعدي** رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: «نبعثهم؛ لنجازيهم على أعمالهم.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم.

﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ وهي آثار الخير وآثار الشر التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم. وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحدٌ من الناس بسبب علم العبد وتعليمه أو نصحه أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو علم أودعه عند المتعلمين أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرًا من صلاة، أو زكاة، أو صدقة أو إحسان فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدًا، أو محلًّا من المحال التي ينتفع بها الناس، وما أشبه ذٰلك، فإنها آثاره التي تُكتب له، وكذٰلك عمل الشر».

الثمرة الحادية عشرة:

القيام بالدعوة من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا ولآخرة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

قال **الرازي** في تفسير السورة: «فيها وعيد شديد، وذٰلك لأن الله حكم بالخسارة على جميع الناس إلا من كان آتيًا بهٰذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فدل ذٰلك على أنَّ النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور، وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذٰلك يلزمه في غيره أمور، منها: الدعاء إلى الدين، والنصيحة، والأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يحب له ما يحب لنفسه».

الثمرة الثانية عشرة:

الدعوة إلى الله من أسباب تحقيق النصر على الأعداء الذي هو أملٌ يُراود كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

لأن بالدعوة يعبد الله عز وجل بما شرع، وتزال المنكرات، ويبث في الأمة معاني العزة والكرامة، لتسير في طريق النصر والتمكين.

الثمرة الثالثة عشرة:

نقوم بالدعوة حتى لا تصيبنا اللعنة التي أصابت الأمم السابقة جراء ترك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ [المائدة]، فإن في ترك الدعوة إلى الله عز وجل نكرانًا لحق المنعم، وجلب لحلول النقم وزوال النعم.

الثمرة الرابعة عشرة:

بالدعوة تنال المراتب العلا: قال الشيخ **عبدالرحمن السعدي** ـ رحمه الله ـ: «وهذه المرتبة ـ أي مرتبة الدعوة ـ تمامها للصديقين الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل».

وتأمل حال من يقومون بأمر الدعوة، إنما هم الرسل، ومن وفقه الله من عباده العلماء والدعاة والمصلحين، فاسلك نفسك معهم؛ فإنها نعم الطريق والسبيل.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فالدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها».

الثمرة الخامسة عشرة:

من ثمار الدعوة: صلاح المجتمع وتقويم اعوجاجه، وهذه أمنية كل من أحب هذا الدين ورضي به، لكنها تبقى أمنية حتى يتبعها العمل والجد والجهد والبذل والعطاء، عندها يصلح الحال، وتتغير الأمور: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]، فانظر في حال قرية أو منطقة أو مجتمع قام فيها داع، وكيف يكون أثره على أهلها ومجتمعها؟

وبعض المدرسين والمدرسات يعين في بلدة بعيدة نائية، ويكتب الله عز وجل على يديه من الخير وصلاح تلك البيوت في سنة واحدة ما تقر به عينه! وأذكر أن أحدهم طلب الاستمرار في قريته النائية لما وجد من ثمار الدعوة، ثم بقي سنة ثالثة ورابعة ولما سُئل عن هذا البقاء إلى متى؟ ولماذا لا تنتقل إلى مسقط رأسك مثل بقية المدرسين؟ قال: فلان ذهب للتجارة، وبقي عشر سنوات في منطقة بعيدة، وما عاب عليه أحد بقاءه، ولا طلبوا عودته، بل يسمى العصامي والنشمي! أما من قام بالدعوة فالبسطاء لا يرون ذلك سببًا مقنعًا للبقاء! وما علموا أن ما عند الله خير وأبقى.

الثمرة السادسة عشرة:

من ثمار الدعوة: صلاة الله وملائكته، وأهل السمٰوات ولأرض على معلم الناس الخير؛ لأن ما يبلغه إنما هو العلم الموروث من قول الله تعالى وقول رسوله الكريم، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّىٰ النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّىٰ الْحُوْتُ لَيُصَلُّوْنَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسُ الْخَيْرَ**» [رواه الترمذي].

الثمرة السابعة عشرة:

من ثمار الدعوة المحبوبة التي تسر النفس وتشرح الصدر، وتعين على الاستمرار ومجابهة الشدائد دعاء النبي ﷺ بالنضارة لمبلغ مقالته: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِيْ فَبَلَّغَهَا**» [رواه ابن ماجه].

فهنيئًا لمن أدركه هذا الدعاء، ونال منه نصيبًا.

الثمرة الثامنة عشرة:

دعاء النبي ﷺ بالرحمة لمبلغ حديثه من أعظم ما يعين على السير قدمًا: «**رَحِمَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنِّيْ حَدِيْثًا فَحَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ**. . .» [رواه أحمد].

واليوم توفرت شروط التبليغ، فالكتاب والشريط الإسلامي يحوي كل ذلك؛ ليبلغ المدعو على أكمل وجه وأحسن حال، وأذكر أنَّ رجلاً أسلم وذكر أنه أتى إلى هذه البلاد وأقام سنواتٍ ثم غادر إلى بلده حتى تيسرت له فرصة عمل أخرى، ورجع بعد سنة مع شركة تعمل في صيانة الشقق المفروشة، قال: فوجدت يومًا مطوية صغيرة وضعت على طاولة المطبخ بعد خروج المستأجر، فإذا بها عن الإسلام، فكانت نقطة البحث عن الإسلام والسؤال عنه، حتى أسلمت وأسلم أبي وأمي وزوجتي، وأحاول أن تسلم بقية العائلة الآن، فكيف هي فرحة الداعية الذي وضع هذه المطوية يوم القيامة، إذا أقبلت هذه العائلة وغيرها وكانت في صحائفه وحسناته؟

الثمرة التاسعة عشرة:

الدعوة إلى الله صدقة من الصدقات، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة].

قال الحسن: «من أعظم النفقة نفقة العلم».

ولو أعطيت رجلاً ريالاً لنفد في حينه ولو علمته علمًا لبقي يعمل به، وربما نقله إلى غيره، فكانت السعادة في الدارين، وما نقل إلينا القرآن والسنة وهذا الدين إلا بهذه النفقة، حيث سافر وأقام العلماء والدعاة لإنفاق علمهم، والصبر على الناس حتى تعلموا، ونقلوا العلم إلينا.

الثمرة العشرون:

الثمرة المهمة: الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، لكن في هذا الزمن من يقوم بالدعوة؟ وهل تصل إلى كل مكان؟ وهل في كل مكان دعاة؟ ولهذا من ثمار الدعوة براءة الذمة.

قال سماحة الشيخ **عبد العزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ في كتابه الدعوة وأخلاق الدعاة: «فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته».

الثمرة الحادية والعشرون:

الدعوة إلى الله رفعة في الدنيا والآخرة، وهذه أمنية كل مسلم في هذه الحياة وفي الآخرة.

قال **ابن القيم** رحمه الله: «إن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة، فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس».

وما رفع الله أقوامًا في الزمن القديم والحديث إلا بالدعوة إليه والذب عن دينه، فلموسى عليه السلام منزلة عند ربه، وخصوصًا في همته الدعوية، حتى غفر الله له ما غفر لسبب همته الدعوية، كما قرر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيما يرويه عن **ابن القيم الجوزية** في كتابه مدارج السالكين قال: «انظر إلى موسى عليه السلام رمى الألواح فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجرَّ بلحية نبيٍّ

مثله، ولطم عين ملك الموت ففقأها وعاتب ربَّه ليلة الإسراء في محمد ﷺ، وربه يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدىٰ عدوٍّ له، وصدع بأمره، وعالج أمة القبط وبني إسرائيل، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، وانظر إلى يونس عليه السلام حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى».

الثمرة الثانية والعشرون:

من ثمار الدعوة الأجر العظيم، والثواب الجزيل: فقد دل النبي ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على كنزٍ عظيمٍ «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَمِ**» [متفق عليه].

ولو قيل لرجل اليوم، إذا هدى الله عز وجل على يديك رجلاً فلك سيارة أو منزل، لسارع إلى ذلك بأقصى ما يستطيع! وبذل الأسباب، وجاهد، وتحمل، وسعى وأقبل وأدبر، حتى يتحقق مراده ومطلوبه، وحمر النعم أنفس أموال العرب في حينها.

الثمرة الثالثة والعشرون:

من ثمار الدعوة العظيمة التي قد يغفل عنها البعض: استمرار ثواب الداعي بعد موته، وهي كما وصفها أحد الموظفين. . مثل الراتب التقاعدي إذا توقَّف عنك الراتب الأساسي بعد نهاية الخدمة، يبدأ لك الراتب التقاعدي، والدعوة إلى الله أجرها في الحياة وبعد الممات؛ لأنك عملت عملاً يبقى بعد موتك، فهذا يصلي وقد علمته، وآخر يصوم التطوع وقد بشَّرته، وثالث ينفق وقد أعنته على نفسه، والرابع كان كافرًا فأسلم، وكهذا يستمر الأجر؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا،**

وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْءٌ» [رواه مسلم].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عُمِلَ بِهَا فِيْ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّىٰ تُتْرَكَ» [رواه الطبراني].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ» وذكر منها «أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ».

وتأمَّل في حال أجور من دعوا هذه الأمَّة، وصحَّحوا عقائدها، ونشروا كتبها كالإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيره، بل تأمَّل حال شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قلَّ أن تجد استشهادًا شرعيًّا إلا وله ومنه كلام، كم له متوفى. وكم له من الأجور، والله، لكأنه بيننا يدعو، ويفتي، ويرشد، ويناظر أهل البدع والزيغ والضلال.

الثمرة الرابعة والعشرون:

الدعوة إلى الله من الجهاد في سبيل الله، والكثير إذا سمع كلمة الجهاد اهتزَّ شوقًا إلى ذلك، وحدثته نفسه بالمسير، والأمر ـ ولله الحمد ـ متيسر في مجالات كثيرة، فالجهاد صوره ـ ولله الحمد ـ متعددة وكثيرة، ولا يتوقف الأمر على القتال فحسب، بل الجهاد بالنفس، والمال، والقلم، والسنان، والبيان، والدعوة قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان] أي بالقرآن.

قال ابن القيم رحمه الله: «وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، أما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء...».

الثمرة الخامسة والعشرون:

محبة الله ـ عز وجل ـ لمن قام بدينه، وبلغ رسالته، قال الحسن عند قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت] قال: «هو المؤمن، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله».

الثمرة السادسة والعشرون:

القيام بالدعوة شكر للمنعم وقيام بحقه، وهي مظنة زيادة النعمة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وهذا الدين الذي ارتضيناه لأنفسنا لابد من الدعوة إليه، والدفاع عنه، ونصرته والتضحية في سبيله، وبذل الغالي والنفيس لاعلائه.

الثمرة السابعة والعشرون:

الدعوة إلى الله من وسائل الثبات على الدين، وهي أسهل الوسائل للدفاع والتمسك بالدين، فإن الإنسان تتخطفه الفتن، والله عزوجل يعين من قام بهذا على الثبات على الدين والاستقامة، وفضل الله واسع، وهذا مجرب مشاهد، وأعرف من كانوا في أمر الدعوة شعلة من النشاط والحيوية، ولما تركوا هذا الأجر العظيم والباب الكبير تردت أحوالهم، وتقاعسوا، وبدأ الفتور يدب على نفوسهم وأعمالهم.

الثمرة الثامنة والعشرون:

من ثمار الدعوة أن يخبو صوت الباطل، ويعلو صوت الحق، وتظهر عزة المسلمين، ويندحر الكفار والمشركون، ولهذا لما سألت أم المؤمنين زينب النبي ﷺ: «أنهلك وفينا الصالحون؟» قال ﷺ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ**»، وبالدعوة يزال الخبث ويتوارى، ولا يكون له سلطان وقوة!

الثمرة التاسعة والعشرون:

الاستفادة من الوقت وعمارته بما يعود على الإنسان بالخير في الدنيا ولآخرة، فإنه مسؤول عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه.

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين: «والقصد: أن إضاعة الوقت الصحيح يدعو إلى درك النقيصة، إذ صاحب حفظه مترق على درجات الكمال، فإذا أضاعه لم يقف موضعه، بل ينزل إلى درجات من النقص، فإن لم يكن في تقدم فهو متأخر ولابد، فالعبد سائر لا واقف، فإمَّا إلى فوق وإمَّا إلى أسفل، وإمَّا إلى أمام وإمَّا إلى وراء.

وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطىء، ومتقدِّم ومتأخِّر، وليس في الطريق واقف ألبتة، وإنما يتخالفون في جهد المسير وفي السرعة والبطء، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر] ولم يذكر واقفًا إذ لا منزل بين الجنة والنار ولا طريق لسالك إلى غير الدارين ألبتة، فمن لم يتقدم إلى هذه الأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك الأعمال السيئة.

الثمرة الثلاثون:

في القيام بأمر الدعوة سعة الصدر والأنس، مما يفيض الله عز وجل به على عباده، ولعله من عاجل البشرى، وهذا مجرب مشاهد.

وفي أمثلة تقديم كسرة رغيف للفقير من السرور والحبور على المتبرع، ودفع البلاء، وجلب الرخاء، ما الله به عليم، فكيف بغذاء الأرواح والنجاة من النار؟

وأعرف مدرسًا عين في مدرسة منتدبًا من قبل وزارة المعارف في دولة أفريقية، ورأيته بعد أربع سنوات هي نهاية إيفاده، قال: أحاول أن أجدد الإيفاد إلى هناك مرة ثانية، قلت: ما الذي دعاك؟ قال: أول ما قدمت إلى تلك المنطقة كنت في الصباح أذهب إلى المدرسة، وإذا خرجت قبيل العصر أتناول غدائي، وأجعل عيني على الساعة الكبيرة! متى يأتي الليل، فإن اللحظات طويلة والدقائق بشهور، ولما عملت في الدعوة إلى الله عزوجل ورأيت الثمار صعب عليَّ مفارقتهم وتركهم، فلدي مدرسة بها أكثر من مائتي طالب وهناك حفر آبار، وبناء مساجد، كيف أفارقها؟

وماذا بعد الثمرات؟

أخي الداعية:

سر بعزم وهمة في طريق سار فيه نبينا محمد ﷺ سنوات طويلة، وأوذي فيه، ولقي من الشدائد ما تعرفه، وقبله الأنبياء عليهم السلام نوح قام بهذا الأمر ألف سنة إلا خمسين عامًا.. وموسى جابه طاغية زمانه، فما وهن ولا تراجع.. والقرآن الكريم يذكر السير العطرة في الدعوة إلى الله عز وجل فاستبق الأمر، وانظم نفسك في سلكهم، واقتف أثرهم؛ فإنك على الهدى، قال ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ»(١).

أخي الداعية:

سحائب الأجور ممطرة، ونوائل الخير قريبة، وأبواب الدعوة مشرعة، والرب جواد كريم، يجازي على القليل كثيرًا، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن عمل صالحًا فلنفسه، وما تقدموا لأنفسكم من خيرٌ تجدوه عند الله، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، وخير الناس أنفعهم للناس، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، فأبشروا وأملوا، إن رحمة الله قريب من المحسنين.

جلعنا الله وإياكم من أهل الدعوة إلى دينه، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

* * *

---

(١) السلسلة الصحيحة (٦٢٢٢).

ليس عليك وحشة

المقدمة

الحمد لله الذي شرع الشرائع وأنزل الكتب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله من أوجب الواجبات وأهم المهمات وأعظم القربات، وتبرئة للذمة، ولما في هذه العبادة من الثواب العظيم والأجر الجزيل قام بها خيار الأمة، حتى أشرقت الأرض بنور ربها، فذلت لهم الرقاب ودانت لهم البلاد.

وتذكيرًا لنفسي ـ وللأحبة الكرام ـ بهذا الأمر العظيم، خاصة في فترة أهمل فيها هذا الجانب أو ضعف، جمعتُ بعض وسائل ومداخل ـ هي أقرب إلى الخواطر ـ تُعين على طرق سبل الدعوة فيستأنس بها ويؤخذ منها، وجعلت لها علامات وعليها منارات؛ لكي نسير على الخُطا ونقتفي الأثر في طريق غير موحشة؛ لأن أقدام الأنبياء والصالحين وطأته وتغبَّرت في طرقه.

ولم أذكر إلا ما كان في نطاق دعوة الفرد الواحد فحسب؛ لأهميته، وإلا فالمجتمع بعامته له أساليب ووسائل أخر.

فها هي أبواب الخير مشرعة: فمن أمر بمعروف فهو داعية، ومن نهى عن منكر فهو داعية، ومن ترجم كلمة إلى لغة أجنبية يستفاد منها دينيًّا فهو داعية، ومن أهدى شريطًا إسلاميًّا فهو داعية، ومن تبسَّم في وجه أخيه المسلم فهو داعية.

إنه عقد متكامل إذا أخذت منه جوهرة وطعَّمتها بالإخلاص نالك الأجر

والمثوبة، وانتظمت في سلك الدعاة إلى الله.

جعلنا الله ممن سار على الهدى واقتفى الأثر حتى نحط رحالنا برحمة الله وعفوه في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن القاسم

مـــدخـــل

قال وهيب بن الورد:

«إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل»

وسارعوا

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُوْرُ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ آثَامِهِمْ شيئًا**» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَمِ**»[رواه البخاري رمسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» [رواه مسلم].

وقد جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة بالحث على الدعوة إلى الله، وبيان وجوبها، وما للداعي فيها من الأجر العظيم.

والآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، فالدعوة إلى الله من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، بها يكمل نظام الشريعة، ويرتفع شأنها.

فإن مهمة الدعوة إلى الله مهمة كبرى، مهمة عظيمة، مهمة فاضلة، مهمة رتب عليها من الأجر العظيم ما الله به عليم، ولذا اختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل الخلق وأكرم البشر، اختار لها سادات القوم وصفوة الأمة وفضلاءها.

فالدعوة عمل الأنبياء والرسل.. ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.

* إنها نقاط ووقفات لدعوة شخص بعينه ذكرًا كان أو أنثى.

ولم أذكر نقاطًا دعوية جماعية مثل الوعظ في المساجد وإلقاء المحاضرات . . لعلمي أن ذلك معلوم للكثير ويختص بفئة معينة من الدعاة وطلبة العلم وإنما قصدت دعوة شخص بعينه . .

أخي الحبيب:

استمر نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه سنوات طويلة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقام يوسف عليه السلام بأمر الدعوة وهو في السجن فدعا من معه إلى عبادة الله جل وعلا: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف].

وهذا نبينا محمد ﷺ استمر في الدعوة طوال حياته ولاقى من الجهد والعنت ما حفظه لنا القرآن الكريم وكتب الحديث والسير . . هاهو في الرمق الأخير ولم ينس أمر الدعوة كما قالت أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصَّلاَةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه (١).

وكان من آخر كلماته الدعوة إلى الله: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُوْدَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [رواه الشيخان].

وهذا أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ خليفة رسول الله ﷺ لم يشغله حزن وفاة النبي ﷺ عن أمر الدعوة بل سارع في وسط هذا الحزن إلى تأكيد أمر الدعوة إلى

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان وروى أحمد وأبو داود ونحوه عن على.

الله وأهميتها فعقد الألوية وسيَّر الجيوش إلى جهات كثيرة لقطع دابر المرتدين.

وهذا فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وجرحه يثعب دمًا وهو على فراش الموت لم يترك أمر الدعوة فعلى ضعفه وانحطاط قوى جسمه ينادي شابًّا أدبر وإزاره يمس الأرض فيقول: «ردوا عليَّ الغلام» ثم قال له: «**يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك**».

ومن تتبع سير السلف الصالح وعلماء هذه الأمة يجد منهم الحرص والجد والمثابرة حتى أصبحت الدعوة إلى الله هي شغلهم الشاغل، وما بقاؤهم في هذه الدنيا إلا للطاعة والعبادة ونصرة هذا الدين.

فلاشك أن الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وإرشاد الخلق ونصحهم هي وظيفة المرسلين وأتباعهم المصلحين والدعاة الناصحين.

ومعلوم أنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا نبت مبدأ من المبادىء إلا بالدعوة، ولا هلكت أمة في الأرض إلا بعد أن أعرضت عن الدعوة، أو قصر عقلاؤها في الأخذ على يد سفهائها، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها إلا بترك الدعوة.. فإذا أهملت الدعوة فشت الضلالة وشاعت الجهالة وخربت البلاد وهلك العباد.

أيها الحبيب:

إن أثر الدعوة واضح وجلي.. رسول الله ﷺ دعا أبا بكر ثم تبعه الباقون حتى قامت صروح الدعوة على يديهم وتضاعف العدد حتى عم مكة وامتد النور إلى المدينة النبوية.

إنها تشمير إلى المعالي.. اجعل نصب عينك شخصًا بعينه قريبًا أو بعيدًا.. ادعه وارفع درجة التزامه، فإن أخلصت ورزقك الله التوفيق فلك مثل أجر

عمله إلى يوم القيامة . . هاهو يقوم الليل وأنت نائم، ويصوم وأنت مفطر، ويحج وأنت مقيم، ويجاهد وأنت جالس . . ولكن يجري لك من الأجر مثل أجره ولا ينقص من أجره شيئًا . . فما ظنك إذا اهتدى على يديه أكثر من واحد ثم أكثر من عشرة وهٰكذا مضاعفات الأعداد . . إنها فرصة ثمينة وباب من أبواب العبادة .

إنها دعوة للخير فربما تدعو شخصًا في اليوم وربما عشرة . . هذا في الورشة وذاك في المنزل وآخر في المسجد ورابع في الشارع العام وخامس عبر مكالمة هاتفية وهٰكذا . . لكن لكل فرد ما يناسبه من الوسائل الدعوية .

إنها دعوة يسيرة يستطيع أن يقوم بها كل شخص كبر أو صغر متعلم أو عامل بل حتى الأمي . . تقوم بتقديم شريط أو كتب فقط تكون بهذا داعية . . بل إلقاء كلمة طيبة وأنت سائر تكون أخذت من الدعاة بسهم من عملهم .

أخي المسلم:

وأنت تسير في الصحراء تتلمس طريقك . . إذا بمن يمسك بمنكبيك بقوة ويرفع صوته : انتبه . . قف أمامك هوة سحيقة . . نطرت فإذا بصدق حديثه . . فرحت ودعوت له . . هذه هي الدعوة المخلصة والنصيحة الصادقة .

بعضهم يقول لم أر تلك الهوة ! ! أين هي ؟ ! لن تعيقنا عن السير . .

وآخرون يكابرون ويدعون أنهم رأوا الهوة كذبًا . . كيف رأى الهوة السحيقة وهو واضع أولى قدميه في هوة السقوط . . ولكنه يكابر ويقول : كنت منتبهًا فقط أردت أن أجري . . كذب وخاب وخسر .

إنها مواقف ستمر عليك وتلمسها بنفسك وتسمعها بأذنك . . ينالك الخير ويطولك الأذىٰ .

قبل البداية

قال جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية: «ذكر الله سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالبًا للحق محبًّا له، مؤثرًا له على غيره إذا عرفه. . فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن» انتهى كلام ابن القيم.

فالداعي أمام إنسان مسلم على الفطرة لكن به بعض المعاصي والمنكرات. . وآخر به من الاستقامة الكثير ولكنه لم يتزود من الطاعات. . فالأول يحذر من المعاصي والمهلكات والآخر يحث على زيادة القربات. . وكلها دعوة.

وغالب المدعوين من الصنفين إما أن بهم جهلاً لكثير من الأحكام، مثل التهاون في أمر صلاة الجماعة أو حلق اللحية وغيرها، والآخر عنده غفلة وكسل فتراه لا يقوم الليل ولا يتزود من الصدقات والسنن والأذكار وهكذا.

وهناك أمة أخرى من غير المسلمين تحتاج إلى دعوة وإيضاح لهذا الدين ومحاسنه وفضائله.

إن تنوع الأساليب وتعدد أوجه الدعوة من ضروریاتها ومتطلباتها، هذا نوح عليه السلام ما ترك سبيلاً لدعوة قومه إلا سلكه ولا بابًا إلا طرقه: ﴿ قَالَ رَبِّ

إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح].

والرسول ﷺ كان يأتي إلى مجامع قريش وأسواقها ويدعوهم إلى دين الله، ووقف مناديًا على الصفا، واتخذ من موسم الحج منبرًا للدعوة، وسار إلى الطائف داعيًا ثم هاجر إلى المدينة النبوية.. إنها أساليب متنوعة وطرق متعددة تخدم الدعوة ولم تقف عند حد.. بل كل أسلوب اتبعه الرسول ﷺ أو له ضابط شرعي فنحن نتبعه ونسير عليه...

ثم لابد أن يوطِّن الداعي نفسه على تحمل المشقة والأذى وسماع ما يكره فإنه قد سلك طريق الأنبياء والمرسلين وهو طريق محفوف بالمكاره مليء بالأشواك.. إنه طريق الجنة.

أيها الحبيب:

إن ترتيب الأولويات في الدعوة إلى الله مهم جدًّا فالتوحيد قبل الصلاة والصلاة قبل الزكاة.. نبدأ بالأهم فالمهم ونقتفي في ذلك آثار الرسول ﷺ ودعوته، فقد بدأ بالتوحيد ثم تدرج في العبادات وإلا كيف ندعو شخصًا إلى الصلاة وهو يدعو غير الله أو يطوف بالقبور؟!

ولقد جاء الإسلام متدرجًا في تشريعاته.. بدءًا بالتوحيد ثم الأمر بفرائض الإسلام وهكذا، بل كان تحريم الخمر وهي أم الخبائث على مراحل: ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وانتهاء بآية التحريم لها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ، فَإِنْ أَطَاعُوْكَ لِذٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوْكَ لِذٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ. . .**»

[الحديث متفق عليه].

أيها الداعية الموفق:

إن عمل الدعوة يلزمه الإخلاص لله جل وعلا وصدق النية رجاء ما عند الله، ومحبة للمسلمين وإنقاذًا لهم من مهاوي الردى ومزالق الانحراف، ورفعًا لدرجاتهم تقربًا إلى الله بالعمل الصالح، وهو فوق ذاك إبراء للذمة ونصح للأمة. . فربما تعلق بك المدعو غدًا لو لم تدعه. . وأخذ ينادي: أنت مسؤول عني فلم تدعني. . اهتديت فتركتني. . سمعت بخير ما أعلمتني. . علمت بسنة فما دللتني!!.

الانطلاقـــة

أعظم دعوة يقوم بها المسلم هي دعوة نفسه. . فيبدأ بها يلزمها الطاعة ويجنبها المعصية. . ويجاهد نفسه في ذلك حتى تستقيم له. . عندها يخلص نفسه من عذاب الله بعفوه ورحمته.

ومن تأمل سير العلماء والدعاة وجد فيها من مجاهدة النفس والصبر على الطاعة الشيء الكثير. . فهذا أثر عنه صيام داود، وذاك يقوم من الليل ساعات طوال، وآخر اشتهر بالعبادة والورع والتقى. . كلهم يجاهد نفسه في العبادة والوقوف بين يدي الله بذلٍّ وانكسار. . وكل تلك الطاعات تقوي الإيمان وترقق القلوب وتعين على دعوة الآخرين.

ثم الخطوة التالية أن يبدأ الداعي بأقرب الناس وأحبهم إليه من والد ووالدة وأخ وأخت وزوجة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

أخي الحبيب:

الدعاء عبادة عظيمة يشعر فيها المخلوق بعظم شأن الخالق وقدرته على تصريف الأمور. . وهو لجوء إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب. . الدعاء باب ومدخل من أسباب الهداية، فبسبب الدعاء يحصل سكينة في النفس وانشراح في الصدر وصبر يسهل معه احتمال الأذى، وهو منارة للتفاؤل بقبول الدعوة عند المدعو ورجاء أن يقذف الله في قلبه نور الهداية والتقى.

وهناك أناس كثيرون رزقهم الله الهداية بدعوة من الوالدين أو من أخ مشفق ناصح أو صديق مخلص أو زوجة مُحب.

ويتحرى الداعي أوقات الإجابة، ويتأدب بآداب الدعاء المعروفة، ويسأل الله من منه وكرمه ويلح في الدعاء ويتذلل بين يدي الله رجاء قبول دعوته.

ولقد كان الأنبياء والصالحون يدعون ربهم لأنفسهم ولذرياتهم ولقومهم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

كان ﷺ يحب التفاؤل في كل شيء.. وهل هناك صحيفة أنصع من صحيفة الدعوة لذا يجب أن تُجمَّل بالتفاؤل وتزين بالبشارات التي وعدها الله للدعاة وقرب استجابة دعوتهم.

ووالله نرى الفرح هذه الأيام من إقبال الناس على الدين فهذا بالأمس فاسق واليوم تقي ورع، وذاك مجاهر بمعصية واليوم تسبقه دمعة الندم.. وذاك كان متراخيًا متكاسلاً لا يقوم الليل واليوم ها هو يصلي الليل إلا قليلاً.. وذاك بالأمس كافر وهو اليوم مسلم. فاللهم لك الحمد. والتفاؤل وسيلة دعوية للداعي تعينه على دعوته وللمدعو تُفرحُ قلبه وتسرُّ خاطره.

على الداعي الالتزام في النصيحة بما وافق الكتاب والسنة فلا ينصح بأمر إلا وهو عالم به متأكد من ذلك، ولا ينهى عن أمر إلا مثل ذلك ولكن لا يشترط للداعي حفظ الدليل ومعرفته.. بل ما علم من الدين بالضرورة يكفي للداعية العادي.

ولذلك فإن من أهم وسائل الدعوة تعلم العلم النافع للداعي لكي يتسلح الداعي بسلاح قوة فربما يحتاج إلى مناقشة وطرح أفكار فالعلم بالشيء الذي فوق طاقة الداعية يراجعه وينظر فيه لكي تكون دعوته على بصيرة وعلم.

أخي المسلم:

ينبغي للداعي أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طلقًا، فإن تليين القول مما يكسر سَوْرة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة.. فالداعي أيًا كانت

منزلته وأيًّا كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسى وهارون، ومن وُجِّهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون؟ وقد أمرهما الله جل وعلا باللين معه في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

ذلك أن المقصود من الدعوة إلى الله تبليغ شرائع الله إلى الخلق ولا يتم ذلك إلا إذا مالت القلوب إلى الداعي، وسكنت نفوسهم لديه، وذلك إنما يكون إذا كان الداعي رحيمًا كريمًا، يتجاوز عن ذنب المسيء، ويعفو عن زلاته، ويخصه بوجوه البر، والمكرمة والشفقة.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** قدس الله روحه: وينبغي أن يكون الداعي حليمًا صبورًا على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

خطوة خطوة

للمسلم كبوة تبقيه على إسلامه ولكنها تقدح في إيمانه، فكم من مسلم مقيم على منكر، مصر على كبيرة تارك لواجب، متساهل في أمر الخير وغافل عن الفضائل.

وهناك أناس غير مسلمين أليس لهم دعوة؟! وهناك أهل شرك وخرافة.. أليس لهم دعوة؟!

ولكن كيف الوصول إلى قلوبهم.. هناك طرق وأساليب وهناك عوامل مساعدة وكلها تصب في هدف واحد ألا وهو محاولة هداية المدعو فالداعي يأخذ بيد المدعو من حال سيئة إلى حال حسنة ومن حالة مفضولة إلى حالة أفضل.. يسد ثغرات الكمال في دينه ويرشده إلى أفضل الأعمال وأتمها وأكملها.

وبعض المدعوين يكون لديه قبول للخير والأمر بالمعروف ولكنه ينفر عند نهيه وزجره عن منكر لأنه يرى ذلك تسلطًا وتدخلا وما ذلك إلا من جهله..

فيقدم الداعي له الخير ويدله على طريقه ويؤخر النهي عن المنكر الذي هو واقع فيه إلى حين، فإن النفس إذا أشربت طريق الخير وازدادت تعلقًا به سهل نهيها عن المنكر، بل ربما تكون هي ناهية عن منكرها منكرة له فإن الخير يطرد الشر ويبعده ويقلل منه.

أخي المسلم:

يُدعى كل كافر وكل مشرك وكل عاص درجات وطبقات.. فيها خلل ونقص.

لـــه الأمـــر

لابد من اليقين بأن الهداية من الله وأن الداعي سبب سخره الله لهداية هذا الفرد، فالله جل وعلا جعل أمر الهداية بيده ﴿ . . . وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾؛ ولذا علينا بذل الأسباب والتعلق بالله جل وعلا لقبول هذا السبب وهداية الفرد على يدي الداعي.

فعلى الداعي أن لا يستعجل أمر دعوته وليس عليه أمر متابعة النتائج، يكفي أنها دعوة خير مأجور عليها قبل المدعو أم أعرض فهو مأجور على حملها معذور على عدم نجاحها: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، بل الحد في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

والداعي لا يملك من هداية الناس أكثر من نصحهم وإرشادهم وتبيين الحق لهم أما هداية التوفيق فمن الله، وهذه المعرفة هي المحرك لعمل الداعية وتعتبر عاملاً دعويًا مهمًا لابد أن يتأصل في نفس الداعي حتى يجتاز الوهن والضعف.

أيها الداعي:

قد يجتمع عامل الزمن وعامل المكان ولكن نفس المدعو لم تنفتح للخير، وربما جرَّب الداعي أكثر من زمان وأكثر من مكان فاجتمع له ما أراد من الزمان والمكان ولكن الله لم ييسر ذلك الأمر على يديه . .

وقد رأيت بعض الشباب المتحمسين لدعوة غير المسلمين يوضحون ذلك للمدعو بقولهم: إن الإسلام نور يقذفه الله في قلب من يشاء وإلا فالحجج

والبراهين الدالة على الله عز وجل ليست هي كل شيء لإسلامك مع أنها براهين قاطعة واضحة ولو كل من سمع بها أسلم لتغيرت الحال ولكن إذا أراد الله بك خيرًا شرح صدرك للإسلام ربما في هذه اللحظة أو بعد يوم أو سنة . . وإن لم يرد هدايتك فلو بقينا معك أبد الدهر لن تسلم إلا بمشيئة الله جل وعلا .

ما بال أقوام؟!

بعض أنواع النصيحة المباشرة في مجتمعنا الحالي لها بعض المحاذير لسوء الأنفس وعدم تعودها للنصح منذ الصغر. . وهذا ملاحظ في كثير من الأفراد حتى بعض الأخيار منه إذا نصحته مباشرة ربما سببت هذه النصيحة بعض الجفوة بينك وبينه.

وأذكر أن أحد الشباب نصح أخًا له عن رائحة كانت تصدر من إبطيه وأشار عليه ببعض المستحضرات التي توقف انتشار هذه الرائحة وأنها موجودة في الصيدليات وقال له: كنت أعاني ما تعاني منه حتى بدأت أستعمله فاختفت الرائحة. . فكان أن شكره ولكنه بدأ يتثاقل زيارته حتى طالت الوحشة بينهما.

والعجيب أمر التربية في هذا الجانب لو رأيت ملاحظة على بعض من تعود النصيحة وهو من الكفار واستدركت عليه أمرًا لشكرك على ملاحظاتك. . وهذا من التعود، فينشأ منذ الصغر على قبول الاستدراك والملاحظة ونحن أولى بهذا منهم.

ومن رأى أن النصيحة ربما تجدي في أمر من الأمور فإن من حسن الأدب تقديم ثناء محق على المنصوح بأنه فيه كذا وكذا. . ثم يكمل: غير أنني رأيت فيك خُلَّة عجبت أن لا تتداركها وهي كذا. . فربما أن المنصوح من أصحاب القلوب المفتوحة والصدور السليمة فيقبل شاكرًا داعيًا.

والنصيحة المباشرة قد تكون ضرورة لبعض الأفراد الذين لا يمكن طرق الأساليب الأخرى معهم للتعنت الذي يبدونه فينصحهم مباشرة شخص له مكانته ومنزلته. . ويكون في حالة المكابرة نوع من العقاب والتأديب بل

والفرض والإلزام أحيانًا.

وبعض الناصحين يتدارك المواقف الحرجة حين النصح ويأتي بعده بنكتة لطيفة أو كلمة تضفي جو الدعابة حتى لا يحرج المنصوح.

وهناك مواقف سريعة مثل وجود منكر في السوق للداعي وليس له وسيلة للدعوة إلا الإنكار باللسان مثلاً فلا يتأخر.

التعريض في الحديث وسيلة دعوية غير مباشرة قد تجدي كثيرًا مع أصحاب الفطر السليمة ممن يغلب عليهم الحياء وربما يصدمهم النصح المباشر فيكون التعريض أسلوبًا يرفع الحرج عنهم. وقد كان رسول الله ﷺ يعرِّض في خطبه كثيرًا بقوله ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ**...».

وللتعريض أسلوب يطرح فيه بحيث يكون ضمن حديث غير متكلف وهذا يرجع إلى مهارة المتكلم وتسلسل أفكاره.. في وسط الحديث أو في نهايته حسب الحال.

فمثلاً يعرض بقوم هم جيران المسجد ولا يصلون ومن عوائل معروفة مع الأسف ولقد تحدث جماعة المسجد عنهم كثيرًا.

وهكذا يعرِّض للمرأة بأن الرجال ينتقدون المرأة الخرَّاجة الولاَّجة التي لا يهنأ لها بال حتى تطأ قدمها عتبة السوق.. وتعرض الداعية بما رأته كثيرًا في حفلات الزواج من اللباس غير المحتشم، وتستدل بالفتاوى في ذلك.. وهي تقصد المتحدثة إليها..

أيها الحبيب:

للرسائل الشخصية أثر محمود قد لا يتوفر في غيرها من الوسائل ومن أهمها أنها تبقى مدة في يد المرسل إليه يقلبها ويقرأها ويتمعن فيها.. بل ويعاود تفسير

معانيها ومراجعة كلماتها مرات عدة بدون حرج، ثم إنه لا يعلم من المرسل لكي يتتبعه إن كان ذا طوية سيئة أو يشتمه أو يعاديه. كما أن في عدم معرفة المرسل الحرية في ذكر كل ما يريد أن ينصح به.

وللرسالة شروط النصيحة بشكل عام فلا يفتري عليه أو على أهل بيته بشيء وتُجمَّل الرسالة بكلمات المحبة والأخوة في الله.. ويتلطف في النصح حتى لا يحدث رد فعل ويدعو له بالهداية والتوفيق والفلاح والنجاح، ويبتعد في رسالته عن الأمور الخاصة التي لا يعلمها إلا قلائل حتى لا يظن بأحدهم ثم يكرهه.. بل تكون عموميات وإن كان لابد من ذكر الأمر الخاص فيضيف له أمورًا أخرى حتى لا يبقى التركيز منصبًا على الأمر الخاص بعينه، وتكتب بخط جميل واضح وإن كان بجهاز الكمبيوتر فهو أولى.

وللرسالة الخاصة وقع كبير وأثر محمود يلمسه كل ناصح ومحب ومشفق.

والنصيحة كلمة عامة جامعة يعبر بها عن جملة إرادة الخير قال الشاعر:

تَعَمَّدْنِيْ بِنُصْحِكَ فِيْ انْفِرَادٍ ... وَجَنِّبْنِيْ النَّصِيْحَةَ فِيْ الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيْخِ لاَ أَرْضَىٰ اسْتِمَاعَهُ
وَإِنْ خَالَفْتَنِيْ وَعَصَيْتَ قَوْلِيْ ... فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةً

مفتاح القلوب

الابتسامة الصادقة أولى علامات المحبة وإظهار الود.. إنها تزيل الفرقة وتبعد الوحشة.. وهي رغم أنها بسيطة وسهلة فهي صدقة قال ﷺ: «**وَتَبَسُّمُكَ فِيْ وَجْهِ أَخِيْكَ صَدَقَةٌ**» [رواه الترمذي] فكم من الصدقات أضعنا بعبوسنا وتقطيب جباهنا في وجه إخوتنا المسلمين.. إنها المدخل الأول والعنوان الواضح لما في القلوب.

أخي الكريم:

المظهر الطيب علامة على ما بداخل الشخص...، فالمظهر الطيب في المجلس والمأكل والمشرب ويتبعه غض الطرف وخفض الصوت وحسن الأدب مع الكبير والعطف على الصغير.. كلها تنعكس على المدعو فهي مظاهر طيبة بادية على الداعي.

إفشاء السلام دليل مودة وصدق محبة، فالسلام يزيل ضغن القلوب وحقد النفوس ويسقط الرسميات والحواجز، وللسلام أخوات وهي السؤال عن الحال والأبناء وربما الوالد والوالدة وهكذا تتسع القاعدة يومًا بعد آخر حسب توسع المدعو في الإجابة فربما قال إن الوالدة مريضة فيبدأ السؤال عنها بصفة خاصة وهكذا يكون السلام قنطرة للسير على دروب الإخاء والمحبة، قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوْا، وَلاَ تُؤْمِنُوْا حَتَّىٰ تَحَابُّوْا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوْهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوْا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**» [رواه مسلم].

وليعلم الداعي أن كثرة الأسئلة فيما لا يعني مذمة ومنقصة.. وهي منفرة للمدعو فليسأل الأسئلة العامة ولا يكثر منها.. يكفي سؤال الأدب والمجاملة.

يتبع ذلك إظهار التشجيع والفرح لخصلة طيبة في المدعو حتى يكون ذلك

التشجيع حاجزًا له عن النكوص والتكاسل . . فإذا كانت الطالبة تحفظ القرآن تُشجِّعها المُدرِّسة أمام الملأ وتجعلها قدوة للطالبات حتى يكون ذلك دافعًا لها إذا تراخت وكسلت . . والآخر يصلي ولكنه يخشى عليه من التهاون فيذكر أنه ما شاء الله من المحافظين على الجماعة ولا تفوته تكبيرة الإحرام فيكون له نوع من الحرج إذا تأخر أو تكاسل . . ويكون هناك نوع من المتابعة الشخصية والمداومة على السؤال عن صلاة الجماعة أو حفظ القرآن . . مقابلة أو مهاتفة .

إظهار الفرح والسرور والاستبشار لترك معصية أو فعل طاعة ومحافظة على خير وإعلان ذلك تعريضًا أو تصريحًا حسب الحال .

فمن علم أنه بدأ يحفظ القرآن يؤازر ويشجع ، ويدل على طرق الحفظ ومن هم العلماء المشهود لهم بالقراءات وهكذا .

أما الاستبشار بالإقلاع عن منكر فيكون بطويه وعدم ذكره ونسيانه حتى لا يكون الإنسان في كل يوم يتذكر ما تركه ويسوءه أنه فعله في يوم مضى . . وربما تكون من عوامل انتكاسة المدعو إذا استسلم لها .

خلق الله الناس وجعل بعضهم لبعض سُخريًّا ، فهذا رب متجر وذاك مدير مكتب وآخر مدرس في مدرسة وآخر تحت يده من العمال الكثير . ولا شك أن حسن الخلق والتلطف مدعاة إلى قبول النصيحة بل والتأثر بالأفعال والتصرفات وذلك نابع من محبة الكبير والمسؤول في القلب لحسن تعامله .

ولذلك فإنَّ سماحة النفس وعدم الكبر والتغطرس والمعاتبة صفات مهمة فالناس تكره صاحب الرغبات الدنيوية المنتصر لنفسه ، وبعض هذه الصفات تظهر في الحياة بوجه عام وأخرى تظهر حين النقاش ومحاولة الانتصار للنفس واستعلائها ، فالداعي مقرِّب وليس منفِّر منتصر للحقِّ ، إن أخطأ اعتذر وإن لم يطلب منه ذلك ؛ لأنَّ هذا من حسن الخلق ومن صفات الداعية الموفَّق .

استثمار الفرص

الفرص الدعوية كثيرة ولكن بعضها قد لا يتكرر مرة أخرى؛ مثل جلوس الداعي بجوار شخص في الطائرة أو في صالة مستشفى أو في غيرها.. قد لا ترى الشخص مرة ثانية.

وهناك فرص قد لا تتيسر لك أنت مرة أخرى فالمرور بقرية على الطريق العام وأنت مسافر للحج أو العمرة أو السياحة أو العمل أو غيرها ووضع كتب وأشرطة في صالة المستشفى الصحي أو لدى الإمام والمؤذن لتوزيعها قد لا تحصل لك مرة ثانية وإن حصلت فهي على مدى شهور بعيدة، كما أن ذهابك لإصلاح سيارتك قد يكون مرة أو تزيد في العام كاملاً فهنا فرصة التعرف على العاملين في هذا المجال واهدائهم كتبًا وأشرطة بلغتهم.

وتتنوع الفرص بحسب الزمان والمكان وبحسب الحالة النفسية للمدعو، ولاشك أن تهيؤ الجو العام للدعوة مدعاة إلى الجد والاجتهاد فالكتاب سعره متوفر والشريط في كل مكان والقبول واسع..

هناك دول لا تعرف الكتيب ولم تر الشريط!! ربما بريال واحد تشتري به كتابًا وتهديه يهتدي على يديك فرد أو أسرة، أو مجتمع!! فكم لك من الأجر والمثوبة مقابل هذا الريال؟!

أيها الداعي:

إن من حمل هم الدعوة إلى الله شُرعت الأبواب أمامه ووجد حلاوة في الدعوة.. وليس هناك ما يدعو إلى عدم طرق الأبواب ودخولها.. البعض لازمه التقصير وأخذ منه العجز وإلا فهي دعوة الأنبياء والمرسلين والصالحين.

أخي الكريم:

لبعض المناسبات أثرٌ في قبول الحق فيُحرص على تلك المناسبات مثل الحج والعمرة وغيرها فإن كان المدعو قريبًا أعانه وضيَّق عليه طريق الأعذار ورتب له كل شيء حتى يوافق للذهاب للعمرة أو الحج. ويوجد بين ظهرانينا من لم يحج وله من العمر أربعون سنة أو تزيد مع سهولة المواصلات وانتشار الأمن وتيسر السبل فالحرص على هؤلاء واجب حتى يؤدوا فريضتهم لأنه لا يعلم ما في الغيب من مستقبل الأيام إلا الله.

وللعمرة في رمضان شعور روحي يتضاعف بأهمية هذا الشهر وقرب الكثير إلى الله ومداومتهم على العبادة فتكون نفوسهم أقرب إلى قبول الحق. . وهناك أمر مهم في هذا الشهر وهو رغبة الكثير في قراءة أي شيء حتى يقطع به ساعات النهار فيهدى له من الكتب ما يجعله ينصرف عن قراءة المجلات الغير مفيدة ومشاهدة المسلسلات والأفلام التي تغزو الأمة في هذا الشهر كغزو النار للهشيم.

وبمناسبة رمضان يدعى الكثير إلى البذل والإنفاق ويعان على ذلك بذكر أماكن الفقراء وعناوين الهيئات والمؤسسات الخيرية ويدفع إليه بتقارير عن أعمالها ونشاطها.

وفي رمضان يتوسع الناس في أمر الزيارات والبعض يجلس في مجالس طويلة تقارب وقت السحور فيجب الاستفادة من هذه الأوقات في زيارة صحبة طيبة للرجال وصحبة طيبة للنساء ومحاولة الاستفادة من الوقت.

وكثير من الشباب في رحلة الحج يذهب معهم من يرون أنه يحتاج إلى تثبيت أو دعوة للالتزام ويلحون عليه بشتى الطرق حتى يذهب معهم ويأنس بحديثهم

ويرى من خدمتهم له وحسن أدبهم حتى إذا عاد لم يتركهم فيستقيم أمره، وكثير من النساء تصر على أن تذهب للحج رغبة في أن يهدي الله محرمها في تلك الرحلة خاصة مع وجود الحملات وكثرة الدعاة فيها وإقامة برامج دعوية في تلك الأيام، وكثرة الأخيار في الحملة، فربما يأنس بهم، وربما تتفق مع قريبة لها أو صديقة لكي يكون قريبها مرافقًا هذا المحرم فتستمر العلاقة الطيبة ويأخذ بيده في الحج وبعده.

في حدوث المصائب والنكبات تنبيه وعظة لبعض الناس وإحياء لقلوبهم فتكون فرصة مناسبة للدعوة لتهيؤ النفوس وقبولها الموعظة والنصيحة.. فيذكر أجر الصبر ويطيب خاطره ويذكر بالله وجنته وناره.. فتكون هذه الحادثة نقطة بداية للمدعو.

كما أنه يَعِنُّ للداعي أمور لم يحسب لها حسابًا مثل سفر مع صحبة أو رحلة مع زملاء، والناس تحب صاحب النفس السخية الخفيفة الذي يخدمهم ويكرمهم ويسأل عنهم ويقرب لهم البعيد ويدني لهم القريب.. كل تلك بشائر محبة تدخل قلب المدعو دون أن يشعر وتجعله يكبر فيه خلقه وحسن أدبه وطيب معشره. وهذا مدخل للدعوة بل إنه فتح للقلوب على مصراعيها لما استقر في النفس من المحبة والمودة للمدعو.

في المجالس الخاصة والعامة يكون لإشاعة وذكر المشاريع الإسلامية والدعوة أكثر من هدف فمِنْ دعمها بالدعاء إلى مدها بالمال إضافة إلى معرفة الناس لها وتفاعلهم معها ونشر الحس الدعوي لدى المدعو وأن المسلمين بحاجة إلى ذلك المشروع أو غيره وفي ذكر تلك المشاريع أيضًا إشادة بالعاملين وتثبيت لهم.

وكذلك فإنه يجب على الداعي أن يختلق مناسبات الحديث ويوجه المدعو..

ويتحدث عن موضوع معين ابتداء أو يتعرض له أثناء حديث آخر ويشيد بالكتاب الفلاني ويذكر نقاطه المهمة ويعدد بعض مزايا الكتاب حتى يشد المدعو ويجعله في لهفة لقراءة الكتاب . . ثم يعقب الداعي إذا رأى تلك اللهفة : سيكون الكتاب عندك غدًا هدية مني .

أخـي الحبيب:

لا يعلم ما في مستقبل الأيام إلا الله وحده ، فمن غنى إلى فقر ومن صحة إلى سقم ومن حال إلى حال . .

غدًا ربما لا يتوفر لك وقت للدعوة بسبب معين . . وربما لا تجد مالاً لتشتري شريطًا أو كتابًا ، وإن توفر المال قد لا تجد الكتاب والشريط .

أما وإنك اليوم في صحة . . فالسقم قادم إليك والموت سائر نحوك فأيها الحبيب متى تدعو ؟!

اليوم أنت طالب في مدرسة وغدًا قد لا تجد هذا المجتمع ، بل وربما ينأ بك المكان فلا تجد من تدعوه . والساعة الآن كل الأبواب مشرعة فإن أقبلت أقبل عليك الخير وإن أحجمت فقد تغلق الأبواب .

إنها براءة للذمة وزيادة في الحسنات ورفع للدرجات . . كن متجردًا في الدعوة رغبتك التقرب إلى الله . . مخلصًا له ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف] فهذه الآية جمعت الإخلاص وشرط البصيرة والعلم .

تهادوا تحابوا

للهدية وقع في النفس فهي تقرب القلوب وتزيل الأحقاد قال رسول الله ﷺ: «تَهَادُوْا تَحَابُّوْا»(١).

ولسيت الهدية مرتبطة بغلاء ثمنها، بل هي للتواصل والتذاكر أرفع من قيمتها المادية، والكثير غفل عن أمر الهدية ولا يذكرها إلا عند المناسبات كالزواج والولادة.

والهدية بذاتها مناسبة مستقلة فمن الممكن اختلاق المناسبة ابتداءً، ويفضل أن تكون الهدية فيها فائدة مثل إهداء كتاب أو شريط أو أمهات كتب أو اشتراك في مجلة أو مجموعة من المساويك أو مصحف مجلد عليه اسم المُهدى إليه.. وغيرها كثير..

وهناك جانب آخر وهو سد النقص لدى المُهدى إليه فإن كان في حاجة إلى مدفأة أو مكتبة أو برَّادة ماء أو غيرها فهذا أولى لأن في ذلك تلمس لحاجته ولا يمنع الجمع بين أنواع الهدايا على فترات متباعدة خاصة ما رخص ثمنها، ولو جمعنا إهداءً من داعية لفرد واحد في عام كامل لما تجاوز ألف ريال.

ومن الأمور المعينة على ترك المنكر إهداء ما يعين على تركه مثل إهداء جوارب لستر القدمين بالنسبة للنساء، وكذلك إهداء ما فيه إعانة على الطاعة والستر والحشمة مثل عباءة واسعة وساترة وتكون من نوع جيد.

أيها الحبيب: يهدي الله على يديك مسلمًا بألف ريال؟ رخصت البضاعة فأين المشمرون؟.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو يعلى بإسناد حسن.

أبـــواب مشرعـــة

العمل الفردي عمل لا حدود له ولا قيود. . هذا رسول الله ﷺ في بداية الدعوة وصعوبتها اتصل بالرعيل الأول الذين أسلموا على يده وكوّنوا نواة لهذا الدين. . فالدعوة الفردية دعوة لا تعرف مواطن الشدة ولا الضيق لأنها في متناول الداعي في كل وقت وحين. . مقابلة أو مهاتفة أو مكاتبة أو بواسطة شريط أو كتاب أو غيرها.

ويعتقد كثير من الناس أن الدعوة الجماعية من على المنابر وفي التجمعات هي الأجدى ولكن بالتجربة والاستقراء فإن الدعوة الفردية تحقق ما لا يمكن تحقيقه على رؤوس الملأ ولا شك أن في كل خيرًا.

* ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [الأنفال: ١] شعار رفعه في سبيل تأليف القلوب بين عائلته فإن العداوة والبغضاء تأكل قومه. . حلقت الدين وحصدت الحسنات. . فلك أيها الداعي أجر تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين.

ويستفاد منها في الجانب الآخرحب الناس لك وقبول دعوتك وسماع قولك.

* من وسائل استمرار المدعو تثبيته ومواصلته بالزيارة والسلام عليه وصلته وتفقد أمره وعدم الانقطاع عنه فإن الإنسان ضعيف تتخطفه الشياطين من كل ناحية فهو بإخوانه أقوى وأشد.

* بث الأمل في النفوس بأن النصر لهذا الدين وترديد الآيات والأحاديث التي تبشر بذلك فإن ذكر تلك البشارات حث للنفوس وتشمير للهمم وصبر على

الأذى واستمرار على الطريق.

* مشاركة المدعو في اهتماماته حتى وإن خالفت اهتماماتك لكي يركن إليك ويحرص على محادثتك وينشأ بينكم نوع من الود يكون طريقًا للدعوة، وقد قيل: الطيور على أشباهها تقع، وما ذاك إلا من تقارب الاهتمامات وحسن المودة.

* صلة الرحم من أبواب الدعوة غير المنظورة لما في ذلك من حسن الثناء على الملتزمين والدعاة وذكرهم بصفات تحبب النفوس إليهم وتجعل المدعو يقبل على الاستماع لحديثهم وتقبل دعوتهم.

* تخصيص وقت دعوي ساعة في الأسبوع إذا كان العمل جماعيًا سواء في المعهد أو المدرسة أو المصنع فإن ذلك أقرب إلى دعوة شخص بعينه.. بحيث لا يتم التركيز عليه إلا في وسط الجماعة لأي سبب كان..

* إظهار المحبة في المقابلة والمهاتفة والدعاء للشخص المقابل بأدعية متصلة تؤثر في نفسه وتحرك شجونه مثل:

= حرَّم الله وجهك على النار.

= أسكنك الله الفردوس الأعلى.

= رفع الله درجتك مع النبيين والصديقين والشهداء.

= بلغك الله أعلى منازل الجنة.

فإن لتلك الأدعية وقعًا في النفس فهي تفسح المجال لسماع ما بعدها من نصيحة أو توجيه أو حتى كلمة عادية والهدف زرع المحبة وربطه بتلك النظرة البعيدة في الآخرة.

* لعامل الوقت أهمية في الدعوة فاختيار الوقت مهم جدًا في الزيارة.. فلا

يطرق على المدعو في وقت راحته أو أكله أو نومه . . وهناك أوقات تختار بعناية لتساعد الداعي في الدعوة مثل رجل متكاسل في الصلاة فيزوره الداعي قبل الأذان بدقائق وعندما يؤذن يعرض عليه الذهاب معًا إلى المسجد . . فيكون في تلبية الدعوة بداية تطبيق عملي للقبول .

* في أحيان كثيرة يكون الزمن عاملاً مهمًّا في الدعوة فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ربما تكون المدة الزمنية هي مدة رؤية المنكر . . فتلك امرأة متبرجة مرَّت من أمام رجل لديه فرصة ثوانٍ فقط لإنكار المنكر فإن استفاد منها وإلا احتاج إلى إيجاد فرصة أخرى مثل مرورها ثانية أو اللحاق بها . والفرصة الأولى أدعى للوقار وأسهل في الوصول، فيجب عدم التردد في أمر النصيحة وتوطين النفس عليها وعلى ما سيلاقيه في سبيل ذلك .

ويكون التعود على الاستفادة من الفرص وعدم التردد بتعويد النفس ومجاهدتها وإذكاء الغيرة الإسلامية فيها .

* قد لا يكون للداعي قبول مباشر أو قد يكون استنفد وسائل الدعوة، فهناك إمكانية دعوة المدعو عن طريق طرف خارجي . . مثل دعوة البنت عن طريق أمها أو صديقتها أو الزوجة عن طريق أحد الأصدقاء ممن يعتمد على دينهم وصحبتهم . . أو عن طريق أحد الزوجين .

فبين الزوجين حبل مودة ورحمة جعله الله سببًا لاستمرار الحياة بينهما وأحيانًا يكون الزوج هو المدعو والزوجة هي الداعية وأحيانًا العكس .

ويختلف أمر دعوة الرجل لزوجته بحكم الولاية والقوامة وسرعة قبول المرأة لفكر وتوجيه زوجها .

وأسرع الوسائل من أي من الطرفين هو حسن الخلق وبذل النفس وحسن

العشرة وطلاقة الوجه والتوجيه غير المباشر وله منطلقات عدة ومسارات مختلفة بحسب الداعي ونفسيته والمدعوة ونفسيتها وتربيتها .

وللزوجة أن تدعو زوجها بالتي هي أحسن وتُجمِّل له سماع بعض الأشرطة وقراءة بعض الكتيبات وتضع بين يديه ما تريد من الكتب وتدعه يطلع عليها بمفرده .

كما أن التأثير ربما يكون من الخارج فتحاول أن تزورها صديقة لها . . زوجها صالح ومستقيم فربما تنشأ بينهم نوع من العلاقة تزداد مع الأيام وتتطور مع مرور الزمن .

وقد يضطر الزوج لتجاهل طلب زوجته زيارة أناس يرى أن لهم تأثيرًا سيئًا على دين زوجته وفكرها وله أن يبدلها بتعويض مناسب مثل زيارة عائلة أخرى أو كلمة حانية طيبة حتى تهدأ نفسها .

أما الزوجة وهي غالبًا الداعية كما نسمع فإنها ستواجه صعوبات كثيرة خاصة إذا كان الزوج من أصحاب الشبهات ويجمع مع تلك الرداءة سوء خلق . فيجمع عليها هم الدين وغم التعامل لكن هذا هو مجال الدعوة وركن الصبر وإلا فكيف تكون داعية وزوجها مستقيم يعينها على الطاعة؟ إنه جهاد له ثمن وصبر له نهاية وربما يعجل الله بطريق الهداية أو بفرج من عنده .

يـا أبـتـي

الداعي ينقذ المدعو وينقذ أسرته ومن وراءه من عذاب جهنم . . إنه يأخذ بيده ويبعده عن طريق المهالك ومفازات الصحراء، ويبين له طريقًا فيه أجر من واجب أو سنة أو مستحب فله من الأجر مثل ذلك .

للوالدين حقوق كثيرة لا تخفى على عاقل . . والناس تلاحظ ذلك وتراعيه وأذكر أن أحد الشباب قد تقدَّم لخطبة فتاة فسأل والد الفتاة أباه : كيف بره بك؟! ولا شك أن ذلك أكبر منطلق للبر بالأم والزوجة والأخت، والناس تحب صاحب الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة وتتعاطف مع كبار السن ممن يحتاجون إلى أبنائهم .

وقد ذكر لي أحد الإخوة عن رجل كبير في السن وله منصب وجاه ولم يكن ذا التزام كامل فكان أن مرض وبدأ كبار القوم ووجهاؤهم يزورونه فجعل يثني على أحد أبنائه علانية وأنه بارٌّ به لا يفارقه ليلاً ولا نهارًا .

فالتف القوم إلى الابن البار فإذا عليه سمت الصالحين وسيما الخير فكان داعيًا صامتًا، وقد ذكر الشيخ أحمد القطان كيف كانت توبة والده وهي حول هذا الموضوع، وكثير من الشباب الملتزمين ليس لوالديه نصيب من الدعوة بل ولا من التلطف وحسن الأدب وقضاء الحوائج فمن أولى بذلك؟ أتدعو صديقك وتترك أباك وتدع أمك؟!

لذلك فإن بسط الوجه والإحسان إلى الوالدين وخدمتهما والسهر على راحتهما مفتاح للدعوة إلى الله في قلوبهما .

أخي المسلم:

يغفل كثير عن أمر دعوة من حوله مع أنهم إذا اهتدوا والتزموا يعينون على

الطاعة ويثبتون على الحق فهم الأكثر التصاقًا بالمدعو . . بل إن منهم من سيكون له تأثير على تربية أبناء المدعو والمدعوة كالخال مثلاً فهدايته مدعاة إلى المحافظة على صلاح أبنائه ؛ إذا رأوا خالهم وأبناءه على حال طيبة . . أما إذا كان الخال على سوء حال والأبناء والأم لابد أن يذهبوا لأخوالهم قلَّت أو كثرت تلك الزيارات فإن ذلك له آثار سلبية على الصغار . . وطول مدة الدعوة في هذه العلاقة تجعلها تسير ببطء ، وبنفس دعوي مركز سيثمر إن شاء الله .

* أخرج مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال : «**يَا فَاطِمَةُ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ ، يَا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بَنِيْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، سَلُوْنِيْ مِنْ مَالِيْ مَا شِئْتُمْ**» .

وهذا سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم قال لقومه بني الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تسلموا ، فأسلموا فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام .

العـــــدو

للدعوة عداء مع اليأس . . فلا يأس مع الدعوة، والدعوة ليست مرة واحدة لنقف بعدها . . بل تكرر المحاولات وتعاد المرات مرة بعد أخرى حتى ينتهي وقت الدعوة وهو نهاية عبادة الله وخروج العبد من الدنيا . . عندها يتوقف أمر الدعوة . . فالرسول ﷺ وقف على رأس عمه وهو في الموت يقول له: «**يَا عَمِّ، قُلْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عَنْدَ اللهِ**» [متفق عليه].

لذلك فاليأس داء قاتل ويجب الحذر منه فإنه يؤدي إلى المهالك، وربما قاد إلى الانفعال في النصيحة وهذه ضررها واضح، ولكن يكفي الداعي أنه وضع له لبنة أولى ورسم معلمًا واحدًا، فيأتي من يتمم بعده ويكمل الطريق فلا يصادم المدعو ولا يولِّد عداوة وكرهًا بل يقف عند حدِّ الدعوة وعدم الانتصار للنفس.

وقفات

إن بث الحماس في الناس وتجديد معلوماتهم عن سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وكذلك التاريخ الإسلامي والمواقع التي جملت جبينه على مر الأيام فيها إذكاء لحماسهم وتقريبهم إلى الأعمال وتحبيبهم إلى حب هذا الدين.

وفي المقابل فإن من أبواب الدعوة غير المباشرة ذكر مآسي المسلمين وما يعانون من فقر وجهل وقتل وتشريد، ويعرض في ذلك شكرًا للنعم التي نعيش فيها ودفعًا للمدعو إلى التفكر في الفرق بين الأمم وما حل بها من العقوبة لما اقترفوه، وهذا يرسخ في الإنسان المدعو فضيلة التفكر والنظر في مآل ومصير الآخرين وما هو فيه من نعمة وأمن، ثم إن ذلك يحرك كوامن الإسلام في نفسه ويوقظ قلبه من سباته.. وينفخ في نار تحت رماد المعصية فربما يهب من سهوه ويصحو من سباته ويستيقظ من غفلته.

* ذكر البشارات المفرحة لكي يطمئن قلب المدعو.. مثلاً ذكر الأحاديث في باب المحافظة على الصلاة: «مَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ» وحديث: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّوْرِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهكذا من البشارات التي تفرح المدعو وتجعل نفسه تطمئن وتنشط.

أيها الداعية:

من مظاهر الدعوة الصامتة الاعتزاز بهذا الدين والتفاخر به وتطبيقه في الحركات والسكنات والمظهر والمخبر على الأنبياء والزوجات.. وعلى نفس الداعي، فتراه ملترمًا بأمر الله معتزًا بأعماله لا يطأطيء رأسه ولا ينحني إلا لله.. وبعض الأطفال يحرج إذا سُئل هل لديكم تلفاز أو دش في البيت؟! لكن إذا كان قد رُبي على العز والفخار، أجاب: لا بملء فيه.

ولا شك أن في ذلك لفتًا للنظر بل ومدعاة للسؤال وإن أجاد الطفل الإجابة ووضح الأضرار والمساوىء كان قد أدى المقصود والمراد.

* لإمام الحي مكانة في النفوس خاصة إذا كان عالمًا أو طالب علم وله نشاط ملموس في الحي، وكلما تقاربت مساكن الحي كانت كلمة الإمام أكثر وأجدى لقربهم من المسجد.

وللإمام طابع رسمي يعين على الاستفادة من مركزه في الزجر والتحذير في حالة عناد ومكابرة المدعو وهي مرحلة متأخرة تأتي بعد الدعوة بالحسنى.

وعن طريق الإمام يكون هناك ترتيب كامل للحي وترتيب للدعوة وتوزيع للكتب عن طريقه وتحدُّث باسمه.

كما أن زيارته للمدعو لها أثر طيب ووقع حسن في النفس، وقد تكون هذه الزيارة ابتداء من الإمام إذا كان من أهل الدعوة، وقد تكون بطلب من أحد الجيران أو الزوجة وغيرها.

ولاشك أن الاستفادة من ممارسات الآخرين وأعمالهم والأخذ من تجاربهم أمر مهم وضروري لأن الداعي مثل البائع الذي يعرض سلعته وبعض البائعين قد تمرس في البيع وعرف المداخل والمخارج فهكذا الداعية كلما ازداد مسيرًا في طريق الدعوة زاد خبرة ومعرفة بأحوال الناس وأسهل وأيسر المداخل.

في كل مدعو غالبًا نقاط خير متعلق بها فيزداد منها، ويحث على الإكثار منها وينظر إلى نقاط الشر الأقل تعلقًا بها فينهى عنها في باديء الأمر فإن التزود مما تحبه النفس فيه يسر وكذلك النهي عن بعض المنهيات التي يتعلق بها الشخص تعلقًا يسيرًا أمر فيه سهولة أقل من قطع الصلة بسرعة لما هو متعلق به.. فالتدرج ضروري.

ولابد من البحث عن أسباب وقوع المعاصي والبحث عن أسباب دواعي الخير فتلك المعلومة تقلل من وقوع المعاصي ومعرفة مداخلها فتغلق أو تضيق وهو أمر مهم أما فعل الخير فيزداد ويستدرك .

* توطين النفس وتعويدها على البذل والجود بالمال والوقت والعلم فإن تلك الصفات، مما يحبه الناس ويقبلون من صاحبها فالجود سبب لانفتاح القلوب وهي صفة إذا عرفت عن الداعي أصبح محبوبًا ومقبولاً :

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوْبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

لا تـزل قـدمـك

للداعي خط واضح يكفي أنه سائر على طريق غير مستوحش فيه لأن أقدام الأنبياء والصالحين سارت عليه . . فهو يسير على الخُطا ويقتفي الأثر .

وقد جمعتني ببعض الأحبة مناسبة أسلم فيها بعض الأجانب وكان محور الحديث فيها عن الإسلام وكيف أسلم كل فرد منهم، وعندما أتى الحديث إلى أحدهم قال : كنت طبيبًا ولا أزال وأعمل مع بعض الموجودين في المجلس وأحمد الله أن من عليَّ بنعمة الإسلام . . ثم ذكر بداية معرفته بالإسلام فأشار إلى بعض الحاضرين وقال : هذا دعاني مرة وأخرى وثالثة وأنا معرض عنه حتى أتى يومًا فتحدث لي عن الإسلام وكنت غضبان فنهرته وطردته من مكتبي فلم يعد إليَّ مرة أخرى ولكن كانت هناك محاولات أخرى مع زوجتي وهي طبيبة في نفس المستشفى فكان أن أتى الإسلام إلى منزلنا عن طريقها فأسلمتْ ثم أسلمتُ ولله الحمد . وأنا أعتذر للأخ الذي نهرته ولكني ألومه الآن، لماذا لم يعد عندما نهرته وغضبت عليه؟! فالدعوة تحتاج إلى صبر وتضحية ومعاودة مرة ثانية .

وفي أمر الدعوة يجب أن يلاحظ الداعي احتياجات الشخص فمن كان التقرب إليه بالمال دفعنا له مالاً ولا يستعجب من ذلك فهذا الذي قدم على رسول الله ﷺ وأعطاه ما يريد من الدنيا عاد لقومه ليقول لهم : أتيت من عند من يعطي عطاء من لا يخاف الفقر . . لم ينظر إلا من هذه الزاوية ولذا لم يقل أتيت من عند نبي الله أو هلموا لأكمل الأديان وأتمها . . لا بل نظر إلى ذلك من زاوية الدنيا وهي التي لفتت انتباهه وهي التي رغبته في الإسلام . . وبعض المدعوين ينقاد من هذه الزاوية أو من زوايا أخرى فلا يتعجب في البداية من ذلك وليكن الرسول ﷺ القدوة في الدعوة .

* في أحايين كثيرة من الدعوة يحسم الموقف عند حد معين خاصة إذا كان المدعو بدأ ينفعل وينتصر لرأيه فربما يكون في ذلك ضرر عليه في دينه إن كان مسلمًا فيجب التوقف والانسحاب فالداعي صاحب دعوة لا صاحب انتقام وتشفي.

فهناك جهلة كثيرون.. وهناك مكابرون ومعاندون ولكن الداعي يسير على نور من ربه في طريق مرسوم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

والحذر أن يكون للداعي موقف يأخذه الشيطان فيرى أن ينتصر لنفسه ويشفي صدره وهذا ليس بأسلوب الدعاة بل الانتصار لله ولرسوله، وتهان النفس وتذل في سبيل الدعوة. لأنه يستقي علمه ومسير حياته من تعاليم القرآن الكريم وسند نبيه ﷺ وربما يقف يومًا يحتار فيه حتى يقرأ هذه الآية فتنجلي الحيرة وتتضح الرؤية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

* يجب الحرص وعدم التحدث عند الآخرين بأن فلانًا به كذا وكذا وينقصه كذا وكذا، إلا إذا كان في أخبارهم فائدة لدعوة المدعو؛ لأن ذلك ينفر عن الداعي ويجعله غير محبوب، كما أنه يفتح باب الغيبة بين الناس.

بحر الجود

من أهم وسائل الدعوة إلى الله الإنفاق في سبيل الدعوة فالمنفق يستطيع أن يطبع ألوفا من الكتب ويوزع مثلها من الأشرطة ولديه إمكانية تأليف القلوب بالمال والجاه الذي يملكه، ولا شك أن إنفاق المال في الدعوة إلى الله من شكر نعمه، فالغني أتى إلى هذه الدنيا وهو لا يملك نعلاً في قدمه فضلاً عما وراءها.

فالنعم قسمة من الله لعباده مثلما قسم وبسط الأعمار والأجسام والأخلاق، فلا لأحد فيها فخر ولا له فيها جهد ونصب فلا يدَّعي أحد مثل قول من كفر بنعمة الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، أو إنني إنسان ذكي نَّهازٌ للفرص مطلع على الأحوال.. فهذه مكابرة، فليس كل من عمل أو استغل الفرص كثر ماله بل ربما يكون العكس.

فليتق الله أهل الأموال، وغالب الناس اليوم كذلك، فلينفق الجميع مما أعطاهمْ الله قلَّ أو كثر، فوالله كم رأينا من محروم حرم نعمة المال وكم من محروم حرم نعمة الإنفاق.

ومن تأمل في حال الكثير وجد أن الآخرة لا حظ لها من ماله.. فكم من معلم أو موظف أو تاجر أنفق في عام كامل ألف ريال فقط في سبيل الدعوة؟! وكم من معلمة أو موظفة أنفقت مائة ريال في الشهر؟!

نعم مائة ريال من مرتب يزيد عن ستة آلاف ريال؟!

لا تتعجب أيها الحبيب.. بل ريال في كل يوم من كل مسلم يكفي أمة محمد دعوة وتعليمًا وسبد حاجة وستر عورة!!

ولكن أين المنفقون؟!

أما من يسعون للآخرة سعيًا فسأحدثك بطرف من أخبارهم . .

أحدهم جزاه الله خيرًا وحرم وجهه عن النار وضع حصالة في صالة منزله يضع فيها يوميًّا مبلغًا من المال صباح كل يوم عندما يوزع مصروف أبنائه . . فيكون للحصالة نصيب من المصروف . . ريال أو عشرة أو خمسة أو مائة . . وفي نهاية الشهر أو أكثر يسلمها إلى أصحابها ، قال : لم أستطع أن أقتطع شهريًّا من مرتبي بصفة مستمرة نسيانًا أو غفلة فوضعت هذه الحصالة لأراها كل يوم فأضع فيها ما يتيسر ولله الحمد .

أما إحداهن ستر الله وجهها عن النار فكأنها ما خُلقت الصدقة إلا لها . . صدقة من حليها ومن ملبسها وإنفاق من مرتبها وكفالة يتيم لمدة عام ومشاركة في أعمال الخير . . تريد أن يكون لها سهم في كل إنفاق ! !

* أما طفل الإسلام الصغير الذي لم يتجاوز العشر سنوات فهو يأخذ من مرتبه في مدرسة تحفيظ القرآن عشرة ريالات فقط والباقي ينفقه في سبيل الله .

أسهل الوسائل

الاتصالات الهاتفية جعلت باب الدعوة سهلاً ميسرًا . . وطرق الدعوة تختلف باختلاف طبائع الأشخاص ونوع المعصية فربما يستنفذ الشخص جميع الوسائل ولا تجدي أي وسيلة وربما ينفع الله بأول وسيلة . . ومن تلك الوسائل التي يسَّرها الله لنا في هذا العصر . . الهاتف .

وهو وسيلة دعوية سهلة . . فيها صلة الأرحام، وسؤال عن الحال . . وبث نصيحة وإنكار منكر وإعلام بحديث، وحفظ ومراجعة للقرآن . . وبالهاتف يُستفتى العلماء ويسأل طلبة العلم وكثير من الاتصالات التي يداوم عليها صاحبها تزرع في نفس المتصل عليه المحبة لهذا الشخص بشرط أن يبتعد عن كثرة الأسئلة وفضول الكلام . . بل يكفي السؤال العابر وإظهار المحبة الصَّادقة ومع تكرار تلك الاتصالات حتَّى على فترات متقطِّعة يستطيع الدَّاعي أن يدعو بسهولة وتدرج .

والهاتف من أسهل أمور الدعوة بالنسبة للمرأة التي لا تستطيع أن تصل رحمها متى ما أرادت، وتدعو أحبتها وقريباتها من خلال الهاتف، ولها في الاتصالات قربة وسلوى .

ولا تغني الاتصالات عن المشاهدة والسؤال عن الحال مباشرة، ولكنها تؤدي غرضها إلى أجل الزيارة، فإذا وقعت الزيارة كانت الدعوة أكثر قبولاً وأوضح محبة للزائرة التي تتفقدها بين حين وآخر .

وللهاتف مجال رحب وواسع في باب النصح خاصة لأصحاب السمت الطيب والحياء الفطري، فبالإمكان الاتصال على المدعو ذكرًا أو أنثى ويسلم

عليه ويمدح بما هو أهله ثم يذكر الأمر. . وإن كان في ذلك حرج وصعوبة فبالإمكان شرح الأمر لأحد أصحاب الرفق واللين ممن منحه الله طلاقة في الحديث وحسنًا في اختيار العبارات، فيحدثه الداعي بأن هنا كذا كذا ولا يخبره إلا بالاسم الأول لعدم الحاجة إلى الاسم الكامل ويدعه يتصل بالمدعو في وقت مناسب ويختصر في الحديث ولا يجادل ولا يعارض. . بل هو حامل رسالة يبلغها. وكثيرٌ من تلك الاتصالات خاصة بالنسائية نفع الله بها لأنها خالصة لوجهه الكريم ويخاطب فيها أصحاب الحياء والفطر الطيبة. . وما كان لله فهو يبقى.

يـا بنـــي

الأبناء مرآة تعكس حال المنزل وما بداخله . . والأبناء إذا كانوا على درجة من النظافة والترتيب وحسن الأدب علم الناس حسن تربيتك وتقربوا لك لأنهم رأوا حالك في المنزل . . وقليل من يهتم بجانب تربية أبنائه في هذا الزمن .

ولحسن التعليم والتربية نرى أن من يحفظ القرآن وهو صغير يبرز بين أقرانه ويحدثهم بحفظه للقرآن وكم يحفظ ، ومتى يحفظ ؛ فيكون داعية لحفظ القرآن بحديثه مع أقرانه . . بل ربما امتد ذلك للآباء والأمهات ليتحدثوا عن حفظه وكم يحفظ إنها حلق ومدارس مباركة فما أن ينتهي الطالب من المرحلة المتوسطة حتى يكون قد حفظ القرآن كاملاً . . وهذا يحرك شعور النقص في تربية بعض الأسر وسوء اختيارهم وغفلتهم عن أبنائهم .

* من وسائل محبة الزائر أن يظهر الداعي محبة أبناء البيت والسلام على أطفالهم والسؤال عن أحوالهم ومستوياتهم الدراسية فإن هذا مما يفرح الوالدين . . أما إظهار عبارات الثناء والمديح للأبناء فإن ذلك قمة السعادة للوالدين لأن الأب يرى أن ذلك امتداد لشخصه فكأنه مدحه من جهة الامتداد ومن جهة حسن التربية والتعليم والعناية بالطفل .

وما دام للأطفال هذا الواقع فإنهم مدخل من مداخل الدعوة من إظهار محبتهم وإهدائهم الهدايا الطيبة وهناك أشرطة جميلة للأطفال ليس فيها محظور شرعي بل فيها قراءات لصغار الطلاب وأنا شيد ومسابقات وهناك أشرطة فيديو في نفس هذا الاتجاه ، والإهداء لا يختص بالأطفال فربما أن الوالدين استمعا وشاهدا تلك الأشرطة فتلين قلوبهم لذلك وقد اهتدى الكثير عندما رأوا حالات

الدمار والجوع والفقر في الصومال والتشريد والقتل في البوسنة .

* للداعية تأثير قوي على من حوله من الأبناء فيحث الأب على العناية بأبنائه وتربيتهم والعناية بهم والسؤال عن عدم حضورهم للصلاة في المسجد . . وكذلك الأم تُسأل عن ابنتها وعدم مبالاتها بالمدرسة أو كثرة الهواجس فربما أنها تعاني من مشكلة ولا يجد أحد حلاً لها إلا بتدخل أكثر من طرف .

أصحاب الهمم

من أدب الدعوة إنزال الناس منازلهم وذكر ما بهم من صفات طيبة ولما لوالديهم أو عائلاتهم من مكانة . . وما يتمتع بها المدعو من سيرة حسنة . . فإن ذلك أدعى للقبول وراحة للنفس وتقبل للنصيحة، ولا يتعجل في النصيحة إلا بعد طَرْق المدعو بالعبارات الطيبة والكلمات المختارة وهي كلها كلمات حق وفيها معنى سام للدعوة .

وهذا الأمر مهم جدًّا فيفرق بين نصيحة كبير في قومه أو مركزه، أو رجل له فكر ومكانة لعلمه، أو كان من أهل الحسب والنسب، فإن ذلك من باب كسب القلوب وتأليفها وإنزال الناس منازلهم وحال المدعو تستدعي طريقة الحديث ونوعه بل ومكانه أيضًا .

ولابد من الاهتمام بهؤلاء لمكانتهم ولتأثيرهم في مجتمعهم بل ولتأثر الناس بما هم عليه من صلاح أو فساد، ولا يعني ذلك إغفال الآخرين إنما يدعى كل بحسب حاله وينزل منزلته .

كما أن في ذكر من لهم أثر في رفعة الإسلام من علماء وتجار للمدعو وكيف بذلوا أوقاتهم وأنفسهم وأموالهم . . بل حتى ممن هم دون ذلك ولهم أعمال مشهورة . . مدعاة إلى الحياء من الله وتنقص الحال . . فإن ذكرت سيرة علمائنا المعاصرين وجدت الدرر الكامنة والصور الناصعة ومن يجهل علاَّمة الإسلام في عصره وإمام أهل السنة في زمانه **الشيخ عبد العزيز بن باز** وما يبذله من مال في سبيل الدعوة حتى تواتر أنه يكفل ما يزيد عن ستمائة داعية في مشارق الأرض ومغاربها ولا يرد سائلاً أبدًا ويبذل من وقته وماله للإسلام ما استفاضت به

الأخبار وسارت به الركبان.

وهناك من المربين والمربيات من حسنت سيرتهم وطار ذكرهم لما لهم من أعمال عظيمة.. فهذه مدرسة لغة إنجليزية استقامت مدرسة كاملة على يديها. وتلك بذلت مالها وحُليها في سبيل الله.. وأخرى حرم الله وجهها على النار لا تأخذ من مرتبها ريالاً واحدًا بل تدفعه كله إلى الفقراء والمحتاجين والهيئات الخيرية.. وآخر يذهب لمراكز إصلاح السيارات، وما بسيارته من خلل، إنما هدفه دعوة العاملين إلى الإسلام وتوزيع كتب الجاليات عليهم.. صور كثيرة لا تخلو منها أسر ولا يغيب عن البال كثير من تلك الإشراقات الطيبة.

إن في ذكر ذلك تقوية للعزائم وتحريكًا للهمم وإشاعة لأعمال الخير وثناء على العاملين ودعاءً للمخلصين.

تقدموا وتأخرنا

للنصارى والكفار عمومًا دور لا ينكر في كثرة أعمالهم وتتابع جهودهم التي شرقت وغربت، فهم يدعون ويبذلون ويجاهدون ولا ييأسون. . وذكر أعمالهم وصبرهم فيه إذكاء للتحدي وتحريك لنفس المدعو وضرب للأمثال وقياس للواقع. . فهؤلاء النصارى بذلوا جميع ما يملكون من إمكانات مادية وبشرية وغيرها في سبيل دعوتهم الباطلة ودينهم المحرف.

وقد حدثني أحد العاملين بمستشفى للعيون فذكر أن لديهم طبيبًا ماهرًا نابغًا في عمله ويعد من الأطباء القلائل في مجال تخصصه وله مرتب ضخم وسكن مريح وسيارة فارهة، ولما تقدم بطلب إجازة سئل أين ستقضيها؟

فأجاب: في أفغانستان!! مع جماعة أطباء بلا حدود. . وهي جميعة تنصيرية اتخذت العلاج كستار لعملها الخبيث.

فتعجب الكثير من تضحيته بالمسكن المريح والمكان الجميل والإجازة السنوية يقضيها بين القنابل والرصاص في خيام لا تقي الحر ولا البرد.

أما ذلك المنصر الآخر فقد أقام في كوخ تنقصه وسائل الراحة مدة أربعين سنة كاملة. . نعم أربعين سنة في أدغال أفريقيا ووسيلة اتصاله بالعالم طائرة مروحية صغيرة تأتيه بين حين وآخر محملة بالأدوية الهدايا.

فذكر تلك القصص وتلك الإمكانات المالية الضخمة في التنصير تدمي القلب وتحرك المشاعر الكامنة في النفوس كما أنها تلقي ظلالاً على أعمال الكفار في سبيل تنصير وإفساد عقائد المسلمين.

أنت تحت المجهر

الناس يتعاطفون مع الضعيف والصغير . . ويتشوق الكثير إلى معرفة حال الداعية في منزله مع زوجته وأبنائه، هل هو حسن الخلق لين الجانب أم عكس ذلك؟ وتلك الأخبار تتجاوز الأسر والأقارب إلى الجيران والمعارف وكلها مقدمات لقبول الدعوة وربما تكون بابًا للصد بل وأحيانًا للاستهزاء إذا تلقفها ألسنة الفساق . . فهذا لا يكرم زوجته وربما رفع صوته عليها وهكذا . .

ثم إن الناس إذا رأوا حسن تعامل وخلق الأخيار أحبوهم وأحبوا تزويجهم والعكس ربما يقع .

وأذكر هنا قصة خاصة ليست من القصص العامة ولا تنطبق إلا على أفراد قلائل من بعض الشباب .

فقد كان لامرأة عجوز قريب غير ملتزم ولكنه حسن الخلق بار بوالديه وأقاربه صاحب كرم وسخاء وهدايا وعطايا فأحبته قريبته رغم علمها بمعاصيه الظاهرة، وكان لها قريبة تزوجت بمن ظهر عليه علامات الصلاح ولكنه كان يسوم زوجته العذاب لسوء خلقه ومنعها من زيارتها وإعانتها وهكذا حتى كرهته النساء وكان صورة كريهة للملتزمين، فإذا تقدم للمرأة العجوز خاطب ردت وعارضت قبول الملتزم وإذا تقدم صاحب الفسق الظاهر وربما التارك للصلاة رحبت به قياسًا على الآخر .

وهكذا كان هذا الأخ الملتزم مع جهل المرأة سببًا في كره الملتزمين لسوء خلقه وعشرته مع زوجته . . فهذا لا تقبل دعوته في وسطه لأنَّ تلك المعاملة السيئة سبقت دعوته فكرهه المدعو وكأني به يقول : أصلح نفسك أولاً ! !

الصدقة الجارية

في الساحة الآن مجلات إسلامية ذات منهج طيب وعلى الرغم من الحاجة إلى أضعاف هذا العدد من المجلات الموجودة إلا أن العدد الموجود على قلته يعتبر من وسائل الدعوة وذلك بتقديم اشتراك في المجلة للمدعو سواء علم من الشخص الذي دفع بقيمة الاشتراك عنه أم لا . . بحسب الحال فقد يكون هناك مناسبة طيبة ويخبر المدعو بذلك وقد لا تتهيأ الفرصة المناسبة ويتحرج الداعي من إخبار المدعو ولكنه يقدم اشتراكًا باسمه ويدفع قيمة الاشتراك .

وهناك مناسبات الأولى تنوع الهدية فيها مثل الهدايا التي تقدم إلى المرأة بعد ولادتها فغالبها تتراوح بين ثلاثة وأربعة أنواع من هدايا متكررة منذ سنوات . . فما المانع أن تخبر الزائرة صاحبة المنزل أنها ستزورها كل أسبوع مثلاً على سبيل الدعابة فإذا تعجبت من ذلك قالت لها : إنني أقدم لك هدية مختلفة عن الهدايا المعروفة وسأقدم لك اشتراكًا في مجلة تصلك كل أسبوع . . تنوب عني في زيارتك . . وهكذا ستجد المدعوة أن وسيلة دعوية ستطرق بابها كل أسبوع أو كل شهر وستقرأها على مهل وتتأمل ما فيها . . وتطلع على الفتاوى الشرعية وأقوال العلماء وغيرها مما فيه فائدة عظيمة .

وفي هذا الاشتراك إعانة للمجلات الإسلامية على الاستمرار والبقاء في جو سيطرت عليه المجلات الخليعة والفاسدة .

ثم الأمر الثالث في هذه الهدية هو أن وقت قراءة هذه المجلة ربما يكون في قراءة مجلات سيئة مادة ومحتوى ، ومن ناحية مادية فإن قيمة الاشتراك ربما يقل كثيرًا عن قيمة الهدايا الأخرى التي تقدم .

تنفيس الكرب

لابد من خدمة المجتمع والجماعة والقيام على شؤونهم وتلمس حاجاتهم حتى يكسب الداعي عطف ومحبة الجميع . . فيكون محبوبًا عندهم . . ومن أعظم الخدمات التي تقدم للمدعو كشف الكرب .

فإن كشف الكرب عن الناس وقضاء حوائجهم وتيسير أمورهم أمرٌ تحبه النفوس وتتعلق بفاعله، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها وفي الحديث : «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** . . . » [رواه مسلم] فالكثير يضرب أخماسًا بأسداس لأمر يسير إذا سدت في وجهه مفاتيح الطلب والرزق . . فتراه يقلب الطرف يبحث عن أحد يعينه ويساعده . .

فكن أوَّل من يهب لخدمته بالمال والجاه وبذل النفس ، وأذكر أن أحد الإخوة حدثني عن أحد العلماء الأجلاء رحمه الله ممن لهم مكانة ومنزلة فقال : حدثت الشيخ برغبتي في النقل من مكاني ووظيفتي إلى إدارة أخرى وكان هذا الطلب عرضًا فهب الشيخ رحمه الله من المجلس إلى داخل منزله فظننت أن الشيخ سيحادثهم بالهاتف فإذا بالشيخ قد أقبل وعليه آثار الوضوء ويحمل عباءته في يده وقال : هيا نذهب الآن، فقلت له : يا شيخ، ما قصدت ذلك الآن، أردت توصية أو خطابًا فقاطعني الشيخ وقال : هيا .

فكان أن ذهب معه وفرج كربته ولا يزال الرجل يدعو للشيخ إلى اليوم وكلما سنحت فرصة أو مناسبة أعاد هذه القصة على مسامع الجميع . وقد يظن البعض أن قضاء حوائج الناس والشفاعة لهم مختصة بطبقة معينة ليس هو من

أهلها، ولكن هذا ليس بصحيح. . فمثلاً التوسط لإدخال ابن المدعو مدرسة أمر ميسور للكثير حتى لو ذهب بنفسه للمدرسة. . وإعانة المرضى للحصول على العلاج في المستشفيات يقارب الأولى وكذلك التوسط للكثير في إنجاز أعمال صغيرة فيه فرح وتفريج كربة.

وأذكر أن شابًا في أحد الأحياء، فرغ نفسه لخدمة الأرامل والأيتام ومتابعة أبنائهم في المدارس وإنهاء معاملاتهم لدى الدوائر الرسمية وهي لا تأخذ من وقته مع حسن النية كثيرًا وتعني شيئًا عظيمًا لتلك الأسر.

وتفريج الكرب وإزالة الهموم لا حد له من الأعمال بل ربما بكلمة عن الصبر والاحتساب تجعل المدعو تهدأ نفسه وتقر عينه. وأعرف من بذلت نفسها للرد على مكالمات النساء لحل مشاكلهن وأكثر حلولها تطيب خاطر ودعاء وإعانة على الصبر والاحتساب وذكر بعض القصص والعبر. . فسبحان من سخرهم لخدمة المسلمين وتفريج كربهم وهمومهم.

الصحبة

أصدق وصف وأوضحه في أمر الصحبة حديث نافخ الكير قال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً**» [متفق عليه].

بل رفع الله ذكر الكلب برفقته للصالحين قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢].

والصحبة في مجال الدعوة في خطوتين: **الأولى منهما**: الدعوة إلى الالتزام، **والثانية**: الإعانة والتثبيت على الالتزام.

وإن كانت المرحلة الأولى تختلف مدتها إلا أن الثانية مستمرة حتى مراحل متقدمة من ثبات الالتزام ووضوحه.. بل إنها مستمرة حتى الموت.

والصحبة تكون غالبًا من خارج وسط المدعو، وحتى يكون لها قبول عند المدعو، يجب أن يودها ويحترمها ويقدرها وعندها يبدأ أمر الدعوة أما إذا كان هناك تنافر وعدم انسجام فربما يكون العائد من الدعوة قليلاً جدًّا، ولذا يفضل أن تعرف حال المدعو وما هي هواياته ورغباته وماذا يحب وكيف هي شخصيته.

وأذكر أن امرأة صالحة أرادت لزوجها الالتزام وسلوك جادة الحق فهاتفت بعض أقاربها وبعض العلماء وبعد مشاورات قالت لإحدى صديقاتها: زوجي يحب الرحلات البرية والصيد فابحثوا له عن رفقه طيبة لها تلك الرغبات وتحب تلك الرحلات.

فكان أن تم التعارف بينه وبين تلك الصحبة والرفقة وبدأ يذهب معهم في رحلاتهم البرية فأنس بهم والتزم على أيديهم.

وهذا يعطي مثلاً لمن أراد الدعوة أن يلتمس جانبًا يتفق فيه المدعو مع الصحبة حتى يكون منطلقًا لتلك الصحبة. وهذه الوسيلة تطرقها الأمهات والزوجات لأبنائهن وأزواجهن إذا لم يرين تأثر المدعو بطريقتهن وكذلك تشيع بين أوساط الطلبة والطالبات وفي مجتمعات الأحياء. وهي وسيلة فيها من الدعوة والصبر الشيء الكثير.

وعند البحث عن الصحبة الطيبة يجب الحرص على اختيار أفضل تلك الصحبة وأنفعها علمًا وأكثرها قربًا إلى الله فإن هناك من هم على خير وصلاح في أنفسهم ولكنهم مضيعون للأوقات في أحاديث عن الدنيا وربما بعضها في الغيبة فهذا وإن كان له في الدعوة نصيب فإن ضرره حاصل على نفسه وعلى المدعو.

وهناك أمور تعين على الصحبة ييسرها الله مثل صحبة مدرسة أو رحلة جماعية أو لقاءٍ في مكان عام وهكذا.

وللداعي أن يتلطف مع المدعو ويتصرف بلباقة وحسن أدب وبشاشة وسرعة خدمة حتى يكسب قلب المدعو ويجعله يتقبل ما يطلب منه من ترك معصية أو فعل خير.. وعليه بذل الجهد والنفس وربما المال والوقت في سبيل ذلك ولا يتكبر ويتعالى.. بل يتواضع ويتلاين حتى تبلغ محبته قلب المدعو.

الخلق الحسن إلهام من الله ومنحة لمن وفقه الله، ومن يتحلى بذلك قلائل ولكن يجب أن نوطن أنفسنا على حسن الخلق فما الحلم إلا بالتحلم والكرم إلا بالبذل، ويعجب المرء من أصحاب الدعوات الباطلة والعقائد المنحرفة كيف وطنوا أنفسهم على حسن الخلق والصبر على أذى الناس إن الكثير يلمز ويغمز بحسن خلقهم مقارنة بالآخرين وما علموا أن الله قال فيهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية].

الجليس الصامت

للكتاب الإسلامي انتشار واسع في مشارق الأرض ومغاربها وهو من أقوى وسائل الدعوة إلى الله وأكثرها شيوعًا وانتشارًا وقد ساعد على ذلك صغر حجمه وخفة وزنه وتدني سعره فلا يتجاوز البعض منها ريالاً واحدًا، كما أن لجمال العرض وتصميم الأغلفة عوامل جذب أيضًا.

ولقد تنوعت عناوين الكتب واختلفت المعالجات فيها وللداعي أن يختار من الكتب ما يناسب من المادة والموضوع.

ولا شك أن أهم تلك الكتب كتب العقيدة الصحيحة التي ألَّفها علماؤنا الأفاضل ولنرى أثر الكتاب واضحًا سأروي قصة أحد الإخوة ممن عملوا في توزيع الكتب على حجاج بيت الله الحرام في مطار جدة فحدثني قائلاً:

إنه في حج ١٤١٥هـ وأثناء توزيع الكتب على حجاج رحلة قادمة من السودان لفت نظري رجل يحمل كتابًا أصفر تمزقت أطرافه قد تقادم به الزمن فسألت صاحبه أن يعطيني إياه فرفض وقال: هذا الكتاب له عندنا في القرية سبع عشرة سنة وكلما حج شخص من قريتنا حمل هذا الكتاب. قال المتحدث: فنظرت إلى الكتاب فإذا به «دليل الحاج والمعتمر» للشيخ عبد العزيز بن باز، فقلت له: هاتان نسختان من كتاب التحقيق والإيضاح لنفس المؤلف وتعطيني النسخة الموجودة لديك؟ فوافق بعد مشقة.

وأذكر أيضًا أن إحدى المؤسسات الخيرية التي تقوم بإرسال كتب لخارج المملكة وصلتها رسالة من أخت مغربية أوضحت فيها حالتها المادية الجيدة وكيف أنها تلقت الكتب قبل رمضان بستة أشهر ولم تلق لها بالاً.. حتى جاء

شهر رمضان فتناولتها وقرأتها وتابت من أمور كثيرة ذكرتها .

والبعض أرسل يقول إن لديهم أحد الكتيبات الصغيرة محجوز لمدة شهر كامل يتناوبون قراءته واحدًا إثر الآخر .

ولا شك أن ندرة الكتاب الإسلامي في الخارج يدعو إلى بذل وإرسال المزيد دعوة إلى الله ورفعًا للجهل وإنارة للبصائر .

هذا بالنسبة للبعيد . . أما بالنسبة للقريب من ديارنا فحدثني من أثق به أن هناك مناطق لم تر الكتيبات ولم تقرأها وذكر أن بعض أقاربهم لا يعرفون الكتيبات وقد استظرف أحدهم كتابًا ذا غلاف جميل وحسبه من الروايات الغربية وتعجب من حسن غلافه وتصميمه ومادته .

والكثير ولا شك ربما قرأ كتبًا لكن موضوع النصيحة لم يقرأ عنه كتابًا ، فمثلاً المبذرون لم تصلهم كتب عن التبذير ، وأهل الفسق والمعاصي لم تصلهم كتب عن التوبة ، وأهل النوم عن الصلاة لم يروا كتبًا عن حكم تأخير الصلاة وهكذا .

ويحسن اختيار الكتاب بدقة وعناية وحرص . . وبالإمكان الاستفادة من البريد في إرساله أو يقدم في الحفلات والتجمعات العائلية والأسرية والمدرسية وغيرها على شكل جوائز وهدايا .

وكثير ممن يرسلون رسائل لأشخاص في الخارج يركزون على كتب الرقائق وبعض قصص التوبة ولا يرسلون معها كتابًا عن العقيدة؟ فما الفائدة إذًا إذا تاب المرسل إليه وعاد ورجع عن معصيته ثم قام ليذهب إلى قبر الولي ليدعوه أو ليطوف به؟! فالأولى إرسالهما معًا وإن كان ولابد من كتاب واحد فكتب العقيدة أولى .

والعجيب من تهاون الكثير في مجال الدعوة المتيسرة لديهم، فمن لديه خادمة يقوم شهريًا بإرسال رسالة لأهلها، فلماذا لا يرسل مع هذه الرسالة كتابًا أو أكثر. . ولو أردنا أن نعرف تقصيرنا وأحصينا ما لدينا من خادمات إندونيسيات مثلاً لقارب العدد مليون خادمة حسب الإحصاءات المعلنة فلو أرسل مع كل رسالة كتابان فقط وكان معدل الرسائل عشر رسائل سنويًا لأرسل كل شخص عشرين كتابًا لبلد مسلم ولأرسلنا من هذا البلد المبارك أكثر من عشرين مليون كتابًا لبلد مسلم استوحشته الأمم الكافرة وقامت بحرب شرسة لتنصيره فالله المستعان!!

أصغ بقلبك

من نعم الله على هذه الدعوة في هذا الزمن وجود الشريط الإسلامي وهو وجود متعدي النفع، فمن تعدده وكثرة المحاضرين إلى تيسر حمله وقلة ثمنه واصطحابه في أكثر الأماكن فراغًا وهي السيارة والمنزل. وكذلك انتشار محلات بيعه بل إنه يوجد في كثير من البقالات والدكاكين غير المتخصصة في هذا النشاط وما ذاك إلا دلالة على كثرة الطلب عليه.

وفي تنوع أسماء المحاضرات والمحاضرين فرصة كبيرة للاختيار، فمن دروس علمية إلى شرح للمتون ومحاضرات وعظية وقصائد شعر ترقق القلوب إلى أشرطة تحمل نفسًا إسلاميًا للطفل الصغير. وهذا التعدد والتنوع ربما يوقع الداعي في حيرة من أمره.. ماذا يقدم ويهدي للمدعو؟!

ولا شك أنه لابد من حسن تقييم الداعي ومعرفته بالأشرطة الموجودة وحاجة المدعو وطبيعته الشخصية وميوله النفسية، ويمكن سؤال المهتمين بالأشرطة والمتابعين لها من المستمعين أو من العاملين بالتسجيلات.

ويفضل أن تكون الدعوة في البداية بالتمهيد وتعويد الأذن على سماع الشريط الإسلامي هي فاتحة سماع الشريط عند البعض فهناك أشرطة دعوية أدبية وهناك أشرطة عن تربية الأبناء وهناك أشرطة للصغار.. كل هذه تكون نواة للشريط الأول المُهدى لشموليتها في المواضيع كشريط عام عن السعادة مثلاً وكذلك لتربية الأبناء اهتمام لدى الكثير.

ويحسن إهداء شريط واحد فقط حتى يسمع كاملاً ويكون له وقع في النفس. وبعض الأشخاص ربما تكون دعوتهم عن طريق صغارهم فيهدى

أشرطة أطفال كإهداء من الداعي إلى أطفال المدعو وغالبًا يحبها الأطفال ويفرحون بها فتكون بداية لدخول الشريط الإسلامي لذلك المنزل.

وقد ذكر لي بعض الإخوة الكرام عن شاب سافر إلى بلدته من الرياض ومعه والدته وعمته فلمَّا ركبت عمته العجوز وبدأ السير رفع الشاب جهاز التسجيل فإذا بصوت غناء أحد المغنيين فسألته العمة العجوز: كم المسافة إلى البلدة؟

فأجاب: بأنها تقارب من الساعتين.

فقالت له: وهل سنمضي الساعتين مع هذا الغناء؟

قال: نعم.

قالت: ليس هذا من حسن العشرة ورفقة الطريق ولكن لك ساعة ولنا ساعة أي أن الطريق مناصفة بيننا.

قال الشاب: فاستلطفت العرض ووافقت على ذلك. فقلت لها: أين شريطك يا عمتي؟

قالت: بل أنت ضع شريطك، فقال لها: الشاب: بل أنت يا عمتي أكبر سنًّا مني ولك الحق في ذلك..

فناولته شريطًا لأحد الوعاظ مليئًا بالقصص الجميلة عن الحياة ويردد بين حين وآخر بيتًا من الشعر.. فاستمع الشاب إلى الشريط بمتعة عجيبة حتى مضت الساعة كاملة وكأنها دقيقة، عندها قالت له عمته: هيا، هات شريطي وضع شريطك.. قال لها: يا عمتي حتى ينتهي الشريط قالت: لا.. المؤمنون عند شروطهم.

فأصر الشاب على عدم تغيير الشريط رغبة في معرفة نهاية أحد القصص التي

ذكرت في الشريط . . عندها قالت له العمة : بشرط أن لا تضع شريطًا لك طوال ذهابنا وعودتنا . . فوافق على ذلك وكانت بداية هدايته على يد ذاك الشريط .

فحسن الاختيار مهم والتوقيت مهم والموضوع الذي يختار مهم أيضًا وكلها عوامل إذا اجتمعت قد تكون سببًا من أسباب هداية المدعو أرادها الله .

لمسات حانية

المدرسة مكان دعوي مهم وأرض خصبة منبتة . . يساعد على ذلك عوامل كثيرة منها طول مدة اليوم الدراسي والسنة الدراسية وكذلك قيمة الدرس وأهميته . . وتتفاوت الدعوة باختلاف الأعمار من مرحلة إلى أخرى .

ومن خلال خمس وأربعين دقيقة يستطيع المعلم والمعلمة إيصال ما يرغبون فيه إلى الطلبة بشكل عام وإلى الطالب المعني بشكل خاص ، وهناك التفاتات من المعلم إلى الطلبة النابغين والنابهين ومن لهم وجاهة في المجتمع من علم أو منصب أو جاه فإنهم القدوة في وسط ذاك المجتمع . . وكذلك الالتفات إلى من يحتاج من الطلاب إلى عناية ودعوة ، وللمعلم حرية وطول وقت تساعده على اختيار وسائل وطرق الدعوة بل وتنوعها وتعددها .

وسأضرب لذلك مثلين أو أكثر تبين أهمية المدرس في المدرسة وأثره على الطالب وأسرته :

فالأول : ذكره لي أحد أئمة المساجد ، وكان قادمًا من منطقة بعيدة إلى الرياض للدراسة الجامعية وكان متفوقًا وقد سأل أحد المشايخ طلاب السنة الأولى الجامعية . . من الأوائل في هذا الصف؟! ثم بدأ يسأل الأوائل كم تحفظ من كتاب الله عز وجل؟!

قال الإمام وكان من المتفوقين : سألني كم تحفظ من كتاب الله؟! فأجبته : أربعة أجزاء . .

فقال : هذا لا يليق بك ولا بطالب علم مثلك ، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه بعد المحاضرة .

قال الإمام: فذهبت إليه وأنا كلي رهبة وحياء من الشيخ خاصة أنني قادم من مدينة بعيدة.. ولا أعرف نظام الجامعة.

وعندما سلمت عليه حثني على حفظ كتاب الله وحفظ المتون الأخرى وطلب أن أوافيه كل أسبوع ليسمع ما حفظت.. ورتب لي جدولاً بذلك. فكان أن بدأت أحفظ وهو على تسميعه لي.. واستمررت بعد ذلك الفصل حتى حفظت القرآن وبدأت أحضر دروس العلماء ودروسه هو بالذات.

فهذا الاهتمام الشخصي له أثر واضح ورعاية طالب بعينه لها وقع في نفسه وشحذ لهمته.

وموقف أخر لمدرسة في مدرسة ثانوية للبنات: بدأت تتلطف مع طالباتها حتى أحببنها ثم بدأن يتنافسن لحفظ القرآن في المنزل بمشورة منها.. بل وأصبح الكثير منهن داعيات في وسط أسرهن.

وهناك أمثلة كثيرة تحفل بها كتب التاريخ والتراجم والسير عن بروز ونبوغ أحد العلماء على يد شيخه بل ربما بكلمة منه تغير مجرى حياة الطالب.

وبعض المدرسين يأتي به من جانب آخر كما ذكر لي أحد المدرسين فقال: عندما عينت في إحدى المدارس كان هناك طالب مشاغب ومهمل في دراسته إلى درجة أنه يثير الاشمئزاز من تصرفاته فأخذته بمفرده وقلت له: أنت لم تخلق لمثل هذا، ومثلك تنتظره الأمة، وجعلته عريفًا على الفصل وبدأت أتابع دروسه وقلت له: نريدك قائدًا عسكريًا، فكان أن تغير حاله وصلحت أموره وترك التدخين وأتاني والده وسلم علي ودعا لي.

إنها لمسات حانية وجهد بسيط يغير أمورًا كثيرة ومشاكل متواصلة، كما أن لشهادات الشكر أثرًا ملموسًا في تهيئة الطالب واهتمامه بمستقبله، والاهتمام

بالطالب ربما يؤثر في أسرته بشكل مباشر من حسن تعامل المدرس وحديث الطالب عنه بين والديه وأهله كما أن لوصول الكتب والأشرطة التي تهديها المدرسة إلى منزل الطالب وحسن الاختيار فيها أثرًا واضحًا وملموسًا.

ربما يكون الداعي مدرسًا فيهتدي على يديه أمة. والمدرس ينفع الله بهدايته فصولاً دراسية كاملة.. بل ربما طالب واحد يكون عالم الأمة غدًا.. كم من الأجر سيكون لهذا الداعي الأول؟! لا ينقص من أجرهم شيئًا؟! وأذكر أن رجلاً كبيرًا في السن لا يقرأ ولا يكتب قصد شابًا حتى اهتدى على يديه وهذا الرجل الكبير الآن يحضر محاضرات الشاب الذي أصبح داعية معروفًا.. فكم من الأجر لهذا الداعي؟ وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولكنه كان سببًا في هداية هذا الشاب الذي أصبح داعية الآن ونفع الله به؟!.

وهناك أمور يستفيد منها المدرس أو المدرسة وهي اختيار بحث أو دراسة كتاب للمدعو ويركز على الأمور الإسلامية وخاصة ذات الطابع الإعلامي حتى لا يكون أمر الدعوة مباشرًا؛ فمثلاً كتابة بحث عن المسلمين في روسيا أو البوسنة أو الصين أو الصومال فإن في ذلك ربطًا لواقع المدعو بالمسلمين وهمومهم وما يصيبهم من نكبات وويلات، وكذلك إدراج بحوث عن التنصير وجهود النصارى.

وهناك نقاط تربوية كثيرة يعرفها المربون ويبذلون في ذلك أوقاتهم وأموالهم ويرهقون أعصابهم محتسبين في ذلك كله الأجر والثواب.. وكم من معلم خرَّج أجيالاً متعاقبة أثرت في مسير الأمة كلها، وكما أن المعلم يحرص على الطالب النابغ والنبيه فهو يحرص أيضًا على الطالب الذي ظهرت عليه أمارات الانحراف فإن المربي أو المربية يضع عينه على بعض الطلاب فيعمد إلى عزل بعض من يرى فيه خيرًا أو توجهًا وقبولاً عن بقية التلاميذ حتى لا ينجرف مع التيار ويكتسب

صفات سيئة .

والحديث عن التعليم لا ينقطع وهو سبيل الأمة إلى النهوض والرفعة والسؤدد .

أخي المسلم:

الكثير يلقي كلمة دعوية عابرة ولا يلقي لها بالاً وكثير من المدعوين اهتدوا بكلمة واحدة . . فكثير بدأ يجاهد نفسه على فعل الطاعات بسبب كلمة سمعها . . وكثير استقامت أمورهم لكلمة أثرت في نفسه ووجدت لها في قلبه مدخلاً .

وحدثت أن مدرسة مادة الكيمياء في المختبر بدأت تذيب الحديد وتصهره . . ثم قالت : هذه نار الدنيا فيكف بنار الآخرة . . فكان أن هبت طالبة من سباتها واستيقظت من غفلتها وبدأت تلحظ ذلك الحديد المذاب وتلك النار تحته . . فاعتبرت وفكرت واستقام أمرها وتابت إلى الله من غيها وعبثها . . فالكلمة وسيلة دعوية لها تأثير في نفس المدعو فينتقي من الكلام أطايبه ، فربما يقع من الحديث كلمة تكون سببًا في هداية المدعو .

المجاهدة

انتظار النتائج والحرص على حصول الإيجاب أمر لم نؤمر به . . إنما أمرنا بالدعوة فقط وليس علينا تتبع النتائج وإن كانت النفس البشرية تفرح بالحصاد المبكر . . لكن ربما يكون هناك إحباط في حالة عدم القبول وتكاسل حين الإعراض . بل هناك دعوة لا تستطيع أن تتلمس أثرها مثل إهداء كتاب في طريقك وأنت مسافر . . لا تعلم هل صلح حال المدعو أم لا؟ كذلك إلقاء كلمة أمر أو نهي في المحل التجاري ربما تكون هذه الكلمة سببًا في استقامة المدعو بعد حين، وهكذا .

يأتي أحدهم . . ويقول : حاولت فلم أستطع . .

جرب فربما أن له نفحة توافق دعوتك . . مرة بالشريط وأخرى بالكتاب وثالثة في شهر رمضان ورابعة في حال مصيبة عندهم وخامسة في مناسبة فرح . . وأنت مأجور في كل مرة . . فلا تيأس، ولو كل من دعا أو نصح نصيحة لم تقبل منه توقف عن أمر الدعوة فكيف يقوم هذا الدين؟! عليك المعاودة مرة بعد أخرى . .

فالدعوة إلى الله ليست دعوة لمرة واحدة فإن أثمرت وإلا توقف الداعي . . بل هي دعوة متصلة مرة بعد أخرى بأساليب مختلفة ووسائل متعددة، فكلما وجد الداعي مناسبة دعوية أعاد وكرر وصبر على طول المدة وعدم القبول السريع .

وقد حدثني أحد كبار السن وكان حليقًا أن طريق أحد العلماء كل أسبوع يمر على مكتبه فيدخل عليه ويذكره بالله وبحكم تحريم حلق اللحية واستمر على

ذلك سنوات طويلة دون كلل أو ملل حتى أطلق الرجل لحيته وأعفاها.

والتأخر عن المعاودة حرمان للأجر وإلا فما المانع من كسب الأجر والمثوبة عند معاودة الدعوة وإذلال النفس لله واختيار المناسبات والأوقات التي يرى الداعي أن حال المدعو ربما تكون مهيأة لقبول الدعوة، وفي معاودة الدعوة وعدم الاستجابة لها في المرة الأولى مباشرة حكمة بالغة وإلا لو كل من دعي من المرة الأولى استجاب لما تردد كثير من الناس في أمر الدعوة.. إنما هي جهاد وصبر واحتساب، ولنا في سيرة الرسول ﷺ وأمر الدعوة والصبر عليها ومعاودتها منهاج دعوة ونبراس حياة.

ولهذا يجب أن يكون الداعية صاحب نفس طويل وصبر متواصل، إنه يسعى لإنقاذ المدعوين من نار جهنم.. أمرٌ يستدعي الصبر والمداومة.. استمر رسول الله ﷺ سنوات طويلة يدعو في مكة المكرمة والمدينة النبوية حتى توفاه الله عز وجل.

أخـي الحبيب:

من الحكمة في الدعوة التدرج والتمهيد للأمور وإعطاء البديل إذ النفوس تبحث عن بديل خاصة لمن كان لديه ضعف ووهن.. ولا شك أن التوحيد لا يجوز تأخير بيانه مراعاة لخاطر فلان وفلان أو الخوف من رد الفعل عند المدعو لأن اللحظات تجري وربما يموت المدعو على الشرك فلابد من البدار لما فيه مصلحة وفي تأخيره عن وقته مضرة.

ولا شك أنك تحب المدعو لما فيه من خير، وتكره ما فيه من الشر ولذا تحبه محبة لله وفي الله لأنه يصلي ويؤدي الفرائض وتكره تهاونه في أمر إعفاء اللحية مثلاً ولذا تبحث عن كل ما يدعه يتجنب هذه المعصية.. لاشك أنه أخ في الله.. وكلنا ذوو خطأ، ويحتاج منك إلى صبر وجلد وطول نفس ولذا يجب التضحية

ببعض الوقت للدعوة وإذلال النفس في سبيل الله. . هناك من يضح بنفسه ودمه، وآخر بعمره وأنت لا تضحي بأيام، بل بساعات. . فإذا وجدت فرصة رحلة برية أو زيارة لقريب فاستفد من ذاك الوقت وأجل بعض أعمالك إلى وقت آخر فهذه فرصة قد لا تتكرر وأعمالك تنقضي على مهل. . والأعمال لا تنتهي وإلا فالميت يموت ولديه مواعيد ومراجعات وقائمة مليئة بالأعمال.

آخر الدواء الكي

باب الستر على المسلم من أوسع وأسرع أبواب الدعوة تأثيرًا فمن رأى من المسلم ما يوجب رفعه إلى الوالي وعلم أن المدعو ليس متمرسًا في الشر وليس طريقه بل إنها سقطة وزلة فالأولى أن يستر على المسلم وتكون منقبة له وربما يؤدي هذا الستر على المسلم أو المسلمة إلى لزوم الجادة. . ولا يفشي بهذه السقطة لأحد فإن ذلك من الغيبة وإشاعة الفاحشة وتتبع العورات. بل كما ستر يكتم، وكأن عينه لم تر وأذنه لم تسمع، والهدف من الستر هو الهدف من العقوبة لو رفعت للوالي وهي الزجر والردع، فرُبَّ ستر أعظم من عقوبة.

وإذا تدرج الداعي في وسائل الدعوة وأساليبها وعجز عن المحاولة بالتي هي أحسن فأمامه بدائل صعبة ولكنها طاعة لله ولرسوله؛ فامرأة لا يصلي زوجها وحاولت وجاهدت ولكن دون نتيجة وهي تعلم أنه لا يجوز لها البقاء، ليس لها إلا الفراق الصعب قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق] وقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وقد ذكر لي أن امرأة حاولت مع زوجها أن يصلي بشتى الطرق والوسائل لكنها وجدت منه الصد والإعراض، فكان أن ذهبت لأهلها زائرة ورفضت العودة إلا بشرط أن يصلي لكنه عاند وكابر في البداية وهذا أمر متوقع ثم هداه الله. . فهذه وسيلة أتت بنتيجة طيبة وحتى إن لم تأت بنتيجة سريعة فهي براءة للذمة ومحاولة أخيرة لا عودة بعدها. . وكثير من ناقصي العقل إذا ذكر لهم أن امرأة تركت زوجها لأنه لا يصلي اتهموها بالجنون ونقص العقل ولكن لو قيل لهم إنه يهينها أو بخيل في بيته لسمعت الأصوات ترتفع لماذا تبقي عنده؟ ماذا تريد منه؟ فسبحان الله. . وما ذاك إلا من هوان الدين عندهم.

الهجر من وسائل الدعوة خاصة لمن هم تحت يد المدعو كالزوجة التي هي في حاجة لزوجها فإنها لا ترضى بهجر زوجها لها فتعود له، وكالابن المحب لوالديه، والأخ لإخوته، والهجر أسلوب علاجي وليس غاية ومنتهى؛ لأن الهجر قد لا ينفع مع أناس بعيدين يأخذهم الكبر والعناد فلا يرون للداعي حقًّا فيكرهونه ويبغضونه ولا يقبلون منه شيئًا، ولكنه يجدي مع بعض الناس خاصة الأقارب.

وأذكر أن أحد الأسر بدأ الإخوة والأخوات فيها بهجر أخ لهم لا يصلي فلا يدخلون بيته ولا يدعونه لزيارتهم ولا يسلمون عليه.. حتى عاد إلى رشده وثاب إلى عقله وأناب إلى ربه.

من أسلوب الدعوة المتأخر في التدرج بعد طرق جميع المحاولات إبلاغ أصحاب الصلاحية من رجال الحسبة بعد استنفاد كافة الوسائل وقد لا يرضى البعض بذلك ولكن أليس هذا لمن نحب أخف من نار الآخرة؟!

وأليست الفضيحة الآن خير منها يوم القيامة؟ فليقارن الداعي بين ذلك ويزنه. وما الذي يمنع أن تقوم الهيئة بأخذ تعهد عليه بالمحافظة على الصلاة أو ترك كذا وكذا من المعاصي؟!.

أنـت أم هـم؟

ليس في مجال الدعوة إلى الله ضعف ولا مجاراة للعصاة في معصيتهم حتى يستأنسوا بذلك ويألفوا الداعي كما يقول البعض، فهذا ليس من هديه ﷺ بل كان قويًا في الحق يتمعر وجهه إذا رأى معصية أو منكرًا.

هناك مواقف يكون فيها الداعي هو المتأثر والمنجرف مع المدعو في مساوئه فيجب عليه أن ينجو بنفسه إذا رأى أنها تتأثر بسوء المدعو وتستمرىء منكره أو غفلته.. انجُ بنفسك ولا تتأثر به بل دعه حتى لا تصبح مثله خاصة وقد رأيت في نفسك ميلاً لسوء عمله.

أيـها الحبيب:

الداعية رجل عمل يبحث عن مكافأته وجزاءه، ولكن ليس في الدنيا بالتباهي والتفاخر والمنة بأن فلانًا اهتدى على يدي وقد كان ضالاً منحرفًا..

وهكذا يزري بالناس ويتفاخر بما قدم، فذاك من خسران العمل والعياذ بالله، ثم إن الأمر ربما يصل المدعو فيكره الداعي ولا يحبه وربما تكون له انتكاسة إذا كان ضعيف الإيمان..

على الداعي أن لا يحقر من أمر الدعوة ولو كلمة يسيرة فربما تكون سببًا للهداية: «**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوْفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيْقٍ**» [رواه مسلم].

يا حفيد أبي بكر وعمر:

الفجار والفساق يجاهرون بمعاصيهم ويروجون ضلالاتهم دون خوف أو وجل.. من يحمل المخدر في يده أشجع منك وأحرص منك!! حتى يبلغه إلى

فريسته وضحيته.

هل جبنت أن تبلغ دعوة الله؟ هل وهنت فما تهدي كتابًا أو شريطًا؟ هل قلوب أهل الشر والفساد أصلح وأمضى؟ أم هل فسادهم وبلاؤهم هو المعتبر؟

لا يا ابن الإسلام.. أنت تحمل أمر الدعوة وتحمل رسالة الأنبياء والمصلحين لا تبخل ولا تهن ولا تكسل.. نترك أمر الدعوة لمن إذا تركتها أنا وأنت؟!

بل احمد الله واسع في نشر العلم الشرعي بالكتاب والشريط اللذان يصدران من علماء معروفين وموثوقين علمًا وورعًا وتقى وكتبهم وأشرطتهم تحمل إذنًا وتصريحًا فلما التردد؟!

لاأريد منك جوابًا ولكن هاك معلومات عن نشاط المنصرين لعام ١٩٩٦م لترى كيف شيبهم وشبابهم وفتيانهم ونساءهم يعملون.. ونحن نائمون!.

= بلغ ما جمعته المنظمات النصرانية مبلغًا وقدره (١٩٣) مليار دولار أمريكي.

= بلغ عدد المنظمات التنصيرية (٢٣٣٠٠) منظمة عاملة.

= بلغ عدد المنظمات التنصيرية التي ترسل منصرين إلى الخارج (٤٥٠٠) منظمة.

= بلغ عدد المنصرين الذين يعملون داخل أوطانهم (٤٠٠،٦٣٥،٥٠٠) منصر أما الذين يعملون خارج أوطانهم فعددهم (٣٩٨،٠٠٠) منصر.

= أما عدد كتب الإنجيل التي تم توزيعها خلال عام واحد فقط هي (١٧٨،٣١٧،٠٠٠) كتاب.

= بلغ عدد المجلات والدوريات التنصيرية (٣٠١٠٠٠) مجلة ودورية ويوجد لديهم (٣٢٠٠) إذاعة ومحطة تلفزة مختصة بالتنصير.

= أما أجهزة الكمبيوتر في المؤسسات التنصيرية فتزيد عن (١٠٠، ٦٩٦، ٢٠) جهاز.

أيها الحبيب:

إن تيسر أسباب الدعوة وسهولة طرقها وتعددها وتنوعها مدعاة إلى عدم التكاسل في هذا الأمر العظيم.. فلقد تيسر لنا في هذا الزمن ما لم يتيسر لغيرنا من السابقين من وسائل الدعوة ورخص ثمنها وتنوعها وسهولتها..

لا تقف ولا تتردد، ولا يكن أيها الحبيب البوذي والهندوسي والنصراني أشد منك حرصًا على ملته، انظر إلى ذمتك هل تبرأ وأنت على سكونك وكسلك وغفلتك؟!

أخي الحبيب: الرفق.. الرفق..

قال رسول الله ﷺ: «**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِيْ شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ**»[رواه مسلم].

***

صائد القلوب

قبل البداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

فدين الإسلام دين الأخوة الثابتة، ودين الرابطة الإيمانية القوية. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكان الرسول ﷺ يحث أصحابه وسائر أمته على التآخي في الله، والارتباط برباط الأخوة الإيمانية، لتحل محل روابط العصبية، والمصالح القبلية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وتأمل أخي المسلم في حقوق إخوانك وتوجيه النبي ﷺ إلى ما يوحد الصف، ويقرب القلوب، وينبذ الفرقة والحقد والحسد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن**

يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، حتى يذر» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه، فليسلم عليه**» [رواه أبو داود وإسناده صحيح].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**»، وقيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**» [رواه مسلم].

ولقد حذر الرسول ﷺ تحذيرًا شديدًا مما يؤدي إلى استمرار القطيعة وإزدياد نارها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [متفق عليه].

وهذه الأخوة في الله مستمرة في الحياة وبعد الممات، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**» [رواه أبو داود وسنده حسن].

وحتى تكون الأخوة في الله عبادة وطاعة وقربة وزلفى قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» ثم ذكر منها: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا في الله**» [متفق عليه].

وجعل المحبة في الله من أعلى المراتب، قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، ثم ذكر منهم: «**رجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه**» [متفق عليه].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم**

القيامة: **أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» [رواه مسلم].

وأرشد الرسول ﷺ المؤمنين إلى سبل هذه المحبة، وأسباب قيامها بينهم، ورسوخها في قلوبهم، وأرواحهم في قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا**» [رواه مسلم].

وحتى تظهر المحبة ويشعر من أمامك بالقرب، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**» [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن].

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فمر رجل به، فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «**أأعلمته؟**» قال: لا، قال: «**أعلمه**»، فلحقه، فقال إني أحبك في الله، فقال: «أحبك الذي أحببتني له» [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

هذه بعض آيات وأحاديث تحث على وجوب التآخي والمحبة والتناصح والتوجيه، وما ذاك إلا وصولاً للهدف الأسمى وهو تنبيه الغافل ونصح المخطىء وتعليم الجاهل والوقوف مع أفراد الأمة محبة وشفقة!.

وكم نحن بحاجة إلى فتح القلوب حتى نصل بدعوتنا إلى من نريد، إنها دعوة لهذا الدين مستمدة من الكتاب والسنة دعوة إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، من المعصية إلى الطاعة ومن المنكر إلى المعروف.. نسير حيث توجيه القرآن الكريم وسنة نبينا ﷺ بفهم السلف الصالح.

لماذا نصيد القلوب؟

نصيد القلوب: تقربًا إلى الله عز وجل بدعوة الناس وتعليمهم والنفع لهم. . . ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ الآية. [النحل: ١٢٥].

نصيد القلوب: حتى يكون لنا نصيب مما قام به الأنبياء والمرسلون ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

نصيد القلوب: امتثالاً لأمر الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

نصيد القلوب: رغبة في الأجر: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

نصيد القلوب: لنصلح أعمالنا وتُغفر زلاتنا: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ. . . ﴾ [الأحزاب].

نصيد القلوب: رجاء صلاح الذرية: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء].

نصيد القلوب: مخافة العذاب: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود].

نصيد القلوب: حتى لا يكثر الشر والفساد. . قالت زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**» [رواه البخاري].

نصيد القلوب: حتى نثقل موازين حسناتنا يوم العرض على الله عز وجل:

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» [رواه مسلم].

نصيد القلوب: امتثالاً وطاعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ . . . ﴾ [التحريم: ٦].

نصيد القلوب: حتى لا تصيبنا اللعنة: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة].

نصيد القلوب: شفقة ورحمة: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء].

نصيد القلوب: حتى نقطع الطريق على أهل الفسق والفجور فهم يعملون ويكيدون: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [التوبة: ٧٦].

نصيد القلوب: حتى يصلح حال المجتمع ويكون لأمة الإسلام العز والتمكين: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج].

نصيد القلوب: حتى تفتح أبوابها وتخرج خبثها فتكون مهيأة لسماع الموعظة والنصيحة، محبة للخير كارهة للشر!.

أخي المسلم.. أختي المسلمة:

كم نحن بحاجة إلى فتح قلوب الناس لدعوتهم وهدايتهم إلى الحق؟.

كم نحن بحاجة إلى كسب ود الآباء والأمهات والأزواج والزوجات؟.

كم نحن بحاجة إلى فتح القلوب للاستماع والقبول؟.

ونتاج ذلك الأجر والمثوبة ورحمة ومغفرة لمن سار على السنة وأخلص العمل.

ومما يعين على ذلك كله؛ نقاط متفرقة كتبتها للتذكير وإلا فهي لا تغيب عن الأذهان!.

الشفاعة

كثير من الناس تغلق دونهم الأبواب وتسد أمام أعينهم الطرق، وهنا يأتي دور الشافع محتسبًا الأجر والمثوبة قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

والشفاعة الحسنة: أن تشفع لإزالة ضرر أو رفع مظلمة عن مظلوم أو جر نفع إلى مستحق من غير ضرر بغيره وهي من أبواب التعاون على البر، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وليس من شروط الشفاعة القبول والإنفاذ، بل صاحب الشفاعة مأجور وإن لم تقبل شفاعته، ويكفي سعيه في شأن أخيه المسلم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**»[رواه البخاري ومسلم].

والشفاعة من أسباب فتح القلوب وإدخال السرور على المسلم وتفريج كربه وإعانته على نوائب الدهر، ولعل من أفضل أنواع الشفاعة الابتداء بطلب تقديم الخدمة أو الشفاعة فإنها أوقع أثرًا وتدل على أريحية وحب الإعانة.

الابتسامة

من أسهل وأسرع وسائل فتح القلوب: الابتسامة الصادقة التي يشعر فيها الشخص المقابل بمدى حبك، وحنانك وشفقتك، ويظهر فيها أيضًا مدى ارتياحك وسرورك بشخصه.

والابتسامة مع قلة تكلفتها إلا أنها لا ترى بكثرة على وجوه الدعاة والداعيات.. مع أنها من أبواب الدعوة وهي صدقة ومعروف.

يقول النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم].

والوجه الطليق: هو الذي تعلوه الابتسامة ويظهر على مُحياه البشاشة والسرور، قال عبد الله بن الحارث: «**ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ**» [رواه أحمد].

وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «**ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسَّم**» [رواه البخاري].

وهذا التبسم وحسن المعشر ولطف المقابلة دفع بعمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الظن أنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ فبادر بسؤاله فقال: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أبو بكر**».

قال الشاعر:

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ... وبلوت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرِّب قاطعًا ... وإذا المودة أقرب الأنساب

فالابتسامة من أوسع أبواب الدعوة وسهم صائب في صيد القلوب وجذبها إلى سماع الدعوة والإنصات إلى كلمات الداعية. . وهي مع هذه الأهمية أقل الوسائل تكلفة وأسهلها تطبيقًا وأسرعها نفاذًا!.

إفشاء السلام

السلام سنة قديمة منذ عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وهي تحية أهل الجنة: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس: ١٠]، وهي من سنن الأنبياء، وطبع الأتقياء، وديدن الأصفياء، وفي هذه الأيام أصبح بين المسلمين وحشة ظاهرة وفرقة واضحة! فترى أحدهم يمر بجوار أخيه المسلم ولا يلقي عليه تحية الإسلام، والبعض يلقي السلام على من يعرف فقط، وآخرون يتعجبون أن يلقي عليهم السلام من أناس لا يعرفونهم! حتى استنكر أحدهم على من ألقى عليه السلام وقال متسائلاً: هل تعرفني؟!

وهذا كله من مخالفة أمر الرسول ﷺ حتى تباعدت القلوب، وكثرت الجفوة، وزادت الفرقة، يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وفي الحديث المتفق عليه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

وفي هذا حث على إشاعة السلام بين المسلمين، وأنه ليس مقتصرًا على معارفك وأصحابك فحسب! بل للمسلمين جميعًا.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يغدو إلى السوق ويقول: «إنما نغدو من أجل السلام، فنسلم على من لقيناه».

والسلام يدل على تواضع المسلم ومحبته لغيره، وينبيء عن نزاهة قلبه من الحسد والحقد والبغض والكبر والاحتقار، وهو من حقوق المسلمين بعضهم

على بعض، ومن أسباب حصول التعارف والألفة وزيادة المودة والمحبة، وهو من أسباب تحصيل الحسنات ودخول الجنات، وفي إشاعته إحياء لسنة المصطفى ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام: «**خمس تجب على المسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز**» [رواه مسلم].

ومن آداب السلام المصافحة وبسط اليد: قال ﷺ «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا**» [رواه أبو داود والترمذي].

ومن حسن آداب المصافحة: ما قاله أنس رضي الله عنه: «**كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي نزع . . .**» [رواه الترمذي].

وإشاعة السلام تكسب الإنسان محبة وتقديرًا لدى الآخرين ويصبح الحديث مقبولاً بعد إلقاء السلام وفتح القلوب به والنبي ﷺ دعا إلى إفشاء السلام وليس لإلقائه لما في الإشاعة من الكثرة وعدم التحديد.

قال الشاعر:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم ود فيزرعه التسليم واللطف

إنزال الناس منازلهم

لابد من معرفة أحوال الناس ومكانتهم في أهلهم ومجتمعاتهم، إما من الناحية الدينية أو العلمية ومعرفة أصحاب الجاه والنفوذ والمال أو غيرها، لكي يكون لهم إكرامًا يليق بما يحملون من دين وورع وتقى أو جاه ومنصب رغبة في تأليف قلوبهم لسماع كلمة الحق، فإن ذلك أدعى إلى تقريب قلوبهم وامتلاكها، هذا موقف للنبي ﷺ يرويه جابر رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ، فجاء جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فلم يجد مكانًا فقعد على الباب؛ فلف رسول الله ﷺ رداء فألقاه إليه وقال: «**اجلس على هذا**» فأخذه جرير ورفعه على وجهه، وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه ورمى به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي ﷺ يمينًا وشمالاً ثم قال: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» [رواه الحاكم].

وقال عليه الصلاة والسلام يوم الفتح: «**ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**» [أخرجه مسلم].

وفي حديث النبي ﷺ حسن توجيه: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [رواه أبو داود].

وفي دعوة أصحاب النفوذ والجاه والمال والمنصب فتح لدعوة قومهم وأقاربهم وأصحابهم، فما ظنك إذا فتح الله لك قلب رئيس قبيلة أو شيخ قرية فإن البقية يتبعون كخرز المسبحة!.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يولي هذا الجانب اعتبارًا وعناية ومن ذلك مكاتبته للملوك ودعوتهم للإسلام، وكذلك حرصه ﷺ على إيمان نفر من المشركين أكثر من غيرهم، وعنايته بدعوتهم وخصهم بالدعاء: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**» [رواه أحمد].

الهدية

من أسرع وسائل كسب القلوب الهدية سواء قلت قيمتها المادية أو كثرت، يقول النبي ﷺ: «**تهادوا، فإن الهدية تذهب وحر الصدور**» [رواه الترمذي].

وقال عليه الصلاة والسلام مبينًا أثر الهدية وموقفها في النفوس وأثرها: «**تهادوا تحابوا**» [رواه البخاري في الأدب المفرد]

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويثيب عليها حتى وإن كانت شيئًا يسيرًا، قال عليه الصلاة والسلام: «**لو أهدي إليَّ كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت**» [رواه أحمد].

وقبل ﷺ هدية الكفار؛ فقبل هدية كسرى وقيصر والمقوقس كما أهدى عليه الصلاة والسلام الهدايا والهبات للكفار رغبة في تأليف قلوبهم ودلالتهم على الخير.

أما موقع الهدية في النفوس وفتح القلوب فإنه واضح جلي، هذا صفوان بن أمية يقول: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ».

وخير ما يُهدى للشخص المسلم ما كانت إليه حاجة وهو إليها متطلع ويفرح بقدومها عليه.

وفي الهدية يحسن مراعاة الفوارق الفردية والعمرية للمهدي إليه ومناسبة الهدية وقيمتها، ومن خير ما يهدى هذه الأيام الكتب النافعة والاشتراك للمهدى إليه في مجلة إسلامية تصله كل أسبوع أو كل شهر وكذلك ما يدخل السرور عليه وعلى صغاره، ويحسن الاستمرار فيها على قلة خير من كثرتها مع

انقطاع، فالأولى أدوم للتذكر والشكر والأخرى في التفلت والنسيان.

والهدية فرصة للدعوة وباب مفتوح للدخول إلى قلوب الناس؛ فبمبلغ يسير تكون حبيبًا إلى أولئك وصديقًا إلى هؤلاء!.

الصفح وعدم الحقد

قد تمر بالإنسان مواقف يختزلها في ذاكرته من سوء استقبال أو كلمة جارحة أو موقف يصطدم به أو موقف يحرج فيه! والمسلم طبعه العفو والصفح. . قال الله عز وجل في توجيه كريم لإزالة العداوة والبغضاء: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وأثنى الله عز وجل على أمة من الأخيار فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

فهذه منازل تجعل المؤمن يتنازل عن حقوق له ويعفو عمن أساء إليه لتدوم المحبة وتبقى الألفة، والآية تشمتل على أربع قواعد في التعامل مع الناس:

فأولها: أخذ العفو.

وثانيها: الأمر بالمعروف.

وثالثها: الإعراض عن الجاهلين.

ورابعها: الاستعاذة بالله من نزغ الشياطين.

وقد روي عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، والمسلم ولله الحمد يتوضأ كل يوم خمس مرات ومن حق المسلمين عليه أن يغسل قلبه مرة كل يوم من الأحقاد والضغائن والحقد والكره!

وهو كل يوم يفتح صفحة جديدة ليقابل من يراه بابتسامة وترحاب وكأن شيئًا لم يكن؛ فالمؤمنون إخوة متحابون ومن ذا الذي لا يزل ولا يخطيء؟! وفي الصفح وعدم الحقد فتح للقلوب وكسب للنفوس وراحة للفكر.

التقرب للآباء بواسطة الأبناء

الصغار هم فلذات الأكباد، وكل أب يحب أن يرى ابنه في المقدمة، ومن الأبواب المغلقة عدم الاهتمام وجلب الهدايا والسؤال عن الأبناء، فكل أب يفرح أن تسأل عن ابنه، أو أن تدعو له، أو أن تهدي له هدية، أو أن تطلب حضوره مع أبنائك، كما أن في حرارة السلام عليهم والسؤال عنهم مدخل لقلب الأب.

عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه أنَّه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان النبي ﷺ يفعله» [رواه البخاري].

والأبناء في أمر الدعوة إلى الله مدخل عظيم وباب واسع لا يرد داخله، فيستطيع الداعي أن يهدي الصغار قصصًا إسلامية وكتيبات وأشرطة سمعية، ولا يزفضها الأب أو الأم بل قد يستمعون إليها فيما بعد. وهكذا يدخل الداعي البيوت من أوسع الأبواب وأسهلها ويكسب قلوب الآباء عن طريق أطفالهم وصغارهم.

وقد ذُكر لي أن داعية موفقة خرجت مع أسرتها في مخيم بري وحاولت في اليوم الأول جعل درس للكبيرات ولكنها قوبلت بالرفض، فما كان منها إلا أن اتجهت للأطفال وبدأت تقيم لهم مسابقات وأناشيد وحفلات ثم تدرجت إلى الشابات، وهكذا خلال أسبوعين هي مدة الإقامة كان في آخرها من الكبيرات من يقمن لصلاة الليل ويصلين صلاة الضحى! وكنَّ في البداية هن أول المعارضات!.

أحب الأسماء

في التوجيهات النبوية من كسب القلوب ومدارة الناس الشيء الكثير، وهي نبراس حياة ومعلم طريق، لمن أراد أن يسلك طريق محمد عليه الصلاة والسلام.

ها هو عليه السلام في صلح الحديبية يكني سهيل بن عمرو وهو كافر بأحب الأسماء إليه فيقول له عليه الصلاة والسلام: «**أنتهيت يا أبا الوليد؟**».

ومن أسباب فتح القلوب المناداة بأحب أسماء الشخص إليه، إما اسمًا أو كنية أو صفة، مثل أن ينادي بعبد الله أو يكنى بأبي خالد، أو صفة تلازم مواقف معينة كالتفوق حين نهاية الامتحان، أو المجاهد لمن يجاهد بعلمه وقلمه وسنانه أو غيرها، ويحسن أن يوضع قبل الاسم ما تعارف عليه الناس فللرجل الكبير يا شيخ، أو يا عم؛ أو أيها الوالد؛ وهكذا حتى يلين قلبه وينزل منزلته.

والصغار أيضًا ينادون بأحب الأسماء إليهم ومن السنة تكنيتهم.. فهذا أبو الدرداء وذاك أبو البراء، وهذا أبو مصعب وهكذا.. وهي مجال رحب لتبادل الابتسامات ومعرفة كوامن شخصياتهم أيضًا!.

وبالإمكان وضع أسمائهم وكناهم على الهدايا المرسلة إليهم حتى تبقى فترة أطول لديهم.

الاعتذار عن الموافقة

من فتح قلبه للناس تكثر عليه الطلبات والحاجات، فإن قام بها وأتمها فبها ونعمت، وإن كانت فوق طاقته فليعتذر، فإن الكثير يحرج في الوهلة الأولى وقد يفقد المحبة بسبب هذا القبول السريع مع عدم التنفيذ.

وتفاديًا لذلك فإن من أيسر السبل وأقصرها: الاعتذار أوالدلالة على من يقوم بهذه المهمة حتى لا يفقد الداعي مصداقيته ويكثر الحديث حوله من إخلاف الوعد أو المماطلة أو غير ذلك، والله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . . . ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأسوق مثالاً واحدًا يسيرًا: لو طلب منك الزيارة أو المشاركة في دعوة فإن تيسر لك وحضرت فالحمد لله وإن اعتذرت حين تقديم الطلب بعذر وجيه فإن ذلك أفضل وأريح لمن دعاك. . وهي خير من أن ينتظر ويخبر الحضور ثم لا تأتي فتكون صدمة في حقه ومجالاً للحديث وربما يحمل الأمر على أنك من الذين يخلفون الوعود.

لما حضر عبد الله بن عمر الوفاة قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجل من قريش، وقد كان إليه مني شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي!.

حفظ الأسماء والكنى

يمر على الداعية كثير من الناس لكن احرص على كسب القلوب وإزالة الصدأ الذي تراكم من طول بعد اللقاء بذكر أسماء من تسلم عليهم أو كناهم، وأشعرهم أنهم قريبون من قلبك وأنك تحفظ أسماءهم. . وإن جرى بينك وبينهم لقاء قريب وتذكرت أين مكان أو محور الحديث فيه فذكرهم به.

والكثير يعرف الأشخاص لكن يُحرج بعد حين بعدم معرفة أسمائهم وهذا فيه إشعار بقلة الاهتمام بهم، وهذه تؤدي إلى تنافر القلوب وبعدها وجفائها.

حسن المظهر

يظن البعض أن عدم الاهتمام بالمظهر والحرص عليه غير ذي بال عند عوام الناس! والأمر بعكس ذلك، فإن حسن المظهر وطيب الرائحة وجمال النفس مدعاة إلى فتح القلوب، ويظهر الأمر جليًّا في أوساط النساء فكم من داعية تتزين الزينة المشروعة وتظهر بشكل يناسب المقام وتكسب بذلك القلوب، أو على الأقل تسلم من بذاءة بعض الألسن، والناس غالبًا يستمعون لمن له مكانة أو وجاهة أو مظهر حسن ولهذا كان من حسن اختيار الرسول ﷺ أو السفير إلى قوم أن يكون حسن الصورة جميل المظهر حسن المنطق. .

والإسلام دين حثَّ على العناية والنظافة بالمظهر والمخبر يقول تعالى في أمر تعبدي حين دخول أماكن العبادة: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعن عطاء بن يسار قال؛ أتى رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول ﷺ كأنه يأمر بإصلاح شعره، ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأن شيطان**» [رواه مالك].

والأحاديث في التجمل والظهور بمظهر حسن وريح طيب كثيرة يقول ﷺ: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**» [رواه الترمذي].

تقدير الناس

هناك وسائل كثيرة لكسب القلوب عبر تقدير المدعو وإشعاره بأهميته ومن ذلك الإفساح له في المجلس، أو إشعاره بالتقصير في حقه بالزيارة وطلب المسامحة، وكذلك مداراة الناس لمصلحة شرعية. روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة**» فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا كذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه**».

سماحة النفس

يمر بالإنسان بعض الأشخاص الذين يقفون مواقف محرجة، فيضطرون للاعتذار وطلب الصفح، وأنت يا من تريد فتح القلوب بين أمرين:

الأول: قبول العذر على علات من صدق أو غيره، وهذا أيسر خاصة إذا لم يترتب عليه مضرة ومشقة عليك.

الثاني: عدم القبول لهذا العذر والتدقيق فيه ومحاولة تصيد عدم صحة أو تناقض الأقوال، وهذا وإن خرجت بنتيجة: أن العذر غير صحيح، أو ربما كان العذر صحيحًا فإنه لا فائدة من وراء تلك الأسئلة وكثرة التدقيق.

بل كن سمح النفس، واقبل اعتذار من يأتي إليك معتذرًا، واعلم أن من عفا وأصلح فأجره على الله، وحمل الحقد والضغينة ليست من صفات المؤمنين ولا من أخلاق الدعاة والمصلحين.

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترًا

وهكذا أيها الداعي تكون المسامحة وقبول الاعتذار بابًا لكسب القلوب بدلاً من تنافرها وتباعدها.

لا تكن منانًا

اللسان مغاريف القلوب، وهذا المغراف يخرج إلى من حولك بعضًا من أعمالك التي عملت وتظهر تلك الأعمال في شكل منة أو رد جميل، فهذا فلان اهتدى على يدي، وهذا كان ضالاً فكنت أسير خلفه حتى استقام. . وهكذا تخرج من اللسان كلمات المنة وحب الظهور التي يكرهك بها من أمامك.

كما وأن هذه تنافي العمل بإخلاص لله عز وجل وفيها إظهار عيوب الآخرين وغيبتهم، ويخشى من تحادثه أن يكون اسمه غدًا على لسانك مثل هؤلاء.

فاحفظ لسانك يحفظ الله لك حسناتك، ويفتح لك القلوب. . وقد قال الله عز وجل عن الصدقة: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة].

إياك وكثرة اللوم

التقريع واللوم من أسباب تنافر القلوب، وبعض الدعاة قد ينفر من حوله وهو لا يشعر ويرى ذلك من أبواب التربية أو التوجيه، ويكفي الكيس الفطن أن يقال له مثلاً: لو فعلت كذا لكان أحسن ولأدى إلى نتائج أفضل.

ويكفي الأمر عند هذا الحد. أما أن تتخذ الأخطاء والاجتهادات بابًا للوم والتقريع فهذا باب تنافر وعدم ألفة.

ويشتد التنافر والبعد إذا كان التقريع واللوم على مسمع من الناس وحضورهم، فإنه يترك أثرًا سيئًا في نفس المدعو.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

التشجيع والتقدير

«كل ميسر لما خلق له» ومن عمل في عمل لابد له من إيجابيات وعليه سلبيات.

فتستثمر الإيجابيات بالذكر والتقدير حتى يزيد العامل منها ويعلم أن الجميع يقدر عمله وجهده.

وبعض الناس يكون الاحتساب لله عز وجل هو محركه الأول في عمله، لكنه يحتاج للمسات تقدير وتشجيع.

فمثلاً يثنى على مدرس بأنه حريص على الطلبة وعلى تفوقهم وأن ذلك محل تقدير الآباء والمربين، فهذا دافع له لزيادة الإيجابيات وتقليص السلبيات.

والناس يتفاوتون في مقدار الحاجة إلى ذلك، لكن الحديث النبوي فيه دلالة على حب التقدير والتشجيع «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**».

«لا تسأل الناس شيئًا..»

قد يجعل البعض معرفته بالناس طريقًا إلى الوصول إلى مآرب شخصية وخدمات خاصة وهذه تنفر ولا تقرب وتبعد ولا تدني خاصة إذا كانت ترهق الطرف الآخر وتجعله في حرج؛ بل وقد يتهربون من لقائه لكثرة طلباته وإحراجهم بذلك.

وكان السوط يسقط من أبي بكر رضي الله عنه وهو على الدابة فينزل فيأخذه ولا يأمر أحدًا أن يناوله إياه.

عن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق، قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا، نناولكه؟ قال: «**إن حبيبي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئًا**» [رواه أحمد].

من عف خف على الصديق لقاؤه وأخو الحوائج وجهه مملولُ
وأخوك من وفرت ما في كيسه فإذا عبثت به فأنت ثقيل

وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فيها من العبرة في هذا الموقف الشيء الكثير.

لما آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسِّم لك نصف مالي، وانظر إلى أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل سوق فيه تجارة؟

وهكذا لم يكن عبد الرحمن عبئًا وكلًّا على سعد رضي الله عنهما بل كان نعم المعين والأبي الكريم.

لا تكن كالذبابة

تدور أحاديث كثيرة في المجالس وقد يسري الحديث فيها إلى أناس يُتنقصون غيبة واستهزاءً.

وقد حذر الله عز وجل من ذلك وحذر منه النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

ويقول ﷺ محذرًا من خطورة فلتان اللسان وتركه على هواه: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» [رواه البخاري].

قال **القرطبي** رحمه الله عن حكم الغيبة: الإجماع على أنها من الكبائر وأنه يجب التوبة منها إلى الله.

ولا يليق بمن يريد كسب القلوب أن يدع لسانه يفري في أعراض المسلمين.

ويكون كما قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله: «إن بعض الناس لا تراه إلا منقدًا داءً، ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم، فهو كالذباب يترك مواضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج».

قال الشاعر:

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صينُ
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك مساويًا ... فصنها وقل يا عين للناس أعينُ
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

بل يجب الذب عن المسلمين حين سماع غيبتهم أو تنقصهم، يقول النبي ﷺ: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار**» [رواه أحمد].

الأسرار

من جعله الله قبلة للناس وداعية لهم وأحبوه؛ فإنهم يفتحون قلوبهم له، ويخرجون أسرارهم لمشاورته، وبهذا يكون لديه أسرارًا كثيرة مودعة عنده، هي بمثابة الأمانات، وقد يجهل البعض حسن التصرف في مواقف معينة، ولذا يجب دفن هذه الأسرار وعدم البوح بها، فإن من تاب تاب الله عليه، وقد تمر مواقف يحتار الداعية فيها، وينطق لسان بما استودع وبهذا يهتك ستر المسلمين ويبيح بأسرارهم.

والبعض يتفاخر بذلك ويرى أن هذا الإعلان بمثابة إظهار لمحبة الناس له ومشاورتهم له وكيف هي مكانته عندهم والعياذ بالله!.

والنبي ﷺ يقول: «**من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة**» [رواه مسلم].

قال أبو بكر رضي الله عنه: «لو وجدت شاربًا لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقًا لأحببت أن يستره الله عليه».

وعن الشعبي رحمه الله: «أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنَّ لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية، فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله تعالى، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها، وقد قطعت بعض أوداجها، فداويناها حتى برئت، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة، وهي تخطب إلى قوم، أفأخبرهم من شأنها؟ بالذي كان، فقال عمر: أتعمد إلى ما ستر الله فتبديه؟! والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل انكحها نكاح العفيفة

المسلمة».

فيا أيها الداعية اكسب القلوب بما أمر الله به عز وجل من الستر وعدم استغلال الأسرار والخبايا التي لديك ولا تنفر الآخرين من الدعوة لأن الكثير يعلم أن مصير سره لديك مثل مصير أسرار أولئك وهو التشنيع والفضيحة.

واحذر من خيانة الأمانة، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذ حدث الرجل ثم التفت فهو أمانة**» [رواه أبو داود].

حث الناس على المشاركة

الكثير يتمنى المشاركة في أعمال الخير لكنه يفقد الثقة أو الدلالة على الطريق، ومن هذا الباب يستطيع الداعية الموفق كسب القلوب في كل مجال.

مثلاً: حين يمر أو يُقرأ حديث، والداعية غير مطلع عليه يكلف من يرى حرصه على تخريج الحديث وإبراز صحته من عدمها، كذلك إذا عرضت مسألة يضع الثقة في فلان الذي سوف يأتيكم بها كاملة مستوفية!

وهكذا يحرك الداعية من حوله دون شطط ولا إرهاق، بل بشكل متدرج سهل ميسور.

أيضًا من حث الناس على المشاركة، تكليف أحدهم إعداد برنامج للرحلة القادمة مثلاً، أو تجهيز أسماء الكتب المقترحة، أو القيام بتنظيم الحفل، وهكذا.

من وسائل فتح القلوب الإشارة إلى أعمال المنتجين وعدم نسبتها إلى النفس ـ والعياذ بالله ـ بل لابد من إشعار الآخرين بأن هذا جهد فلان وهو الذي تعب فيه وقام به خير قيام، مع مراعاة عدم الزيادة أو الإكثار من ذلك للشخص نفسه حتى لا تكون سامجة لا قيمة لها.

وقد أثنى النبي ﷺ على كبار الصاحبة، فقال في أبي بكر رضي الله عنه: «**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح**» [رواه أحمد].

وغيرها في السيرة كثير جدًّا لا يحصى في هذه العجالة.

الزيارة

من وسائل كسب القلوب الزيارة التي يتوخى فيها الزائر الوقت المناسب مع عدم الإطالة وكثرة الأسئلة.

وتكبر قيمة الزيارة إذا كانت ممن وهبه الله علمًا أو جاهًا لمن هو دونه في ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «**من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**» [رواه الترمذي].

والزيارة المتفرقة لها وقع في النفس «**زر غبًّا تزدد حبًّا**» ولكن هذا ليس هو المقياس على إطلاقه.

حظوظ النفس

النفس البشرية ضعيفة تحب أن ينسب لها العمل وترى التشجيع والمدح والثناء، هذا لمن أراد الدنيا، أما من أراد الآخرة وسعى لها سعيها فإنه يقتل حظوظ النفس ويميتها ويجعل الحظ الأوفر ليس لها، وهذا أمر دقيق يغيب عن أعين الكثير! فإن عمل عملاً أرادت نفسه أن يكون لها فيه حظ وحظوة، وإن تقدم بمشروع تحدث عن جهده وكده وتعبه!

والبعض يكون أنانيًا وينسب عمل الجماعة له وكدهم إليه! وينسى ما قام به الجميع، فتراه يحب أن يظهر أمام الرؤساء والمدراء أنه هو الذي قام بالعمل وهو صاحب الفكرة وهو الذي قام بالتنفيذ وتناسى دور من معه ومن أعانه! والبعض والعياذ بالله يحب أن ينسب إليه العمل وهو لم يقم به، فهذا له الوعيد الشديد: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران].

وما أجمل ذلك الذي يعمل ولا يحب أن ينسب إليه شيء، وما أعظم من يجد ويجتهد ولا يرى نفسه إلا أنها حقيرة في جنب الله عزَّ وجلَّ.

أهل الزوجة وأقاربها

أهل الزوجة وأقاربها ليسوا من رحم الزوج وهم من رحم الزوجة وأبناء الزوج، لكن في صلتهم وحسن مودتهم مفتاح للقلوب، فهم يفرحون أن يروا ابنتهم في سعادة وسرور، وهنا يكون احترامهم ودعوتهم وصلتهم ومهاتفتهم وزيارة كبيرهم وعيادة مريضهم.. وهذا التقدير والاحترام مدعاة إلى قبول النصح والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وكذلك وسائل الدعوة الأخرى من الشريط والكتاب.

وبعض الشباب يتزوج من زوجة ملتزمة لكن أهلها أو بعضهم على عكس ذلك، وتمر الأيام والسنون بعد الزواج ثم يأتي ليسأل كيف أذهب بأبنائي إلى أخوالهم وفيهم ما فيهم من المنكرات، وعدم إقامة الصلاة، والشاشة وغيرها؟! وتتساءل: منذ متى وأنت متزوج؟ فإذا به يقول: منذ سبع أو عشر سنوات؟! أين أنت أيها الزوج والأب طوال هذه العشر سنوات من أمر الدعوة، لو قمت بها حق القيام لما احتجت للسؤال والبحث عن الجواب اليوم؟!

لقد أهملت الأمر وكان في مقدورك منع شيء وتغيير نمط هذا البيت ودعوته على مدى طويل قد لا يتوفر في مكان آخر.. نعم سبع أو عشر سنوات أين أنت؟

الشورى

الشورى خصلة حميدة ومنقبة رفيعة وهي أدب إسلامي عظيم، به تطرح الآراء ويؤخذ أفضلها ويسهل ترجيح أزكاها وأنفعها، والشورى رحمة للأمة والتمسك بها مظنة الرأي الصائب، لاجتماع العقول والأفكار في دراسة أمر من الأمور وفيها قبول الرأي الآخر والاستنارة والاستفادة منه، وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وأمر عز وجل النبي ﷺ بالشورى فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والأمر تربية وتوجيه، وإلا فالنبي ﷺ ينزل عليه الوحي ومع هذا فقد كان يشاور امتثالاً لأمر الله عز وجل.

وفي طلب الشورى استنهاض للأفكار والآراء وتطييب للخواطر والنفوس وتقوية للصلات بين المؤمنين مع بعضهم البعض وهي صورة جميلة من صور سلامة الصدر إذ أن قبول الرأي المخالف يدل على ذلك مقرونًا بالعقل والحكمة ونبذ الذات وحب الخير للمسلمين!.

الخدمة والإيثار

خدمة المسلمين وإعانتهم أصبحت عند بعض الناس بلاهة وسذاجة، فإن قام مدرس محتسب لوجه الله بأخذ بعض حصص زملائه، أو تصحيح مواد غير مادته ينظر البعض إلى أن هذا المدرس المحتسب غبي وأبله! ونسي أنه يأخذ الحسنات أخذًا!! والله لو كان مكان الحسنات مالاً ما قالوا أنه أبله أو أنه ساذج أو ضعيف!

إنه والله الذكي الفطن الذي يرجو الله واليوم الآخر ويأخذ ما هو خير من الأموال والدينار والدرهم!

والأمر والقياس على هذا كثير جدًا في مجتمع لا يعرف الإيثار والإعانة ولا جمع الحسنات والتقرب إلى الله عز وجل بهذه الأعمال.

وقد سمعت أن مدرسًا للعلوم الدينية قبل بنصاب حصص أكثر من المدرسين الآخرين وبدأوا يتغامزون عليه بأنه مسكين وضعيف! وإلا كيف يقبل بهذه الزيادة! ولما سبرت باطن الرجل عرفت السر.. فهو من عظماء الرجال وأفذاذهم! قال: لو بحثت عن مسجد ألقي فيه كلمة لما استمع إليَّ إلا عشرة أو يزيدون! والآن ساق الله عز وجل لي الخير سوقًا بتعليم الطلاب والاستماع إلى الخير كل يوم، فهل أرفض خيرًا أتى، وأردُّ أجرًا دنا، وإن ظن البعض أن في هذا مشقة وتعب فالأمر كذاك ولكن من استزاد من الخير وتحمل فإن السلعة غالية.

أيقنت بعد سماع قصة المدرس ونظرة زملائه له أن الأمة ـ إلا من رحم ربك ـ تغرق في بحر من العجز والخور ومدافعة الحسنات والهروب منها بدعاوى الجهل وحب الدنيا.

وتأملت كيف هو هذا المدرس وقد فتح الله له صدور زملائه وطلابه بصبره وجلده، أخذوا يتقربون إليه منهم من يريد أن يأخذ من حصصه إذا غاب، ومنهم من يرغب في صدق لهجته وطيب معاملته التي ندرت في هذا الزمن!

وقس على هذا المدرس ذلك الطالب الذي أراد أن يكسب قلوب زملائه بإعانتهم ومساعدتهم سواء في الفصل أو في المنزل أو القيام بتدريسهم وتعليمهم بعض الدروس وعرض الإجابات ونماذج الأسئلة عليهم.

والباب في هذا واسع فأين المشمرون!؟

زيارة المريض

من وسائل كسب القلوب الزيارة التي يتوقى فيها الزائر في الوقت المناسب، فالمريض يتلهف وقت الزيارة إلى طارق يطرق الباب ويطل عليه! كم هو يحسب الدقائق ليزوره أحد أقاربه أو زملاءه خاصة من طالت إقامتهم على السرير!.

بعض من يقيمون إقامة دائمة في مستشفى النقاهة يحدثونك أنهم منذ شهور لم يزرهم قريب ولا زميل! فإن قمت أنت بهذه الزيارة كل شهر أو شهرين أصبحت قريبًا لهم وحبيبًا إلى قلوبهم، يسرون بزيارتك ويفرحون بمجيئك! يقول النبي ﷺ في فضل زيارة المريض: عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**» قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**» [رواه مسلم].

وأعرف من يذهب كل حين هو وزوجته لزيارة مستشفى النقاهة فيذهب لقسم الرجال ويسلم عليهم، ويذكرهم بالله ويدعو لهم بالشفاء ويتلطف معهم، وتذهب زوجته لقسم النساء، وتفعل مثلما يفعل زوجها مع الرجال! فيخرجان بموعظة بليغة وبحمد الله وثنائه على ما منحهم من نعمة الصحة والعافية مع ما هم فيه من الأجر والمثوبة على زيارة المريض ودعوته ونصحه.

السماحة في المعاملة

غالب الناس يتردد على محلات مجاورة له أو قريبة من منزله، وتتعجب إذا أثنى البعض على حسن معاملة صاحب المحل الفلاني! لقد فتح قلوبهم ليظهروا ما في جيوبهم، والإسلام يحث على حسن التعامل في الأخذ والعطاء يقول ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**»، وفي رواية: «**وإذا قضى**» [رواه البخاري].

هذا لأصحاب المحلات أما من يقصد الناس ويذهب إليهم فإن السماحة في البيع والشراء وإعطاء الحقوق وعدم بخسهم من أوسع أبواب الدعوة!.

وأذكر أن أحد الدعاة قال مرة: كن عزيز النفس، فإذا ذهبت إلى محل لتشتري لا تكن ذلك الرجل الشحيح البخيل الذي تناقش على هللات؛ بل كن كريمًا ودع الناس يفرحون بطلعتك وقدومك! بل وأشعرهم أن لك المكانة الأسمى عن غيرك فكما أنك تميزت بمظهرك تميز أيضًا بتعاملك! عندها تقع الدعوة بمكان في القلوب ويسهل عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإهداء الكتاب والشريط.

اتق شر من أحسنت إليه

بعض الأمثال تُبنى على قواعد مخالفة للشريعة مثل هذا المثل: «اتق شر من أحسنت إليه» ومعنى هذا تنفير المسلمين من إعانة إخوانهم وجعل الإحسان إليهم مرتبط بإساءتهم وهذا والله من سوء الطوية! بل أحسن إلى المسلمين بنية الأجر والمثوبة من الله عز وجل ولا تطلت منهم ردًّا ولا إحسانًا ولا تنتظر شكرًا ولا ثناءً وليكن هدفك رضا الله عز وجل عنك لا رضا الناس وثناءهم!

أخي المسلم:

أين موقع حديث الرسول ﷺ من قلبك: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ـ أو قال: لجاره ـ ما يحب لنفسه**» [رواه مسلم].

وقد قال الشاعر قديمًا:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

وقبل ذلك وبعده لأهل الإسلام ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

والآيات والأحاديث كثيرة جدًّا وهي متنوعة في الحث على إيصال الخير والمعروف للمؤمنين والمسلمين والإنسان عمومًا؛ بل والحيوانات!

يقول ﷺ: «**في كل كبد رطبة أجرًا**» [رواه مسلم].

وإجمال ذلك كله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

تجربة

أرسلت لي إحدى الأخوات بعد إخراجي كتيب «غراس السنابل» سنبلة دعوية تمثلت في قيام زوجها بإهداء الحلوى لمن يقابله من العمال والأجانب واستشهدت بعمال محطات البنزين.

وغبطت الرجل على حسن فهمه وعمق مشاعره وتفاعله مع هذه الفئة التي لا تهش لها الناس ولا تبش، فقط تُمد لها الأيدي بقيمة «البنزين» دون سلام أو كلام، وهؤلاء المساكين يرون أصناف السيارات وأنواع الناس ومع هذا فهم يجدون جفوة من أهل الخير وإعراضًا عنهم وصدودًا، فكان عمل هذا الأخ المبارك ـ جزاه الله خيرًا ـ سَنَّ باب يفتح لمحبة أهل الخير من قبل هؤلاء المساكين.

وقد راقت الفكرة في ذهني وأحببت تطبيقها، حتى يسر الله ذات يوم فاشتريت كيسًا من حلوى الصغار «عود» مصاص، وأخذ منها أطفالي ونحن في السيارة وعندما توقفنا عند محطة البنزين لتعبئة الوقود أصابني نوع من الحرج والتهيب فكيف أقدم حلوى الأطفال الصغار لهؤلاء الرجال، وتوقفت برهة حتى رأيت عامل المحطة وكان كبير السن يضحك مع أطفالي ويتبسط لهم فرأيت الوقت مناسبًا وأشرت إليه بحلوى «المصاص» فسارع إليَّ وأخذها وعاد إلى مؤخرة السيارة فأتبعته النظر من المرآة فإذا به يشير لصاحبه الآخر بأني أوزع هذه الحلوى! فسارع إليَّ واقترب وهو ينظر على استحياء، فناولته الحلوى.

قلت في نفسي: بحلوى «مصاص» تكسب قلوب أولئك المساكين وتفرحهم! وقد تدفع لهم بكتاب أو شريط فيفرحون به ويقبلونه!.

الجـــود والكـــرم

المال عصب الحياة ومع ما منَّ الله علينا من تدفق الأموال ووفرتها إلا أن القليل منا هم الذين استفادوا من هذه الأموال! مع أن المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة الثمانية! مدرس أو موظف مرتبه يتجاوز الخمسة آلاف ومع هذا لا تجده ينفق في الشهر مائة ريال مثلاً! أليس هذا عجيبًا! وتجد مدرسة تكدح الليل والنهار وعند نهاية الشهر تستلم راتبًا تنفقه في كماليات ليست ذات أهمية وتبخل على آخرتها بمائة ريال.

لقد شحت بعض النفوس وقبضت الأيدي وإلا فمن تأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد العجب في أمر الجود والكرم!

عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة» [رواه مسلم].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا» [رواه البخاي ومسلم].

والطلب من الأحبة لفتح القلوب ليس يسيرًا ولا منالاً صعبًا؛ بل من القليل ومما أفاض الله به علينا إما كفالة أرملة أو شراء هدية لجار أو مجموعة من الكتب للإخوة والأصدقاء والأمر ولله الحمد مقدور وميسر! وبمبلغ يسير يجري الله على يديك الأجر العظيم. . بريال واحد تشتري به كتابًا قد يهتدي ضال فيصلي فيكون لك مثل أجر صلاته لا ينقص من أجره شيء! أليس الربح عظيمًا!.

الرفق

من الوسائل التي نرى أثرها العظيم في دعوة الناس الرفق بهم وتلمس الأعذار لهم وعدم التشنيع عليهم يقول النبي ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» [متفق عليه].

وقد مدح الله عز وجل نبينا الكريم بأنه رحمة للمؤمنين رحيمًا بهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وأمثلة الرفق في سيرة النبي ﷺ كثيرة جدًّا منها قصة الرجل الذي بال في المسجد وكذلك الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنا، وغيرها كثير.

ويتأكد الرفق واللين عند تعليم الجاهل وتذكير الناس والتنبيه على الأخطاء، ولهذا كان النبي ﷺ يقول حينًا: «**ما بال أقوام**» ولم يسم الأشخاص.

الطرق السريعة

مع كثرة العربات، وسهولة الطرق وطولها قل أن تجد ولله الحمد سيارات متعطلة على الطرق السريعة! لكن إذا تعطلت سيارتك فما أقل المعين والمساعد ممن يمرون عليك! وبعضهم يقف ساعات طوال فلا يسأل عنه أحد وتمر السيارات بجواره ولا يهمهم أمره، خاصة في الطرق التي تقل فيها الحركة وكثرة المرور!

ومنبع العذر في عدم الوقوف إما الخوف أو خشية إضاعة الوقت، وآخرون يرون أن هذا الأمر لا يهمهم وهل هم موكلون بغيرهم! والسؤال إن تعطلت سيارة هؤلاء بعد برهة فمن الموكل بهم؟!

إن في الوقوف للمتعطلين على جناب الطرق تهوينًا لأمر العطل وإيناسًا لهم وتسهيلاً لأمر إسعافهم وإن لم تعن المسلم في هذا الموقف فأين ستعينه ومتى؟!

يقول النبي ﷺ: «**ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله بها كربة من كرب يوم القيامة**...» [متفق عليه].

إنها إعانة ومساعدة ودعوة وفتح للقلوب حتى ولو لم تقدم لهم بعد السلام إلا السؤال وتطييب النفس!

ويكفي أنَّه رأى طلعتك ومظهرك وشاهد فعل الشباب الملتزم وإعانتهم للمحتاجين وهذه لوحدها تقريب لقلبه من محبة أهل الخير.. وتكون بهذه الخطوة أزلت ما قد يكون بذهنه عن الشباب الملتزم وأسقطت الحاجز الوهمي الذي بينك وبينه!.

الأيتام

فيما مضى من زمن كان اليتيم يحظى برعاية الأقارب والجيران والمعارف والإخوان، ومع التطور الذي حصل في المدن والقرى وانشغال الناس بأمورهم ضاع الأيتام ونسيهم البعض فأصبحوا لا يجدون لقمة عيش ولا درهم مساعدة وإعانة!

والموفقون هم الذين بحثوا عن أسر فقيرة إما من أقاربهم وهذا هو الأولى، أو من الجيران، أو عن طريق المبرات الخيرية، وكفلوا يتيمًا أو أسرة بحسب الحال امتثالاً لحديث عظيم: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما [رواه البخاري].

قال **ابن بطال**: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

وأعرف من يقوم بكفالة الأيتام والأرامل ويعطيهم شهريًا ما يحتاجون من مأكل ومشرب وملبس ويناولهم كتابًا وشريطًا في كل مرة، ثم هو يتفقد أمر صلاة الأيتام ويسأل إمام المسجد، وبهذا يكون قد قام بأمر الكفالة والرعاية أعظم الله له الأجر.

قال **الإمام النووي**: كافل اليتيم: «القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك».

ويدخل في ذلك القيام على الأرملة المسكينة، قال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**» وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**» [متفق عليه].

إصلاح ذات البين

ضاقت الأنفس البشرية بأتفه الأسباب وهذا مصداق حديث النبي ﷺ: «**إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكنه لم ييأس في التحريش بينكم**».

فكثرت العداوات وانتشرت الفرقة.

ومن واجب المسلم رأب الصدع وإصلاح ذات البين، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» [رواه الترمذي].

قال في تحفة الأحوذي: «وفيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه».

فمن منا من يقوم بهذا العمل ويسعى بالإصلاح وبذل النفس للتقريب بين المسلمين وزيادة محبتهم، ثم هو بهذا العمل قد دخل القلوب وقُرِّب للنفوس فتكون كلمته مسموعة ودعوته مقبولة.

كن مستمعًا جيدًا

الاستئثار بالحديث صفة غير مقبولة، ومشاركة الحضور إثراء للمجلس وطرح للأفكار، وفي صفة الإنصات وحسن الاستماع دلالة على رجاحة العقل وتمامه، وتقدير الآخرين وهو من مفاتيح القلوب وسلب محبة النفوس. . والناس اليوم يحبون من يستمع إليهم لكثرة حديثهم ومشاكلهم، فتراهم ينثرون خبايا الصدور ومكنون النفوس لأقرب مستمع وأدنى صاحب.

قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه: «أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعل للإنسان أذنان وفم واحد».

لنسمع أكثر مما نقول. . ولهذا تجنب المقاطعة أو التعليق الغير مهم أثناء حديث محدثك، بل أظهر حسن الاستماع والإصغاء وإذا انتهى فاطرح رأيك وملاحظاتك بأدب ورفق.

يقول **عطاء بن رباح**: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له، كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد».

وحسن الاستماع والإنصات باب واسع لفتح القلوب ومحبة النفوس خاصة حال بث الهموم والغموم! والمشاركة فيها وتهوينها والبحث عن حلول لها.

التواضع

الكبر صفة مذمومة وخصلة دنيئة، وقد ذم الله عز وجل أهل الكبر وتوعدهم بنار جهنم، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [رواه مسلم]، وكان النبي ﷺ رأس المتواضعين وعلم على الرأفة واللين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة، فقال: «**اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك**» [رواه أبو داود].

والتواضع من مفاتيح القلوب خاصة لمن كانت له حاجة أو طلب، فالاستماع إليه والتبسط معه وإظهار التعامل مع مشكلته وإجابة دعوته والسعي لإنهاء مشكلته كلها مفاتيح للقلوب نسيها الكثير!.

ومن التوصيات التي تكتب لرؤساء الدول حين الانتخابات: النزول إلى الأحياء الفقيرة ومخالطة الناس وإظهار التواضع لكسب أصواتهم!.

فيا ترى من أحق منَّا بذلك أهم أم نحن أصحاب هذا الدين العظيم الذي اتخذ التواضع ديانة لا خدعة؟!

وأذكر هنا أيضًا أن أحد الدعاة المعروفين بكسب القلوب قد لقي أحد الشباب وكان في بداية توجهه، وقد قدم خدمة للشيخ الداعية فما أن رآه الداعية الموفق حتى قال له: ما هذا؟ وأشار إلى أزرار في صدره فخفض الشاب رأسه ليرى ماذا يقصد الشيخ عندها قبل الشيخ رأس الشاب وكان في وضع يسمح له بذلك وإلا لما وافق مطلقًا! فانظر إلى آثار تلك القبلة على رأس الشاب وكيف بقيت، وأخذ يرددها عند الخاصة تعجبًا ومحبة للشيخ! ووالله ما نقص من الشيخ شيئًا؛ بل زاد قدره وارتفعت منزلته!.

النَّفَس القصير

يعترى بعض الدعاة صائدي القلوب الداعين إلى الخير بعض الكسل ويتسرب إلى نفوسهم الضعف واليأس، فبعضهم ينطبق عليه مسمى «صاحب النفس القصير» في الدعوة إلى الله، فتراه إن تبسم مرة وثانية ولم ير أثرًا توقف، وإن أهدى مرة وتبعها بأخرى ولم ير تغيرًا بدأ اليأس يدب إلى قلبه! ولهذا فشلت كثير من الدعوات في أوساط البيوت والأسر والمعارف لقلة الصبر وقصر النفس.

أليس في دعوة نوح عليه السلام مدعاة إلى التأمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

وفي تنوع الوسائل والأماكن ما فيه عبرة.. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح].

وفي دعوة النبي ﷺ وهو يكرر أمر الدعوة مرة وثانية وثالثة ويستفيد من الفرص منهاج دعوة وطرد لليأس القاتل!

من أراد أن يفتح الله له القلوب، عليه بالهمة العالية، وتكرار المحاولة في أوقات مختلفة وبأساليب متنوعة، وبطرق مختلفة... مرة بالشريط، وأخرى بالكتاب، وثالثة برسالة مناصحة، ورابعة عن طريق إمام المسجد، وخامسة عن طريق أبنائه، وسادسة...! وهكذا فالوسائل والطرق كثيرة جدًّا لإنقاذ من حوله من نار جهنم!.

التنازل عن بعض الحقوق..

لكل إنسان في هذه الدنيا ارتباطات مع الناس وله حقوق وعليه التزامات، فمن وسائل الدعوة عدم المنازعة والمشاحنة حين الاختلاف والفرقة؛ بل تعالج باللين وطيب النفس، حتى وإن تنازلت عن بعضها رغبة في استمرار الود والمحبة! ألست تدفع مبالغ لكسب قلوب الآخرين وتقيم المناسبات لجمع الأصحاب والمقربين، تنازل عن بعض حقوقك في سبيل كسب القلوب، وإياك والفجور في الخصومة، فإن النبي ﷺ عد ذلك من خصال المنافقين؟! قال عليه الصلاة والسلام: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**» [رواه البخاري ومسلم].

وليس الأمر مقصورًا على الأموال فحسب؛ بل تنازل عن حقوقك في الزيارة ولا تلح على الناس والأقارب وتعاتبهم عن عدم زيارتك وإنزالك منزلتك كما يظن البعض؛ بل كن مسامحًا كريمًا تتألف قلوبهم.

ومن تأمل في حال الدنيا وأهلها تذكر قول أحد السلف «سياسة الناس أشد من سياسة الدواب».

الدعاء

يقول أحد الشباب الذين من الله عليهم بالهداية، وكان لاعب كرة قدم «حارس مرمى»: رأيت أحد الدعاة بعد أن اهتديت فدعا لي بصوت مرتفع «اللهم اجعله حارسًا لهذا الدين».. يقول الشاب: فما زالت تلك الدعوة تعاودني وتهز قلبي إلى اليوم.

وآخر من الدعاة ديدنه إذا رآك رحَّب وبش وهش لك ثم انطلق يدعو: اللهم اغفر له، اللهم ارفع درجته اللهم أصلح ذريته، اللهم ثبته على الدين، اللهم انفع به الإسلام، وهكذا حتى ينفد إلى قلب المدعو.

ويراعى حال الدعاة سبب الدعاء ومناسبته، فإذا كان عن الإنفاق دعا له بالخلف والقبول، وإذا كان من المهتدين دعا له بالثبات ونفع الإسلام والمسلمين وهكذا..

ومن أنجح وأنفع الأسباب لفتح القلوب، الدعاء بظهر الغيب بالهداية والتوفيق لمن تخصه بالدعوة وقد دعا النبي ﷺ بذلك كثيرًا «**اللهم اهد دوسًا...**» «**اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين**».

والدعاء أحسن الكلام وأوقعه عند المولى جلا في علاه، وكذلك عند أهل الرأي مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

ولما كانت «الكلمة الطيبة صدقة» فإن أطيبها الدعاء الصالح لتهذيب النفوس وفتح القلوب.

خير الناس أنفعهم للناس

القيام بحقوق المعارف والجيران أبواب كثيرة ومتعددة للدعوة.

هاك مثلاً: الآباء الذين لا يقومون بنزهة مع أبنائهم وأسرهم، تحبب إليهم تلك الرحلة وتدعوهم إليها، وتبين لهم المكان وتخرجون مجموعة كعوائل تتآنسون مع البعض، وبهذا تفتح قلب العائلة إلى محبتكم ومودتكم لأنكم قدمتم إليهم جديدًا يصعب الوصول إليه بدونكم.

* من المواقف التي تترك أثرًا في النفس، قراءة القرآن على المرضى من المعارف والجيران والزملاء والنفث عليهم بالرقية الشرعية المعروفة، فإن في ذلك أجرًا وتحببًا إلى القلوب.

* هناك من قام وخدم الكثير من الأسر بالبحث لبناتهم عن أزواج أكفاء، فقد يكون الأب لا يستطيع عرض بناته كما فعل الصحابة، فيقوم هذا بهذا العمل المبارك، خاصة للمطلقات وكبيرات السن!.

* هنا باب واسع وهو باب «النصيحة» فإذا استنصحك واسترشدك جارك أو قريبك أو زميلك فانصح له حتى وإن بذلت جهدًا ووقتًا لاستقصاء الأمر لتكون النصحية قريبة إلى الصواب.

* ومن الأبواب التي تفتح بها القلوب التفاعل مع الأحداث والمشاكل التي تحل بمن تعرف فلا تكن باردًا سمجًا، بل تفاعل مع الحدث وشاركهم في الفرح والحزن بوجدانك وقلبك فهذا من متطلبات الجسد الواحد، وأتبع الأمر أسبوعًا وآخر حتى تنتهي المشكلة وأشر على أصحابه بالطريقة الشرعية وانصحهم بكثرة الدعاء والسجود لله عز وجل.

* تقديم الرأي والمشورة في كل أمر فيه فائدة، ومن ذلك البدء بالإشادة بحلق تحفيظ القرآن وحث الآباء على إلحاق أبنائهم وبناتهم، ولا ينتظر المؤمن سؤال الناس وطلبهم؛ بل يبدأ بالخير ويقدمه.

* أحد المعلمين جزاه الله خيرًا خصص جزءًا من وقته في الإجازة الصيفية لتدريس الطلاب المكملين وبدأ يتابع دراستهم، وحثهم على الجد والاجتهاد في هذه الإجازة، وكل ذلك بدون مقابل مادي إنما هو احتساب لوجه الله عز وجل، فأصبح ولله الحمد مكان ثقة الآباء ومحل تقديرهم وشكرهم.

* المناسبات الخاصة كالزواج وغيرها تتطلب مشاركة جماعية ولا يستطيع الأب وحده إتمام الأمر، وهذا باب من أبواب الأجر وفتح القلوب، وهو مساعدة القريب أو الجار في هذا العبء الذي يحمله.

* أحدهم: جعل جزءًا من وقته لحث الناس على الحج والعمرة، ومتابعة أمورهم والحجز لهم، وربما هو الذي يذهب ويسجل أسماءهم، كل ذلك في سبيل إعانتهم على أداء هذه الفريضة العظيمة، وهو بهذا يكون أسهم في إعانتهم ثم في اختيار المجموعة المناسبة التي يرى أن في صحبتها فائدة دعوية.

وقفـــات

* عندما تقضي حاجة لمسلم أو مسلمة فإنك تقضي حاجة ماسة وضرورية لهم، لكنها والله لك أهم وأعظم وأدوم وأبقى! فأنت تنفق مالاً يتحول إلى حسنات، وتسعى بقدمك فتحول تلك الخطوات إلى أجور عظيمة وهذا من فضل الله ومنته على عباده.

* البعض يلقي عن كواهله الأمر بإلقاء كلمة أو نحوها «أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر» دون تحسس لموقع هذه الكلمة وهو بهذا يريد براءة الذمة، والأمر ليس براءة الذمة فحسب؛ بل محاولة إصلاح الأمر وتعديل المسار، فباستطاعة الإنسان أن يلقي كلمة طيبة ويكون لها صدى وأثر، وآخر يلقي كلمة بدون لين ولا رفق ويكون لها أثر عكسي!.

* بعضهم لم يجد طريقًا للدخول مع مجموعة من كبار السن إلا بعد أن حفظ أبياتًا من الشعر، عندها كان مقبولاً لديهم حيث أن جل حديثهم عن الشعر والشعراء.. لكنه جعل ما يلقي من شعر في الوعظ والنصيحة والإخوانيات فكان ذلك مدخلاً له عندهم.

* من أنفع الوسائل التي تعين على حسن الدعوة وطيب النفس مع الآخرين أن تستشعر أن لك حاجة دنيوية عند هذا الرجل! كيف حالك حينئذٍ وأنت تتودد إليه وتحسن خلقك وتختار الوقت المناسب والعبارات الجميلة.

تخيل أن لك حاجة لدى أصغر موظف في إدارتك ولا تُحل إلا عن طريقه! كيف تكون معاملتك له وتلطفاتك ولا تحل إلا معه؟! وقد جربت بنفسي هذا الأمر فوجدته بلسمًا شافيًا وبابًا يفتح القلوب ويعينك على الصبر وتحمل المشقة والصعاب.

التلطف مع البسطاء

قال أحدهم: رأيت أحد العمال العرب مستظلاً في ظل جدار مرتفع، فسلمت عليه وسألته عن اسمه فأجابني، وسألته عن حاله فأخبرني، فسألته: كيف أولادك؟ أهم في مصر أم هنا؟! هنا تعجب وقال: لي سنوات طويلة في هذه البلاد غريبًا ولم يسألني أحد عن أولادي! وهذه تبين أننا في غفلة وبعد عن أولئك المساكين البسطاء!

وأعرف أحد كبار التجار من الشباب الملتزم يقبل بين الحين والآخر خادمه إذا وجد فرصة لذلك.. فمثلاً إذا أتى وهو ينظف عجلة سيارته وكان جالسًا انحنى وقبل رأسه ودعا له! وهذا التاجر ـ وفقه الله ـ يحضر دروس العلماء ومن حسن تربيته لأبنائه، إذا كان لديه وليمة فإن أول من يأتي بالقهوة ويناولها الضيوف هم أبناؤه ثم يتوالى الخدم بعد ذلك.

القـــدوة

القدوة أمرها عظيم وأثرها سريع، وقد قال الله عز وجل عن نبينا محمد عليـــه الصـــلاة والســـلام: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالقدوة هي محط أنظار الناس فإن كانت خيرة طيبة تقربت إليها النفوس وتطلعت إلى معرفتها والجلوس معها وإلا كانت من أسباب التنفير، وقد تكون من أسباب الصد عن دين الله عز وجل! وكم من الأمم السابقة دخلت في دين الله عز وجل بسبب المعاملة الطيبة التي يرونها ويلمسونها من معاملة التجار المسلمين، وكم من الكفار يعيشون بين أظهرنا وإذا دعوته إلى الإسلام فاجأك بسؤال عن أهل الإسلام.. وأكلهم أموال العمال أو التحدث عما هم فيه من الفساد!.

هذا بعامة، أما الخاص فهو يتعلق بمن ظهر عليه آثار الالتزام وهم قدوة في أهلهم وأقاربهم وجيرانهم.

وسأورد مثلين عن شخصين: الأول ملتزم بار بوالديه محترم لإخوته حسن العشرة مع زوجته وأبنائه أليس هذا مما تحبه القلوب وتستمع إليه الأفئدة وتتمنى النساء أن يكون أزواج بناتهن مثله!

وآخر ظاهره الالتزام لكنه فظ غليظ سيء الخلق عاق لوالديه، لا يهتم بأبنائه وزوجته، أليس هذا مما ينفر من الملتزمين ويعيق انتشار الدين؟! ثم أليس هو ممن يصدون بهذا الخلق السيء عن دين الله عز وجل وإن لم يشعر؟!

إكرام الضيف وإطعام الطعام

إكرام الضيف من سنن الأنبياء والمرسلين وقد عده الرسول ﷺ من الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» [رواه مسلم]، والإكرام لا يكون بتقديم الأكل والشرب فحسب؛ بل بطيب النفس وسماحتها أيضًا.

ومن مفاتيح القلوب إطعام الطعام خاصة للأقارب والجيران والمعارف وقد حضَّ النبي ﷺ على تعاهد الجيران وإكرامهم فقال لأبي ذر: «**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**» [رواه مسلم].

وقد أوصى النبي ﷺ نساء المسلمين بوصية عظيمة في هذا الأمر فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**» [متفق عليه].

وفرسن الشاة: ظلفها، وهو كناية عن القلة.

تفريج الكرب

تعتري الإنسان المسلم في طريقه كرب كثيرة من حاجة إلى مال أو حاجة إلى جاه أو رأي ومشورة أو غير ذلك.. فكن أنت خير معين له تسعى لقضاء حوائجه، وتهب لتخفيف مصابه وتقديم المشورة له.. متعبدًا لله عز وجل بهذه الخدمة التي تقدمها والمساعدة التي تؤديها، وإن لم يكن فبكلمة طيبة تطيب بها خاطره وتهديء من روعه وتعينه على نوائب الدهر.

وقضاء حوائج المسلمين يتم ببذل المال والجاه والنفس والوقت، متفرقة أو مجتمعة.. فليحمد الله من جعل الله له نصيبًا من المال أو الجاه وأغناه عن غيره وكفاه.

فعليه بالسعي في قضاء حوائج الناس فإن هذه النعم التي رزقها الله إياه لابد من زكاتها وتأدية حقها.

ومن أنعم الله عليه وقصده الناس فإن له أجرًا عظيمًا إذا وفق إلى تفريج الكرب وإزالة الهموم والغموم وأخلص في ذلك لله عز وجل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكافه عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين**» [متفق عليه].

وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستره الله يوم القيامة**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة**

والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ـ أحسبه قال: ـ **وكالقائم لايفتر، وكالصائم لا يفطر**» [متفق عليه].

وقضاء الحوائج قد يكون بالرأي والمشهورة والنصيحة الصادقة، فهناك كثير تطرقه الهموم والغموم لأمر نزل به مثل: شقاق مع زوج أو مع زميل، أو نزاع مع قريب أو طلاق ابنه أو مشكلة لابن أو غير ذلك من عوارض الدنيا اليومية.. فيكون الصبر والحديث عنه باب لتفريج كربته وضحك سنه، وهو أمر ميسور على من يسره الله عليه.

والسعي مع ضَعَفة المسلمين وعامتهم في هذا الزمن أصبح من الضرورات ومن الحقوق الواجبة على المسلم لأن الكثير تتقطع به السبل وتضيق عليه الدروب ويحتاج إلى من يعينه في إدخال ابنه أو ابنته للمدرسة أو لقضاء حاجته حق واضح في دائرة معينة.

ولأهمية الأمر في تنفيس الكرب وقضاء الحوائج وإدخال السرور على المسلمين يقول الحسن البصري رحمه الله: «لأن أقضي حاجة لأخ أحب إليَّ من أن أعتكف ألف ركعة، ولأن أقضي حاجة لأخ أحب إليَّ من أن أعتكف شهرين».

وكان **ابن عباس رضي الله عنهما** يقول: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إليَّ من حجة، ولطبق بدرهم أهديه إلى أخ لي في الله، أحب إليَّ من دينار أنفقه في سبيل الله».

اللسان

اللسان أمره خطير، وقد حذر الله عز وجل من مزالقه وأفاضت السنة المطهرة في التحذير من فلتاته، قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة: ق].

ويقول النبي ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة اللسان، وكم نرى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي. . .».

فاللسان هو مغاريف القلوب والناس ترى وتسمع ما يقال، فاحرص على أن يكو لسانك ذاكرًا لله عز وجل مبتعدًا عن الرذائل وسفاسف الأمور واحذر الغيبة والنميمة وتصيد أخطاء الناس ودع المراء والجدال ومحاولة إفحام الناس، بحججك وحسن منطقك فإن ذلك ينفر النفوس! ولكم رأينا رجلاً أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه ينير المجلس ويعطره بقول: «**لا إله إلا الله**» «**أستغفر الله**» ويرددها بين الحين والأخر.

واستشعر لفتح القلوب حديث النبي ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**» [متفق عليه].

الإخـــلاص

من أهم مفاتيح القلوب الإخلاص في دعوة المدعو بأن تكون لله عز وجل ليس للنفس فيها منة أو محبة جاه أو مال أو ثناء أو مدح أو غير ذلك فإن الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

ومن أقبل على الله عز وجل وأطاعه وامتثل أمره فإن جزاءه كما قال النبي ﷺ: «**إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**» [متفق عليه].

قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد بالقبول: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه».

وتأمل ـ أخي الكريم ـ في عظم أمر هذا الحديث وانظر فيمن حولك وكيف ألقى الله عز وجل القبول على ثلة من الناس ليس لزيادة علمهم فحسب، بل لما وضعه الله عز وجل من محبة لهم في قلوب العباد.

قبل الختام

أخي المسلم:

اعرف محبتك للخير وسعيك لنيل الدرجات وما ذكرت من خصال وصفات تحتاج منك إلى صبر ومجاهدة وتكرار المحاولة مرة وأخرى، فإن النفس تحتاج إلى تقويم وتزكية ولا يأتي هذا إلا بعد طول صبر وممارسة، فما الحلم إلا بالتحلم وما الصبر إلا بالتصبر.

لكن الهدف سام والمطلب غال وتربية النفس طريق طويل يعين الله عز وجل فيه من أخلص النية وأصلح السريرة واتبع السنة.

والأعمال كثيرة والأبواب مفتوحة والنفوس مقبلة تبحث عن ذاك الذي يذل نفسه لله وينفق من ماله لله ويأخذ من وقت راحته لله!

إنه يسارع دون طلب ويقوم بدون سؤال.. يستثمر الفرص في رحلة طويلة إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض.

جعلني الله وإياك من مفاتيح الخير ورزقنا الجنة بغير حساب ولا عذاب، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

انطلق بنا

مدخل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

أخي المسلم:

انطلق بنا نقلب كتب الحديث والتاريخ والسير والتراجم.. انطلق بنا نعود قروناً مضت لنرى تاريخاً مضيئاً وأفعالاً مجيدة خرجت من نفوس مليئة بالصدق والإيمان..

انطلق بنا نجدد إيماننا ونحيي هممنا ونقوي عزائمنا!

إنها وقفات سريعة ونماذج حية اخترتها بعناية وهي غيض من فيض وقليل من كثير.. وتاريخ الأمة تاريخ حافل مشرق مليء بالدر واللآلي ويحتاج إلى من يقرأه وينظر فيه!

انطلق بنا نزيل وحشة الطريق ووهن الزمن وقلة المعين!

وقفة

* ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات.

أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها.

* ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل ﴾ [الأنعام: ٩٠].

* ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ [السجدة: ٢٤].

الانطلاقة الأولى

أخي المسلم:

انطلق بنا نرى فجر هذه الدعوة وانطلاقة الرسالة. وكم هو الجهد الذي بُذل! والصبر الذي ركب، . . إنها أمة الرسالة والدعوة. نبي الأمة محمد ﷺ وصحابته الكرام يسيرون في ثلة من القوم بينهم بعير واحد يتعاقبونه. ومن كثرة المشي ووعورة الطريق وقلة الظهر الذي يركب نقبت الأقدام وسقطت الأظافر. . ولكن الموكب المبارك يسير ولم يقف!

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفرٍ بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق. .**» [متفق عليه].

هذا نبي الأمة ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ ووجوه الصحابة! وهذا بعضٌ مما أصابهم في سبيل هذا الدين وإعلاء كلمته، فماذا أصابك!؟ دعنا هذه المرة ننطلق لنرى ماذا أصابك ولا تستح مما قدمت!

الانطلاقة الثانية

من سنن الله عز وجل الكونية أن لا مهادنة بين الإسلام والكفر ولا التقاء، لكنها مراحل ضعف وإنكسار، وإلا فالصراع بين الحق والباطل قائم والمعركة بين الإسلام والكفر دائمة! ولايزال هذا الدين ترسل له السهام وتصوب إليه الرماح منذ فجر انطلاقته فمنها ما تقعده حيناً حتى ينهض، ومنها ما تجرحه حتى يبرأ، ونهوضه وبرأه مرهون بمن حمله!

وموجات الكفر العاتية لِوَأدِ هذا الدين تتخذ طرقاً متعددة وأشكالاً متفرقة، وكلها ترمي بقوس واحد لقتله وإطفاء نوره! ولقد جرب أهل الكفر جميع الوسائل والطرق وأبلوا في ذلك أكثر البلاء وأشده، ورغم ذلك اشتد عود هذا الدين ونمت دوحته!

دعنا نتأمل هذه الأيام في الحصار الاقتصادي الذي يضرب على أكثر بلاد العالم الإسلامي، فإذا دول الكفر تشد وطئتها على المسلمين حتى هلك الحرث والنسل ومات المرضى وتخلف نمو الصغار وأسقطت الحوامل وتوقفت الصناعة وتعطلت الزراعة وتأخر الاقتصاد وما أشبه الليلة بالبارحة!

كتبت قريش على بني هاشم وبني عبدالمطلب كتاباً ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل. فحوصر الرسول ﷺ في شعب عامر ما يقارب الثلاث سنوات حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضارعون من وراء الشعب من الجوع! فأكلوا من ورق الشجر وجلود

الحيوانات!

وبعد هذا الحصار الشديد والحرب الضروس والمعاناة الصعبة خرج نور الإسلام من ضيق هذا الشعب الصغير حتى عم شعاب الأرض الواسعة! وبعد أن أكل المسلمون ورق الشجر من قلة ذات اليد أتت إليهم كنوز كسرى وخزائن قيصر! لكننا ننتظر من أهل الإسلام صدق العودة وحسن الاتباع وفضيلة التأسي.. فمتى تكون الإنطلاقة؟!

الانطلاقة الثالثة

ذكرت مجلة الأسرة في العدد ٧٠ أن نساء الخليج أنفقن في عام ١٩٩٧م مبلغاً يزيد عن ٣ مليارات ريال على العطور، وأنفقن حوالي ١٥ مليون ريال لصبغات الشعر! وملكت الأزياء والموضة عقولهن وقلوبهن واستنزفت جيوبهن! والسؤال مع الأرقام المهولة والكبيرة ما نصيب الإسلام من ذلك؟!

دعنا ـ أخي المسلم ـ ننطلق لنرى ابنة الصديق وكيف هو الدين في قلبها وفكرها! وكيف تضحي بنطاقها وتشقه نصفين وهو كل ما تملك ـ رضي الله عنها ـ.

عن أسماء رضي الله عنها قالت: «**صنعت سفرة للنبي ﷺ وأبي بكر حين أراد المدينة فقلت لأبي: ما أجد شيئا أربطه إلا نطاقي، قال: فشقيه، ففعلت، فُسميت ذات النطاقين**» [رواه البخاري].

ولنساء اليوم: من منكن تضحي ببعض ما تحب لتنفق في سبيل الله، وتعين على رفعة أمر الدعوة، وتيسير حاجات الفقراء والمساكين!

لا تشقي نطاقك ـ أيتها المسلمة ـ بل اقتصري على ما كان ضروريًا وقدمي ما بقي ليوم تشخص فيه الأبصار.

الانطلاقة الرابعة

في زمن كثر فيه المخالفون وزاد عدد المجادلون حتى فتن كثير من الرعاع وتساهلوا بأمر الدين وساروا خلف كل ناعق! فغزت قلوبهم الشبهات وحركت جوارحهم الشهوات فأصبح اسم الإسلام كسيراً في نفوسهم ذليلاً في ديارهم. . انطلق بنا لنرى صوراً مذهلة في مدينة الرسول ﷺ، وكيف هو أمر التسليم والرضا والمتابعة دون تراجع ولا شك! ولا تأخر ولا تردد.

عن البراء رضي الله عنه قال: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشرة أو سبعة عشر شهراً، وكان يحبّ أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَوُجِّه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّ على قوم من الأنصار فقال: «هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه قد وُجِّه إلى الكعبة»، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر» [رواه البخاري].

ما أسرع تأسيهم وامتثالهم لأمر الرسول ﷺ سمعوا خبراً عنه ﷺ فلم يترددوا في التمسّك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجّه النبي والقدوة ﷺ ـ إلى الكعبة المشرّفة ـ وهم ركوع.

* وهذا موقف آخر من مواقف التسليم والرضى. . لما حُرمت الخُمُر والناس جياع والقدور تغلي. . ماذا كان الجواب!؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: «**أُكلت الحُمُر**» فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: «**أُكلت الحُمُر**» فسكت، ثم أتاه الثالثة فقال: «**أُفنيت الحُمُر**»، فأمر منادياً فنادى في الناس: «**إن الله ورسوله ينهيانكم**

عن لحوم الحمر الأهلية»، فأُكفئتِ القدور وإنها لتفور باللحم [رواه البخاري].

لم يفكر أولئك الأخيار ـ المحبّون الصّادقون للحبيب الكريم ﷺ ـ في التحايل أو البحث عن فرصة أو استثناء. وكيف يمكن ذلك وقد كانوا يُدركون تمام الإدراك أنّ من الأمور الأساسية في الحبّ أن يكون هوى المحبّ تابعاً لأمر الحبيب.

ومواقف الطاعة والانقياد لهذا الدين كثيرة متعددة تبرهن بصدق عن عمق الإيمان وصدق الإسلام في النفوس، عن أنس رضي الله عنه قال: «كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ، وكان خمرهم يومئذ الفضيح، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «ألا إنّ الخمر قد حرّمت».

قال: فقال لي أبو طلحة: «اخرج فاهرقها»، فخرجت فهرقتها. فجرت في سكك المدينة [رواه البخاري].

يقول الحافظ ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»[1].

وتم هذا كله من غير قيل وقال، وتردد واستفسار، فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: «وهل بلغكم الخبر؟».

فقالوا: «وما ذاك؟».

قال: «حرمت الخمر».

قالوا: «أهرق هذه القلال يا أنس».

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٣٩.

قال: «فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل» [رواه البخاري].

يا له من استسلام مطلق، وانقياد كامل!.

وإن تحاورت اليوم مع مدخن، أو مقيم على معصية سألك: أنا مدمن منذ سنوات وكيف أتركه؟ أفارق الأمر وكيف..! وإن تأملت الأمر رأيت مجانبة الآية لواقع حياتهم وطريقة تفكيرهم..: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

والبعض اليوم إذا أخذت بمجامع عقله وقلبه وقلت له الشاشة وما يعرض فيها حرام؟ قال: نعم! لكن ما البديل؟!

عجباً لحفيد أولئك أين الطاعة والاستسلام وهل يشترط بديل لتطيع وتبتعد عن الحرام!؟

لننطلق إلى قلوبنا فنصلحها، وأنفسنا فنزكيها، وعندها نعرف لذة الطاعة ونعيم القبول، والرضا بأمر الله عز وجل وحكمه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق].

الانطلاقة الخامسة

ما رأت الأمة ذلاً وخضوعاً ولا محبة لكفار مثل ما نرى في هذا الزمن! أليس البعض يسافر سائحاً لبلادهم! ألم يسود أهل الصحف صحفهم بالثناء على النموذج الغربي والنموذج الياباني؟! إنه تبعية ولاشك نابع من هزيمة نفسية وبُعدٍ عن العقيدة الصحيحة! لقد سقط الولاء والبراء إلا من قلوب القليل! دعنا نرى ونسمع ما يقوله الإمام الطبري في واقعة ملؤها العز والفخار والرفعة والسؤدد..

قال: «لما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: «إنَّا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه»، فأبلغوه فأذن لهم.

فأتاه أبوعبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، وأبوجندل بن سهيل ـ رضي الله عنهم ـ، ومع أخي الملك يومئذ ثلاثون رواقاً في عسكره، وثلاثون سرادقاً، كلها من ديباج.

فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: «لا نستحل الحرير فأبرز لنا».

فبرز إلى فرش ممهّدة وبلغ ذلك هِرَقْل، فقال: «ألم أقل لكم! هذا أول الذلّ. أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم».

وفي رواية: قال الصحابة: «لا نستحل دخولها».

فأمر لهم بفرش بسط من حرير.

فقالوا: «ولا نجلس على هذه».

فجلس معهم حيث أحبّوا»[١].

ولما عصفت بالأمة رياح الذل والهزيمة جلس الكثير من المسلمين حيث أحب الأعداء!.

فيا ترى متى ينطلق الركب في موكب مهيب مثل موكب أولئك السلف الصالح؟!

(١) البداية والنهاية ٧/ ٩-١٠.

الانطلاقة السادسة

نساء اليوم يسابقن الرجل في كل واد . . منهن الخراجة الولاجة التي لا يقر لها قرار . . ومنهن التي تلاعب الشيطان بعباءتها فأخذتها زينة وفتنة! ومنهن من لا ترى أثر تعاليم الإسلام في لباسها ومأكلها ومشربها .

دع عنك نساء اليوم ـ مع أن فيهن خيرات ـ ولننطلق نرى واقع نساء السلف وكيف كنَّ؟!

عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ: «**استأخرن فإنَّه ليس لكنّ أن تَحُقُقْنَ[1] الطريق . عليكنّ بحافات الطريق**» [رواه أبو داود] .

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنّ ثوبها يتعلّق بالجدار من لصوقها به» .

أما سودة رضي الله عنها فإنها لما سُئلت : لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ قالت : قد حججت واعتمرت ، وأمرني الله أن أقر في بيتي .

قال **الراوي**: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها[2] .

وقال **أبو بكر بن العربي** في كتابه أحكام القرآن : «ولقد دخلت نيفًا على ألف قرية من برية فما رأيت أصون عيالاً ولا أعف نساء من نساء نابلس، التي رُمي

---

(١) (تَحُقُقْن الطريق): أي تركبن حقها وهو وسطها .

(٢) القرطبي ١٤/ ١٨٠ .

بها الخليل عليه الصلاة والسلام في النار، فإني أقمت فيها شهرًا فما رأيت امرأة في طريق نهارًا إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتليء منهن، فإذا قُضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى».

واليوم: الحال مبكية والجدار سقط، وإلا منذ متى والمسلمة تعرض مفاتنها للغادي والرائح؟! ومنذ متى والمسلمة تنصب نفسها للأعين الجائعة من الذئاب البشرية؟! وإن سلمت هي لم يسلم الشاب المسكين!

لقد انزوى العفاف، واستحيا الحياء، وعف العفاف حتى لا يكاد يُرى على سواد الأمة إلا من رحم ربي من المؤمنات الصادقات الطائعات لله ولرسوله ﷺ، فأنعم وأكرم بهن من أمهات وبنات وزوجات!

الانطلاقة السابعة

تباطأت الأقدام عن السير للجهاد وماتت الهمم دون اللحاق بالمجاهدين. والنبي ﷺ يقول: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**» [رواه مسلم].

انطلق بنا ـ أخي المسلم ـ لنطلع على باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله وإعلاء دينه.. إنه الجهاد في سبيل الله!

عن أبي قتادة، رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ، قام فيهم فذكرَ أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله، أفضل الأعمال، فقام رجلٌ، فقال: يارسول الله أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أتكفرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله، ﷺ: «**نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابرٌ، مُحتسب مقبل غير مُدبر**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قُلت؟**» قال: أرأيتَ إن قتلتُ في سبيل الله أتُكفرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله، ﷺ: «**نعم وأنت صابر مُحتسب، مُقبل غير مدبر، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**» [رواه مسلم].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قُتلتُ؟ قال: «**في الجنة**». فألقى تمراتٍ كنَّ في يده، ثم قاتل حتى قُتِلَ. [رواه مسلم].

وعن أنس رضي الله عنه، قال انطلق رسول الله، ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقدمن أحدٌ منكم إلى شيءٍ حتى أكون أنا دونه**» فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض**» قال: يقول عُميرُ بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السمواتُ والأرض؟ قال: «نعم» قال: بَخٍ

بَخٍ! فقال رسولُ ﷺ: «**ما يحملكَ على قولِكَ بَخٍ بخٍ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءَ أن أكون من أهلها، قال: «**فَإِنَّكَ من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه[1]، فجعل يأكُلُ منهنَّ، ثم قال لئن أنا حييتُ حتى آكُل تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلة! فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل [رواه مسلم].

ثلاث نماذج سريعة من سجل حافل لأمة الجهاد! يحتاج إلى قراءته وتأمل واقعه ثم النظر إلى حالة الأمة اليوم وما تردت فيه من الذل والهوان.

---

(١) «القرن» بفتح القاف والراء: هو جعبة النشَّاب.

الانطلاقة الثامنة

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء ناسٌ إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يُعلمُونا القُرآن والسُّنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يُقالُ لهمُ: القُراءُ، فيهم خالي حرامٌ، يقرؤون القُرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمونَ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون بهِ الطعام لأهل الصفة، وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فَرضينَا عنكَ ورضيت عنا، وأتى رجُل حراماً خال أنسٍ من خلفه، فطعنه برمح حتى أنفذهُ، فقال حرامٌ: فُزتُ ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا أنا قد لقيناك فرضينا عنكَ ورضيت عنا**»[1].

أخي المسلم:

هذا حرام يقول: فزت ورب الكعبة، وما ذاك إلا من إيمان سعى به لنيل الشهادة.. فأين نحن من حرام وفعله؟! ومتى يوم الفوز لنا ولك؟!

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

الانطلاقة التاسعة

فترة الشباب فترة حاسمة في حياة الإنسان وهي مرحلة الزرع والانتاج والعمل والنشاط!

وما قامت أمة من الأمم بعد توفيق الله عز وجل إلا على همم وأكتاف شبابها ورجالها!

اليوم شباب الإسلام - إلا من رحم ربك - يهيمون في أودية الضياع والانحراف.. هواية أحدهم ليست الجهاد في سبيل الله ولا طلب العلم ولا تحصيل الفوائد، بل هم الكثير وهوايته متابعة الموسيقى والرقص! وإن أردت شاهد عدل على هذا العار فقلب صفحات المجلات لترى كثرة هواة المراسلة ومحبي التعارف كما يدعون!

ولتقر عينك، انطلق بنا لنرى واقع شباب صدر الإسلام الأول حينما كانت السيوف محبوبتهم والجهاد هوايتهم ورغبتهم!

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا مسدد حدثنا يوسف بن الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا إن هذا

صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «**أيكما قتله؟**» قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما**» قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «**كلاكما قتله**» سلبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح.

وللآباء والأمهات.. على أي شيء تربى الأجيال القادمة؟ وماذا يغرس في قلوبهم؟! إنها الأمانة والمسؤولية اليوم، والحساب والجزاء غدًا!.

الانطلاقة العاشرة

لنقلب صفحات مضت ونستحث الخطى لنرى معركة حمي فيها الوطيس واشتدت فيها سيوف المشركين. . إنها معركة أُحد المشهورة. . موقف واحد يرويه أنس ـ رضي الله عنه ـ إذ يقول: «غاب عمّي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما أستطعتُ يا رسول الله ما صنع. قال أنس فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قُتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى ـ أو نظن ـ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية [رواه البخاري].

الانطلاقة الحادية عشر

قال الحافظ ابن كثير[١] ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق قصة مقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة: فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات وينكحن غير حظيات فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد بن الوليد على كثيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس والعرب على راياتها فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن معرور ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء فيجلس على ظهر الرحال حتى يبول في سراويله ثم يثور كما يثور الأسد، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى انصاف ساقيه وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال بئس حامل القرآن أنا إذًا، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس، عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي فقتل شهيداً ـ رضي الله عنه، وقال أبو حذيفة يا أهل

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٧١٧.

القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه .

وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال : أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شيء إلا أكله ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه لا يقبل منه شيئاً وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب وكل بني أب على رايتهم يقاتلون تحتها حتى يعرف الناس من أين يؤتون وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولى الكفار الأدبار واتبعوهم يقتلون في أقفائهم ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا حتى الجأوهم إلى حديقة الموت وقد أشار عليهم محكم اليمامة وهو محكم بن الطفيل لعنه الله بدخولها فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله وأدرك عبدالرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله وأغلقت بنوحنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة . وقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق وهو يريد يتساند لا يعقل من الغيظ وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر وسارع إليه أبودجانة سماك بن

خرشة فضربه بالسيف فسقط فنادت امرأة من القصر : وأمير الوضاءة قتله العبد الأسود فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل وقيل أحد وعشرون ألفاً وقتل من المسلمين . ستمائة وقيل خمسمائة فالله أعلم . أ . هـ مختصراً .

أخي المسلم:

رحلة جهادية سريعة لإعلاء راية هذا الدين ، فهل تمنيت أن تكون مشاركًا فيها تحت راية خالد بن الوليد رضي الله عنه؟!

الانطلاقة الثانية عشر

فترة الضحى في حياة المرأة المسلمة فترة طويلة لكن كيف هي الاستفادة منها؟! أتصرف في النوم، أو الخروج للأسواق، أم للمحادثة في الهاتف والقيل والقال؟! إنها أوقات ثمينة وساعات لن تعود! حال الموفقات مختلف ونهارهن مطية إلى الجنة!

عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدكِ أربع كلماتٍ، ثلاثَ مراتٍ، لو وزنتْ بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**» [رواه مسلم].

أخي المسلم:

انطلق بنا لنرى موقفًا آخر نموذج ضحى يوم واحد في بيت النبوة، وحال أمهات المؤمنين في تلك الأوقات!

عن القاسم قال: كنت إذ غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور]، وتدعو وتبكي، وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي.

ونساء هذا الزمن يبكين وبكثرة لكن لماذا ولمن؟! وفترة الضحى لغالب نساء اليوم كيف تقضى؟!

الانطلاقة الثالثة عشر

كثر الغش والخداع في واقع حياة الناس اليوم، وندر أن تجد الصادق الصدوق في أداء الأمانة المبتعد عن الغش والخديعة!

وإن كانت نتيجة المعصية واضحة معلومة في الآخرة، فإن مالها في الدنيا أقرب!

ذُكر أنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ نهى في خلافته عن مذق[١] اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنةٍ لها: ألا تمذُقين لبنك فقد أصبحتِ؟

فقالت الجارية: كيف أمذُق وقد نهى أمير المؤمنين عن المَذقِ؟

فقالت: قد مذق الناس فامذُقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقالت: إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر، فلمَّا أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال: يا بُني، اذهب إلى موضع كذا وكذا، فاسأل عن الجارية، ووصفها له.

فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر: اذهب يا بُني، فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب.

فتزوجها عاصم بن عمر، فولدت له أُمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم فأتت بعمر بن عبدالعزيز[٢].

---

(١) مذق اللبن بالماء: أي مزجه به.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ٢٢ - ٢٣.

الانطلاقة الرابعة عشر

بعض الناس يُهيأ الله عز وجل له الأسباب لنصرة هذا الدين من خلال عمله ومنصبه! لكنه يأبى ذلك ويكون حجر عثرة في سبيل نشر الخير وبثه بين المسلمين مقدمة وظيفته على دينه! ملبسًا عليه إبليس بأمور واهية؛ وتراه يسخط الله عز وجل في سبيل وهم لديه وهو إرضاء الناس أو من بجواره من العاملين أو ومن هم أعلى منه مرتبة من الأجراء والمديرين!.

روى النسائي عن شداد بن الهاد رضي الله عنه: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به، واتبعه ثم قال: أُهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر؛ غنم النبي ﷺ سبيًا، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء، دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ.

فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمة لك**»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت، فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**» فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدق الله فصدقه..**».

الانطلاقة الخامسة عشر

لجج الرياء والسمعة تحيط بنا من كل جانب فأضحى الكثير همه ماذا قال المدير، وماذا قال الناس، وماذا قال فلان؟! دعونا ننطلق سنوات طويلة لنسمع من حصين بن عبد الرحمن، وهو يحدثنا قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت. . » [رواه البخاري].

لقد نفى عن نفسه إيهام العبادة حرصًا على الإخلاص، والبعد عن الرياء والتزين لما ليس فيه رضي الله عنهم أجمعين.

فأين موقع الإخلاص من قلبك ونفسك! وهل أنت ممن يكتم كما تكتم سيئاتك! وهل جاهدت نفسك لتنطلق مع أولئك الركب من الموحدين.

الانطلاقة السادسة عشر

صدق التسليم وسلامة المتابعة دلالة على الانقياد والطاعة، فإن كانت لله عز وجل فأنعم بها من عبادة وقربة، وإن كانت تبعية للغرب وللموضات فهي ذل وانهزامية وقد يقود التشبه إلى أمور محرمة لا تجوز!

تأملي أيتها المسلمة في حال أخواتك ومن أين يستقين أزيائهن ومن أين تجلب لهن الموضات! بل وتأملي في لباس امرأة مسلمة وهي كاسية عارية متلهفة إلى دور الأزياء الغربية ولا يهمها الأمر! هل يوافق شروط اللباس الشرعي أم لا؟

امرأة مسلمة تقول قدوتي عائشة فإذا بها تجري وراء موديل ديانا! وأخرى تقول ويفضحها مَشين اللباس وسوء الانقياد فإذا الصدر بادٍ وإذا النحر مباح لكل ناظر!

أخرج ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة رضي الله عنها قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إنَّ لنساء قريش فضلاً، وإنِّي والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل. لقد أُنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] انقلب رجالهنَّ إليهن يتلون عليهنَّ ما أنزل الله إليهم فيها.

ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابةٍ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرطها المرحَّل، فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ مُتعجرات كأن على رؤوسهن الغربان [رواه أبو داود].

الانطلاقة السابعة عشر

هموم نسائنا كثيرة وغمومهن متوالية، بعضهن لا يتجاوز همها حذاءًا أو فستانًا! وأخرى همها المؤرق متى تجد حذاءً يتطابق لونه مع فستانها! وكثيرات يتبادلن تلك الهموم في الجلسات وعبر الهاتف!

انطلق بنا نرى الهموم الصادقة والقلوب الحية؟!

قالت فاطمة بنت محمد ﷺ لأسماء بنت عميس: «إني أستقبح ما يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب فيصفها» تعنى إذا ماتت ووضعت على نعشها.

قالت أسماء: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئًا رأيته بالحبشة؟! فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمة رضي الله عنها: ما أحسن هذا وأجمله! إذا مت فغسليني أنت وعلي، ولا يدخل عليَّ أحد.

أختي المسلمة:

بثي لنا مثل هذه الهموم واجعلي الحياء والعفاف شعارك ودثارك حية وميتة مثلما كانت فاطمة رضي الله عنها!.

الانطلاقة الثامنة عشر

للزواج شأن عظيم في الإسلام فهو ركن الأسرة المسلمة وسبيل استقرارها وسعادتها وطريق إنجاب الرجال الأبطال والنساء المصونات عبر زمن طويل من القدوة الحسنة والتربية السليمة! وقد جعل الرسول ﷺ شروطاً لمن قدم طارقاً بيت ولي الزوجة فقال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**..» [رواه الترمذي]، وعلى هذا التوجيه النبوي سار صدر الإسلام الأول!

خطب أبوطلحة أُمَّ سُلَيْم قبل أن يسلم، فقالت: ما مثلك يُرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تُسلِمْ فذلك مهري لا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها.

وفي رواية قالت له: ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟

قال: بلى.

قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ إن أنت أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره.

قال: حتى أنظر في أمري.

فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فقالت: يا أنس، زوِّج أبا طلحة.

وفي رواية قال ثابت: فما سمعنا بمهر قطُّ كان أكرم من مهر أُمِّ سُليم «الإسلام».

وفي رواية قال لها: يا رُميصاء، وأين الصفراء والبيضاء ـ يعني الذهب والفضة ـ؟

فقالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، لا أُريد غير الإسلام، لا أرضى مهراً سواه.

فقال: ومن أين لي بالإسلام؟

قالت: دونك رسول الله ﷺ اذهب إليه وأعلن إسلامك أمامه.

فانطلق أبوطلحة، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «**أتاكم أبوطلحة غُرَّة الإسلام بين عينيه**».

ثمَّ أخبره خبره مع أُم سُليم، فزوجه رسول الله ﷺ على ما اشترطت من المهر[1].

ولابنة الإسلام اليوم.. لا يغيب عن بالك التوجيه النبوي في اختيار الزوج ولا تخدمك المظاهر ولا تغرك زهرة الحياة الدنيا!

ولكل أب وأخ.. اتق الله في أمر من تحت يدك واحذر خيانة الأمانة بتزويج رجل لا يصلي! وعليك بأهل الخير والصلاح تبرأ ذمتك وتسعد موليتك.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٦٥ـ٦٦.

قبل أن نعاود المسير

قال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه لطائف المعارف: «لما سمع القوم قول الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]؛ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه؛ خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له، فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، ثم جاء من بعدهم قومٌ، فعكسوا الأمر، فصار تنافسهم في الدنيا الدنيئة وحظوظها الفانية».

قال **الحسن**: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

وقال **رحمه الله**: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وقال **وهيب بن الورد**: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحدٌ فافعل.

وقال **بعض السلف**: لو أن رجلاً سمع برجل أطوع لله منه، فانصدع قلبه فمات؛ لم يكن ذلك بعجب.

يا صاح هذا الركب قد سار مسرعًا ... ونحن قعود ما الذي أنت صانعُ
أترضى بأن تبقى المخلَّفُ بعدهم ... صريع الأماني والغرام ينازع
على نفسه فليبك من كان باكيًا ... أيذهب وقت وهو باللهو ضائعُ

إنهم أولئك الرجال الأبرار والنساء الأخيار الذين قال عنهم **ابن القيم** رحمه

الله: رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيرًا، وإن سر يومًا أحزن شهورًا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف، وآخره متالف.

انطلاقة التاسعة عشر

«عن عطاء: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأةً من أهل الجنة؟! هذه المرأة السوداء، أتت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، إني أُصرع، فادع الله لي. فقال: «**إن شِئتِ، صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شِئتِ، دعوتُ الله أن يعافيك**». فقالت: أصبر. ثم قالت: يا رسول الله، إني أتكشفُ فادع الله لي أن لا أتكشَّف. فدعا لها» [رواه البخاري]، فرضي الله عنها، صبرت على الصرع ونالت الجنة، وصبرت على الغيبوبة لكنها لم تصبر على أن يرى الرجال جسدها حتى وهي في حالة الصرع!

واليوم تتكشف نساء المسلمين بدون مرض أو صرع! بل معصية لله عز وجل وطاعة للشيطان!

أختي المسلمة:

الحجاب قبل أن يكون سترًا للوجه والبدن هو طاعة وامتثال لأمر الله عز وجل وأمر رسوله الكريم ﷺ، فانظري أين أنت من هذه الطاعة والامتثال! واجعلي سترك وحشمتك قربة إلى الله عز وجل وطاعة له.

الانطلاقة العشرون

اليأس عدو قاتل للدعوة إلى الله عز وجل وهو من أشد أعدائها. وقد قام الأنبياء والمرسلون بالدعوة إلى الله عز وجل دون كلل وملل، المرة تلو الأخرى.. هذا نوح عليه السلام القدح المعلى في ذلك، سنوات طويلة وهو صابر قائم بأمر الدعوة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤].

لله درّه على عظيم صبره في الدعوة، مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم، «وكان كلما انقرض جيلٌ وصَّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته، وكان الوالد إذا بلغ والده وعقل عنه كلامه، وصّاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوحٍ أبداً ما عاش ودائماً ما بقي»(١).

استنفذ جميع الوسائل وسلك السبل المشروعة في الدعوة.. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح].

قال **أبو القاسم الغرناطي**: «ذَكَر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة».

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (٧٤، ٧٥).

واليوم من قام بأمر الدعوة فإن اليأس يقتله والمحاولة الثانية لا تعاوده، صاحب نفس قصير في الدعوة، ولهذا كثر الفساد وانتشرت المنكرات، وماذاك إلا من قلة المصلحين.

الانطلاقة الحادية والعشرون

في زمن شحت فيه الأنفس وقبضت الأيدي وبخل المسلمون حتى بريالات قليلة! ننطلق لنرى واقع المدينة النبوية مع ما فيها من شظف العيش وقلته! لكنها مملؤة بالإيمان وحسن التوكل على الله والرغبة في رفع راية هذا الدين!

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مني مالاً، فقال النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت مثله. وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» قال: «**أبقيتُ لهم الله ورسوله..**»[1].

ولم نر في هذا الزمن من يخرج ما في جيبه كاملاً! أما من يخرج من ماله كله أو نصفه فهم أولئك الأخيار بكر وعمر!.

فهلا اقتديت بأولئك، وجعلت من مرتبك الشهري مبلغًا للدعوة إلى الله وليكن مائة ريال فقط.

---

(١) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

الانطلاقة الثانية والعشرون

في زمن الخوف والجبن! وفي وسط تربية ضعيفة لشباب الأمة.. هاهم يتبارون في قصات الشعر ويتسابقون إلى المعاصي! اشح بوجهك وانطلق قروناً مضت لترى العجب وصنيع الرجال!

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت أخي عُمير بن أبي وقاص رضي الله عنه قبل أن يعرضنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى، فقلت: مالك يا أخي؟

قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أُحبُّ الخروج لعلَّ الله أن يرزقني الشهادة.

قال: فعرض على رسول الله ﷺ فرده، فبكى فأجازه.

فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنتُ أعقدُ حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة[1].

واليوم تدمع عينك وأنت ترى ابن ست عشرة سنة لا هدف له ولا غاية! تائه ضائع في دروب الهوى والمعاصي!

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الانطلاقة الثالثة والعشرون

امرأة تخرج ابنها الشاب وعُين مدرساً في قرية يخيم عليها الجهل ومع هذا بكت وبكت وسارع الأب ملهوفًا حزينًا لمن عرف ومن لم يعرف حتى يعود الابن لأحضان أمه ويترك أمر تعليم الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور!

لأمهات الرجال ومنجبات الأبطال.. كففي دمعك وتأملي في حال أمهات من حملوا راية هذا الدين وسقوا الأرض بدمائهم لا ببكائهم!

أخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي: أن امرأة، دفعت إلى ابنها يوم أحدٍ السيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بنسعةٍ، ثم أتت به النبي ﷺ، فقالت: يارسول الله: هذا ابني يُقاتل عنك.

فقال النبي ﷺ: «أي بُنيَّ! احمل هاهنا، احمل هاهنا»، فأصابته جراحة، فصرع، فأتي به النبي ﷺ، فقال: «**أي بُني لعلك جزعت**»!

قال: لا، يا رسول الله ﷺ[1].

* والمشهد الثاني لشباب الأمة وفتيانها.. يرويه سمرة بن جندب حيث يقول: «كان رسول الله يعرض علينا غلمان من الأنصار فيلحق من أدرك منهم، فعرضت عاماً. فألحق غلاماً وردني، فقلت يا رسول الله: لقد ألحقته ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فصارعته فصرعته، فألحقني»[2].

وللمربية الفاضلة.. من تعد صغيرها لنفع الأمة وحمل ميراث النبوة!

---

(١) قال الحاكم صحيح الإسناد ـ المستدرك ٢/ ٦٠.
(٢) الإصابة (٢/ ٧٩).

وقفة محاسبة

أخي المسلم:

ما سكن الإيمان في القلوب ولم ترتفع راية هذا الدين ولم يصل إلينا إلا عبر الجهد والجهاد والصبر والمصابرة ومحاسبة النفس وإلزامها طريق الحق والرشاد، وخطمها بخطام العزيمة والانقياد.

قال **الحسن**: «المؤمن قوّام على نفسه، يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما يشق الحساب يوم القيامة على قومٌ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».

وقال **مالك بن دينار**: «رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان لها قائدًا».

أخي الحبيب:

وأنت ترى تلك الانطلاقات الإيمانية تسير حولك، وتبعث همك، وتقوي عزيمتك..

انطلق معهم في موكب مبارك لخدمة هذا الدين، ورفع رايته في كل زمان وعلى جنب!

وليكن كتاب الله عز وجل دليلك وهدي محمد ﷺ هاديك، والرفق طريقك، والإخلاص رفيقك.. عندها سترى الثمار العظيمة والاستجابة السريعة.

الانطلاقة الرابعة والعشرون

صورة عجيبة تحكي واقع الإيمان والتصديق بوعد الله عز وجل عن عبدالله ابن مسعود قال: لما نزل قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبوالدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح». قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي، قال: وحائط له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال فجاء أبوالدحداح فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك، قال: اخرجي، فقد أقرضته ربي عز وجل. فحملت مالها من متاع وكان بيد أبنائها ثمرة فألقتها من يده وخرجت مع صغارها!»[١].

تفكرت في حال أم الدحداح وقبولها بالأمر والفرح به وخروجها من مزرعة بها كنز ثمين وحياة سعيدة في وسط ستمائة نخلة.. خرجت غير باكية ولا متسخطة على زوجها وفعله.. بل تجاوزت الأمر وأسقطت ما في يد ابنها من تمرات كانت معه! لقد ربح البيع يا أم الدحداح.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن مسنده، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٩)، والإصابة (٤/ ٥٩).

الانطلاقة الخامسة والعشرون

للأخوة في الإسلام معنى عظيم، وهي قربة إلى الله عز وجل وطاعة له فمحبة المؤمنين ومودتهم ونصرهم ومؤازرتهم ومواساتهم كلها ولاء لهم وهي من أعظم أبواب العقيدة.

وحين اختلط الحابل بالنابل وضعفت الأخوة في الله وانتشرت بين الناس الأنانية وحب الذات.. ننطلق لنجول في سكك المدينة ونطلع على حال الصفوة من الرجال الأفذاذ!

قال **عبدالرحمن بن عوف** رضي الله عنه: لَمَّا قدمنا المدينة، آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الرَّبيع.

فقال **سعد بن الربيع**: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسمُ لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلت عنها، فإذا حلت تزوجتها.

فقال له **عبدالرحمن**: لا حاجة لي في ذلك، هل سوق فيه تجارة؟

قال: سوق قينقاع..

والقصة فيها فوائد عجيبة أولها أن سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يتعذر بقلة مال أو نفقة إنما بادر وقال: أنا أكثر الأنصار مالاً وهو بهذا يعرض ماله كله دون مواربة ولا خداع بل محبة ورغبة في نفع أخيه! بل لم يعرض ويقل إني ذو مال ويسكت بل ذكر سعة المال وكثرته!

وهو رضي الله عنه يبادر ويقول: فأقسم لك نصف مالي.. لم يعرض عليه قرضاً حسناً ولم يجعل في يده دنانير ولم يقل أدلك على فلان! إنها نفس جبلت على

الأخوة الصادقة والرغبة في العطاء!

هذا في شأن المال! أما في شأن الزوجة فالأمر قطعة من محبته لكنه قدم محبة الله عز وجل! فنعمت الأخوة يوم كانت مثل ذلك.. ونعمت الأخوة وعزة النفس وعدم التطلع لأموال الغير.. فقد سارع عبدالرحمن ليكون صورة للمؤمن العامل الذي يبحث عن الرزق الحلال دون مضايقة لأحد.. فقال: دلني على السوق!

الانطلاقة السادسة والعشرون

عالم من علماء المسلمين العاملين يحكي واقع حياته ومسير إيمانه ويجمل كل ذلك في سطور من العزة والأنفة لهذا الدين الذي يحمله! قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي: عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت[1].

والكثير اليوم لا يقال له شيء، ومع هذا يلبس عليه الشيطان والأمر دون السيف والعصا! إنه الضعف والخور يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الآية. [الحج].

فمتى تنطلق للدعوة إلى الله عز وجل وقد توفر من الوسائل والسبل ما لم يتوفر منذ أقدم العصور؟!

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٨٤).

الانطلاقة السابعة والعشرون

من مقاعد الدراسة دعنا ننطلق لنرى علمين من أعلام المسلمين في رحلتهما لطلب العلم. . حيث الرحلة الطويلة المحفوفة بالمخاطر والخوف والعطش والجوع.

كان أبو حاتم الرازي يرتحل في طلب أحاديث الرسول ﷺ ماشيًا على أقدامه قال وهو يتحدث عنه نفسه: مشيت على قدمي ألف فرسخ ثم تركت العدد، أي أنه مشى خمسة الآف كيلومتر.

وقد سافر رحمه الله من البحرين إلى مصر، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى طرطوس على أقدامه، وضاقت عليه النفقات مرة في البصرة، فباع ثيابه حتى نفدت، وجاع يومين. . .[١].

وقد رحل الإمام الحافظ **محمد بن طاهر المقدسي** في طلب العلم وكان مما قال واصفًا حاله أثناء رحلته: «بُلتُ الدم في طلبي للحديث مرتين: مرة ببغداد، ومرة بمكة، وذلك أني كنت أمشي حافيًا في سفري لطلب العلم في شدة الحر وعلى الرمضاء المحرقة، فأثر ذلك في جسدي فبُلتُ دمًا، وما ركبت دابة قد في طلب الحديث إلا مرة واحدة، وكنت دائمًا أحمل كتبي على ظهري في أثناء سفري، حتى استوطنت البلاد. . .»[٢].

إنَّها رحلة شاقة لطلب العلم الشرعي الذي قال عنه سفيان الثوري: «لا أعلم بعد النبوة أفضل من العلم»!

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧) وما بعدها.

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٤٣).

فأين أهل العلم الشرعي الذي زهد فيه الكثير . .

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وعانق من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الانطلاقة الثامنة والعشرون

الدنيا دار ابتلاء وامتحان ونكد وأحزان لا ينجو من ضيقها وكدرها إلا من تمسك بحبل الله المتين واعتصم به واحتسب الأجر في مصيبته!

وفي هذا الزمن الذي كثر فيه التجزع والتسخط ننطلق لنرى حال من سبقنا إذا حلت بهم المصيبة، وإذا نزل بساحتهم البلاء.

نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عدي بن حاتم كئيبًا فقال: يا عدي مالي أراك كئيبًا حزينًا؟ قال: وما يمنعني وقد قتل أبنائي وفقئت عيني، فقال: يا عدي، من رضي بقضاء الله كان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله[1].

وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد المطلب ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وش، وله غديرتان، وهو يضرب بيديه، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه فخرج من عنده متوسنًا، فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك، فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشي عليه، ثم أفاق والعزق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها في يده، ثم قال: أماوالذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت إلى حرام، ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة، ثم بعث

---

(١) تسلية أهل المصائب (٢٠٥).

بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه، يعزونه، فجعل يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، ولم يزد عليه، ثم قال: لا أدخل المدينة إنما أنا بها بين شامت بنكبة، أو حاسد لنعمة، فمضى إلى قصر بالعقيق فأقام هنالك، فلما دخل قصره قال له عيسى بن طلحة: لا أبًا لشانئيك، أرني هذه المصيبة التي نعزيك فيها، فقلما كشف عن ركبته فقال له عيسى: أما والله ما كنا نعدك للصراع، قد أبقى أكثرك، عقلك ولسانك وبصرك ويداك وإحدى رجليك فقال له: يا عيسى: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به.

ولما أرادوا قطع رجله قالوا له: لو سقيناك شيئًا كيلا تشعر بالوجع فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري، أفأعارض أمره[١].

وقال مسلمة بن محارب: وتعت في رجل عروة بن الزبير الأكلة وقطعت، ولم يدع تلك الليلة وردهُ وقطعت ولم يمسكه أحد[٢].

فهل قمت أخي المسلم بوردك مساء البارحة وأنت صحيح الجسم لم تقطع لك رجل؟!

---

(١) عدة الصابرين ص (١٢٥)، وانظر البداية والنهاية (٩/ ١١٤).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٨٦).

الانطلاقة التاسعة والعشرون

كثرة الفتن في هذا الزمن، واستحل الناس ما كان حرامًا وظهر ذلك جليًّا في الأماكن العامة والمنتديات، يقول النبي ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» [رواه البخاري].

انطلق بنا أيها الأخ المبارك لنرى حال من تجنب الفتن وابتعد عن شهوات النفس واتقى الشرور واتبع سبيل المؤمنين.

عن نافع قال: «سمع ابن عمر مزمارًا، قال: فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئًا؟ قال: فقلت لا، قال: فرفع إصبعيه وقال: كنت مع رسول الله ﷺ فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا[1].

واليوم تجد من يجلس مجلسًا به أصوات الغناء والموسيقى ولا ينكر، والبعض يجلس مع مدخن ولا ينكر عليه وآخر تجده..!!

والمرأة ترى في حفلات الزواج وفي التجمعات الكثير من المنكرات أمام عينها ولا تنكر!

ولهذا كثر الخبث وانتشر الفساد، بسبب ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

الانطلاقة الثلاثون

دعنا نطل على رجل دخل بزوجته في ليلة عرسه وهو يهنأ بامرأة تحادثه وتجالسه وتؤانسه! لكن الهم الذي يحمله تدفق حين سمع صوت العدو وعندها خرج من غرفة نومه تاركًا الزوجة خلفه ولم يعد إليها حتى استشهد!

إنه الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة!

قال **ابن إسحاق** في المغازي: كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل التقى هو وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان، فقال النبي ﷺ: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته**»، فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهَيَّعة، فقال النبي ﷺ: «**لذلك تغسله الملائكة**»(١).

إنه رجل خرج للقاء حتفه ومناجزة عدوه غير عابىء بلذيذ الدنيا ونعيمها وغير عابىء بالزوجة وأُنس معشرها!

اليوم إذا عين أحد الشباب مدرسًا في قرية نائية ينفع الله به العباد والبلاد تراه يطرق كل باب حتى لا يبعد عن بلده وكأن لم يفطم عن ثدي أمه!

أولئك رجال وهؤلاء رجال لكن الهم مختلف!

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

الانطلاقة الحادية والثلاثون

الأبناء هم فلذات الأكباد وهم رجال الأمة في المستقبل وقد حذر الله عز وجل من التفريط في أمر دعوتهم والعناية بهم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ . . ﴾ [التحريم: ٦] هذا في أعظم أمر بعد الشهادتين.

انطلق بنا لنرى حال صغار سلف الأمة وكيف هي عنايتهم بأمر صلاة الصغار والسؤال عنها.

قال **أبو الدرداء** لابنه: يا بني، ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المساجد بيوت المتقين، فمن كانت المساجد بيوته، ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة**»(١).

وروى عبد الرزاق، عن مجاهد قال: «سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: لا أعلمه إلا من شهد بدرًا ـ قال لابنه: ادركت الصلاة معنا؟ قال: أدركت التكبيرة الأولى؟ قال: لا، قال: لما فاتك منها خير من مائة ناقة، كلها سود العين»(٢).

وذكر الذهبي عن مروان عن يعقوب عن أبيه، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة، يتأدب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهد، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يومًا عن الصلاة، فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك، أن تؤثره على الصلاة،

---

(١) الزهد لهناد.

(٢) المصنف لعبد الرزاق.

وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبدالعزيز رسولاً إليه، فما كلمه حتى حلق شعره»[١].

واليوم قد يضرب الصغير لكن لأمر صغير، أما المساجد فتشتكي قلة شباب الأمة المصلين.. والله أعلم ما هي الحال إذا بلغوا أشدهم؟!

(١) السير (٥/١١٦).

الانطلاقة الثانية والثلاثون

أخي الكريم:

أما وقد طاب لك المقام بين يدي الكتاب. دعنا ننطلق إلى المدينة النبوية في شدة الحر وقد دنت الشمس من الأرض وهاجت الرياح الحادة والسموم الحارقة، هذه هي المدينة كما نراها وقد طابت الثمار وزان الظلال في شدة الحر وحمارة القيظ، لكن الرسول والذين آمنوا معه يتهيؤون للمسير إلى تبوك في ذلك الوقت: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

وقد منَّ الله عليهم بالمغفرة، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]: قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والمال، قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون الثمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش حتى ظننا إن رقابنا ستنقطع، وحتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده..

والحال اليوم ـ أخي المسلم ـ ليست كذلك بل هي دون ذلك صعوبة ومشقة، ومع هذا قل من يعمل! وندر من يدعو ويصبر!

الانطلاقة الثالثة والثلاثون

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ! قال: «**ما يحملك على قول بخ بخ**»؟ قال: رجاء أن أكون من أهلها.

قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منها، ثم قال: «لئن أنا حييت حتى آكل تمرًا، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» [رواه مسلم].

أخي القارىء! صدق اليقين وهوان الدنيا والتطلع إلى جنة عرضها السمٰوات ولأرض دفعت الصحابي الجليل إلى استبطاء الزمن وطول الدقائق التي تحجبه عن الجنة، فألقى التمرات وسار نحو الشهادة التي هي مناه ومبتغاه!

وأنت أخي الحبيب: إلى أين تسير وما هو مبتغاك؟!

الخاتمة

أخي المسلم:

عشت في هذا الكتب انطلاقات جميلة أعجبتك ولا شك! لكن ليس هذا المراد من القراءة، بل المراد تحريك الهمم وبث العزائم وإحياء روح العمل لهذا الدين.

دعنا نرى منك انطلاقة لتزكية نفسك، وأخرى لإصلاح منزلك، وثالثةً لدعوة زملائك، ورابعة.. وخامسة..! وكلها تصب في خدمة هذا الدين.

أدعو الله عز وجل أن يجعلني وإياك ممن يحمل هم هذا ويقوم به.

كما أدعوه عز وجل أن يجعل أعمالنا صوابًا خالصة لوجهه الكريم.

***

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

كيف أخدم الإسلام

مقدمة المجموع ٥
المقدمة ٩
مستشفى طائر للتنصير ١٠
وهم يعملون ١٢
كيف أخدم الإسلام؟ ١٣
ماذا يعود علي إذا خدمت الإسلام؟ ١٥
أين أثرك؟ ١٦
كيف تخدم الإسلام؟ ١٩
تأمل نعمة الله عليك ٢١
الدعوة إلى الله ٢٢
كيف نصل بالدعوة؟ ٢٤
كيف أخدم الإسلام؟ ٢٥
متى تعمل؟ ٢٦
من خدمة الإسلام ٢٧
لقد فُتح لك الباب ٣٠
احذر ٣١
في جنب هؤلاء ٣٤

الموضوع	الصفحة
وقفات	٣٥
همسة	٣٦
في منتصف الطريق	٣٨
الدعوة في بيوتنا	٣٩
فتوى	٤١
من يحمل هم هذا الدين؟	٤٢
لا تطلب الجزاء	٤٣
تيسر أمر الدعوة	٤٤
نكتة لطيفة	٤٦
مواقف	٤٧
إمام المسجد	٥٠
الدعوة في المدارس	٥٣
داعية بدون وسائل كاملة	٥٥
من أعمال السائرين	٥٦
تأمل معي	٦٠
يا باغي الخير أقبل	٦٢
ما الذي يمنعك؟	٦٣
وقفات دعوية	٦٥
النبي القدوة ﷺ	٦٨
وفي الختام	٧٠

الموضوع الصفحة

من ثمار الدعوة

المقدمة ٧٣
من الثمار ٧٤
الثمرة الأولى: ٧٤
الثمرة الثانية: ٧٥
الثمرة الثالثة: ٧٥
الثمرة الرابعة: ٧٥
الثمرة الخامسة: ٧٦
الثمرة السادسة: ٧٧
الثمرة السابعة: ٧٧
الثمرة الثامنة: ٧٨
الثمرة التاسعة: ٧٨
الثمرة العاشرة: ٧٩
الثمرة الحادية عشر: ٨٠
الثمرة الثانية عشر: ٨١
الثمرة الثالثة عشر: ٨١
الثمرة الرابعة عشر: ٨١
الثمرة الخامسة عشر: ٨٢
الثمرة السادسة عشر: ٨٢
الثمرة السابعة عشر: ٨٣

الموضوع **الصفحة**

الثمرة الثامنة عشر : ٨٣
الثمرة التاسعة عشر : ٨٣
الثمرة العشرون : ٨٤
الثمرة الحادية والعشرون : ٨٤
الثمرة الثانية والعشرون : ٨٥
الثمرة الثالثة والعشرون : ٨٥
الثمرة الرابعة والعشرون : ٨٦
الثمرة الخامسة والعشرون : ٨٦
الثمرة السادسة والعشرون : ٨٧
الثمرة السابعة والعشرون : ٨٧
الثمرة الثامنة والعشرون : ٨٧
الثمرة التاسعة والعشرون : ٨٨
الثمرة الثلاثون : ٨٨
وما بعد الثمرات ٩٠

ليس عليك وحشة

المقدمة ٩٣
مدخل ٩٥
وسارعوا ٩٦
قبل البداية ١٠٠
الانطلاقة ١٠٣
خطوة خطوة ١٠٦

الموضوع	الصفحة
لله الأمر	١٠٧
ما بال أقوام	١٠٩
مفتاح القلوب	١١٢
استثمار الفرص	١١٤
نهادوا تحابوا	١١٨
أبواب مشرعة	١١٩
يا أبتي	١٢٣
العدو	١٢٥
وقفات	١٢٦
لا تزل قدمك	١٢٩
بحر الجود	١٣١
أسهل الوسائل	١٣٣
يا بني	١٣٥
أصحاب الهمم	١٣٧
تقدموا وتأخرنا	١٣٩
أنت تحت المجهر	١٤٠
الصدقة الجارية	١٤١
تنفيس الكرب	١٤٢
الصحبة	١٤٤
الجليس الصامت	١٤٦
اصغ بقلبك	١٤٩
لمسات حانية	١٥٢

الموضوع **الصفحة**

المجاهدة ١٥٦
آخر الدواء الكي ١٥٩
أنت أم هم ١٦١

صائد القلوب

قبل البداية ١٦٧
لماذا نصيد القلوب؟ ١٧٠
الشفاعة ١٧٣
الابتسامة ١٧٤
إفشاء السلام ١٧٦
إنزال الناس منازلهم ١٧٨
الهدية ١٨٠
الصفح وعدم الحقد ١٨٢
التقرب للآباء بواسطة الأبناء ١٨٣
أحب الأسماء ١٨٤
الاعتذار عن الموافقة ١٨٥
حفظ الأسماء والكنى ١٨٦
حسن المظهر ١٨٧
تقدير الناس ١٨٨
سماحة النفس ١٨٩
لا تكن منانًا ١٩٠
إياك وكثرة اللوم ١٩١
التشجيع والتقدير ١٩٢

الموضوع	الصفحة
لا تسأل الناس شيئًا	١٩٣
لا تكن كالذبابة	١٩٤
الأسرار	١٩٦
حث الناس على المشاركة	١٩٨
الزيارة	١٩٩
حظوظ النفس	٢٠٠
أهل الزوجة وأقاربها	٢٠١
الشورى	٢٠٢
الخدمة والإيثار	٢٠٣
زيارة المرضى	٢٠٥
السماحة في المعاملة	٢٠٦
اتق شر من أحسن إليه	٢٠٧
تجربة	٢٠٨
الجود والكرم	٢٠٩
الرفق	٢١٠
الطرق السريعة	٢١١
الأيتام	٢١٢
إصلاح ذات البين	٢١٣
كن مستمعًا جيدًا	٢١٤
التواضع	٢١٥
النفس القصير	٢١٦
التنازل عن بعض الحقوق	٢١٧

الموضوع **الصفحة**

الدعاء ٢١٨
خير الناس أنفعهم للناس ٢١٩
وقفات ٢٢١
التطلف مع البسطاء ٢٢٢
القدوة ٢٢٣
إكرام الضيف وإطعام الطعام ٢٢٤
تفريج الكرب ٢٢٥
اللسان ٢٢٧
الإخلاص ٢٢٨
قبل الختام ٢٢٩

انطلق بنا

مدخل ٢٣٣
وقفة ٢٣٤
الانطلاقة الأولى ٢٣٥
الانطلاقة الثانية ٢٣٦
الانطلاقة الثالثة ٢٣٨
الانطلاقة الرابعة ٢٣٩
الانطلاقة الخامسة ٢٤٢
الانطلاقة السادسة ٢٤٤
الانطلاقة السابعة ٢٤٦
الانطلاقة الثامنة ٢٤٨
الانطلاقة التاسعة ٢٤٩

الموضوع	الصفحة
الانطلاقة العاشرة	٢٥١
الانطلاقة الحادية عشر	٢٥٢
الانطلاقة الثانية عشر	٢٥٥
الانطلاقة الثالثة عشر	٢٥٦
الانطلاقة الرابعة عشر	٢٥٧
الانطلاقة الخامسة عشر	٢٥٨
الانطلاقة السادسة عشر	٢٥٩
الانطلاقة السابعة عشر	٢٦٠
الانطلاقة الثامنة عشر	٢٦١
الانطلاقة التاسعة عشر	٢٦٣
الانطلاقة العشرون	٢٦٦
الانطلاقة الحادية والعشرون	٢٦٨
الانطلاقة الثانية والعشرون	٢٦٩
الانطلاقة الثالثة والعشرون	٢٧٠
الانطلاقة الرابعة والعشرون	٢٧١
وقفة محاسبة	٢٧٢
الانطلاقة الخامسة والعشرون	٢٧٣
الانطلاقة السادسة والعشرون	٢٧٥
الانطلاقة السابعة والعشرون	٢٧٦
الانطلاقة الثامنة والعشرون	٢٧٨
الانطلاقة التاسعة والعشرون	٢٨٠
الانطلاقة الثلاثون	٢٨١

الموضوع **الصفحة**

الانطلاقة الحادية والثلاثون ٢٨٢
الانطلاقة الثانية والثلاثون ٢٨٤
الانطلاقة الثالثة والثلاثون ٢٨٥
الخاتمة ٢٨٦
الفهرس ٢٨٧

***